کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
مؤسسهٔ ۱۳۰۲
اسم کتاب مقامات حریری (متن)
مؤلف —
موضوع تألیف ادبیات
تقدیمی ناصرالدین شاه
شمارهٔ دفتر ۱۲۷۱

۱۲
۳۷۱

کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
مؤسسهٔ ۱۳۰۲
اسم کتاب مقامات حریری (متن)
مؤلف —
موضوع تألیف ادبیات
تقدیمی کاخ عشرت دیلمان
شمارهٔ دفتر ۱۲۷۱

۱۲
۲۷۱

المقامات الحريرية

مشتملة على خمسين حكاية

قد طبع مرة ثانية باهتمام اضعف العباد

عبد الله

في المطبع الطبي في بلدة چچرة من محلات بندر فوكلي

وتصحيح المدرس المولوي منصور احمد البرد واني من مدرسي المدرسة المحسنيه

والمعاون المولوي جواد على من معاوني المدرسة الكلكتيه

في سنه ١٢٦١ من الهجرة النبوية عليه وعلى آله السلام والصلوة الزكية

موافقا للسنة ١٨٤٥ المسيحية

١٢
٢٧١

کتابخانه مجلس شورای ملی

مقامات الحریری

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله الذی انشأ الموجودات بقدرته * وکرّم من بینهم الناس بحسن خلقته * فضّله بفصاحة البیان علی جمّ غفیر من مخلوقاته * وشرّفه بالغَدَوات والروحات بمنته وعطیّاته * وبعدُ فلمّا کانت المقاماتُ التی ابتدعها المحقّق الفاضل * المدقّق الکامل * نحریر العُلَماء * ادیب الادباء * الذی تَفَوّقَ اعناق السبق البلاغة والبراعة * وفاق فی مِضْمار الفصاحة اصحابَ الیراعة * لا یُماثِله ضدید * ولا یُسامِع له ندید * ابو محمّد بن القاسم بن علیّ بن محمد بن عثمان الحریری البصریّ برّد الله مَضْجَعه * وطیّب مُهْجَه ومَهْجَعه * اکثر فائدةً فی العلوم الادبیة * واوفر عائدة فی انشاء الحکایات العربیّة * وقد تلقّتها بالقبول لدرس الطُّلّاب الّذین جُبِلوا علی اکتساب الفضائل * ورُزقوا طبائعَ راغبة عن الرذائل * مَنْ هو مرکز دائرة الفضل وحمید الخصائل * قُطْبُ فَلَک الفواضل وجمیل الشّمائل * رافع الویة فنون العلوم فی الآفاق * مُبَشِّر ارباب تلک السِّلَع بنفاق الاسْواقِ *

نظم

* في قلبه مقياس نور ايما مقياس * بدر ضياء وجهه مغن عن النبراس *

قد فاز بالقدح المعلى في محاسن الشيم بذهنه النقاد * ووصل الى الدرجة العليا من المعارف بطبعه الوقاد * الصاحب الجلي الشان على الاقران مينهولمسدن المدرس المعروف بين الاعيان والاركان * دامت دولته مادامت الرياح تهز الافنان * وتهتز الاغصان على شجر البيان * وصارت لكر الازمنة والدهور * ومر القبول والدبور * قد ضاعت في ايدي الناس * ووقع في نسخها الاختلاف والالتباس * حتى صعب فهم المراد على الطلاب غاية الاستصعاب * فاراد الصاحب الرفيع المكان طبع الكتاب المسطور * وامران يجتهد في تصحيحه بالجهد الموفور * ويكتب في اوله نبذ من احوال المصنف والمصنف * ويملأ في آخره ما ادرك من استعارات المولف في المولف * ليسهل من الطالبين فهم معضلاته * ولا يحتاجون كثيرا في استكشاف مغلقاته * فاستجمع صبعة اسفار * مقروة على الاجبار * واوثر من عباراتها مندلبس الاساس * ماكان في كثير منها وقرب من القياس * فصححت الفاظها من اغلاط النسخ والسهو * وطبعت حتى صارت كالشمس في الضحو * وقد ذكر في حالاته * انه كان من رؤساء بلدته * بارعا في العلوم كلها * سيما في التصريف والنحو والحديث واللغة بكثرها وقلها * عاش سبعين سنة من السنين القمرية * وتوفي سنة خمسمائة وسنة عشر من الهجرة النبوية * وانتسابه بالحرير قيل لتجارتها * وقيل الحرير قرية ولد فيها * فنسب اليها * وبالبصرة لانه اقام بها * وذكر ابن الجوزي انه مرض المقامة الحرامية على الوزير انوشيروان وزير المسترشد بالله فاستحسنها * وامره ان يضيف

اليها ماشاكلها * فاتمها خمسين * وقيل عمل اربعين مقامة وحملها الى بغداد من البصرة * وعرضها على جلال الدين عبد الدولة فاتهمه * من يحسده * فقال الوزير انكان صادقا * فليصنع مقامة اخرى * فقال نعم وانفرد بناحية من الايوان ومكث زمانا كثيرا * فلم يفتح الله سبحانه عليه شيأ يسيرا * فقام وهو جهلان * وفي ايدي الناس ندمان * وعاد الى البصرة * واملا عشر مقامات اخرى * وارسلهن الى الوزير * واعتذر من عيه في الديوان * وما لحقه من المهانة بين الاعيان * فبان فضله على الانام * وقد نجا من الاتهام * واعتنى بمقاماته الادباء * واقتدى باستعاراته الخطباء * وقد اكب على تعاورها الشيخة والشبان * واخذوها مقبولة من بين الدفاتر والديوان * وشرحوا لها شروحا قد زادت على الخمسين * واستكشفوا عن خبايا ها بالافانين * ولله در الزمخشري حيث قال في توصيفها * وقد اصاب في تعريفها *

نظم بذات الاله وصفاته

* اقسم بالله وآياته * ومعالم حجه وبيناته *

* ان الحريري حري بان * تكتب بالتبر مقاماته *

هذا ما وصل من خبره * ونظم من نثره *

الحج

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال الشيخ الاجلّ الاوحد ابو محمّد بن القاسم بن عليّ بن محمّد بن عثمان الحريريّ البصريّ برّد الله مضجعه * اللّهمّ انّا نحمدك على ما علّمت من البيان * والهمت من التّبيان * كما نحمدك على ما اسبغت من العطاء * واسبلت من الغطاء * ونعوذ بك من شرّة اللّسن * وفضول الهذر * كما نعوذ بك من معرّة اللّكن * وفضوح الحصر * ونستكفي بك الافتتان باطراء المادح * واغضاء المسامح * كما نستكفي بك الانتصاب لازراء القادح * وهتك الفاضح * ونستغفرك من سوق الشّهوات * الى سوق الشّبهات * كما نستغفرك من نقل الخطوات * الى خطط الخطيّات * ونستوهب منك توفيقا قائدا الى الرّشد * وقلبا متقلّبا مع الحقّ * ولسانا متحلّيا بالصدق * ونطقا مؤيّدا بالحجّة * واصابة ذائدة عن الزّيغ * وعزيمة قاهرة هوى النّفس * وبصيرة ندرك بها عرفان القدر * وان تسعدنا بالهداية الى الدّراية * وتعضدنا بالامانة على الابانه * وتعصمنا من الغواية فى الرّواية * وتصرفنا عن السّفاهة فى الفكاهة * حتّى نأمن حصائد الالسنة * ونكفى غوائل الزّخرفة * فلا نرد مورد مأثمة * ولا نقف موقف مندمة *

ولا نرهق بتبعة ولا معتبة * ولا نلجأ الى معذرة من بادرة * اللّهمّ فحقّق لنا هذه المنية * وانلنا هذه البغية * ولا تضحنا من ظلّك السّابغ * ولا تجعلنا مضغة للماضغ * نقد مددنا اليك يد المسئلة * وخضعنا لك بالاستكانة والمسكنة * واستنزلنا كرمك الجمّ * ومنّك الّذي عمّ * بضراعة الطّلب وبضاعة الامل * ثمّ بالتّوسّل بمحمّد سيّد البشر * والشّفيع المشفع فى المحشر * الّذى ختمت به النّبيّين * واعليت درجته فى علّيّين * ووصفته فى كتابك المبين * فقلت وانت اصدق القائلين * وما ارسلناك الّا رحمة للعالمين * اللّهمّ فصلّ عليه وعلى آله الهادين * واصحابه الّذين شادوا الدّين * واجعلنا لهديه وهديهم متّبعين * وانفعنا بمحبّته ومحبّتهم اجمعين * انّك على كلّ شيء قدير * وبالاجابة جدير * وبعد فانّه قد جرى ببعض اندية الادب الّذي ركدت فى هذا العصر ريحه * وخبت مصابيحه * ذكر المقامات الّتي ابتدعها بديع الزّمان * وعلّامة همدان * رحمه الله وعزى الى ابى الفتح الاسكندرىّ نشأتها * والى عيسى بن هشام روايتها * وكلاهما مجهول لا يعرف * ونكرة لا تتعرّف * فاشار من اشارته حكم * وطاعته غنم * الى ان انشيء مقامات اتلو فيها تلو البديع * وان لم يدرك الطّالع * شأو الضّليع * فاذاكرته بما قيل فيمن الّف بين كلمتين * ونظم بيتا او بيتين * واستقلت من هذا المقام الّذي فيه يحار الفهم * ويفرط الوهم * ويسبر به غور العقل * وتتبيّن فيه قيمة المرء * ويضطرّ صاحبه الى ان يكون كحاطب ليل * او جالب رجل وخيل * وقلّما سلم مكثار * او قيل له عثار * فلمّا لم يسعف بالاقالة * ولا اعفى من المقالة * لبّيت دعوته تلبية المطيع * وبذلت فى مطاوعته

جُهْدَ الْمُسْتَطِيعِ * وَأَنْشَأْتُ عَلَى مَا أُمَانِيهِ مِنْ قَرِيحَةٍ جَامِدَةٍ * وَفِطْنَةٍ خَامِدَةٍ * وَرَوِيَّةٍ نَاضِبَةٍ * وَهُمُومٍ نَاصِبَةٍ * خَمْسِينَ مَقَامَةً تَحْتَوِي عَلَى جِدِّ الْقَوْلِ وَهَزْلِهِ * وَرَقِيقِ اللَّفْظِ وَجَزْلِهِ * وَغُرَرِ الْبَيَانِ وَدُرَرِهِ * وَمُلَحِ الْآدَابِ وَنَوَادِرِهِ * الَّتِي مَا وَشَّحْتُهَا بِهِ مِنَ الْآيَاتِ * وَمَحَاسِنِ الْكِنَايَاتِ * وَرَصَّعْتُهُ فِيهَا مِنَ الْأَمْثَالِ الْعَرَبِيَّةِ * وَاللَّطَائِفِ الْأَدَبِيَّةِ * وَالْأَحَاجِيِّ النَّحْوِيَّةِ * وَالْفَتَاوَى اللُّغَوِيَّةِ * وَالرَّسَائِلِ الْمُبْتَكَرَةِ * وَالْخُطَبِ الْمُحَبَّرَةِ * وَالْمَوَاعِظِ الْمُبْكِيَةِ * وَالْأَضَاحِيكِ الْمُلْهِيَةِ * مِمَّا أَمْلَيْتُ جَمِيعَهُ عَلَى لِسَانِ أَبِي زَيْدٍ السَّرُوجِيِّ * وَأَسْنَدْتُ رِوَايَتَهُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ هَمَّامٍ الْبَصْرِيِّ * وَمَا قَصَدْتُ بِالْإِحْمَاضِ فِيهِ إِلَّا تَنْشِيطَ قَارِئِهِ * وَتَكْثِيرَ سَوَادِ طَالِبِيهِ * وَلَمْ أُودِعْهُ مِنَ الْأَشْعَارِ الْأَجْنَبِيَّةِ إِلَّا بَيْتَيْنِ فَذَيَّلْتُ عَلَيْهِمَا بِنَيَّةِ الْمُقَامَةِ الْحُلْوَانِيَّةِ * وَآخَرَيْنِ تَوَأَمَيْنِ ضَمَّنْتُهُمَا خَوَاتِمَ الْمَقَامَةِ الْكَرَجِيَّةِ * وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَخَاطِرِي أَبُو مُذِرٍّ * وَمُقْتَضَبُ حُلْوٍ وَمُرٍّ * هَذَا مَعَ اعْتِرَافِي بِأَنَّ الْبَدِيعَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَبَّاقُ غَايَاتٍ * وَصَاحِبُ آيَاتٍ * وَأَنَّ الْمُتَصَدِّيَ بَعْدَهُ لِإِنْشَاءِ مَقَامَةٍ * وَلَوْ أُوتِيَ بَلَاغَةَ قُدَامَةَ * لَا يَغْتَرِفُ إِلَّا مِنْ فَضَالَتِهِ * وَلَا يَسْرِي ذَلِكَ الْمَسْرَى إِلَّا بِدَلَالَتِهِ * وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ *

نظم

* فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً * بِسُعْدَى شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ *

* وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَا * بُكَاهَا فَقُلْتُ الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ *

وَأَرْجُو أَنْ لَا أَكُونَ فِي الْهَذَرِ الَّذِي أَوْرَدْتُهُ * وَالْمَوْرِدِ الَّذِي تَوَرَّدْتُهُ * كَالْبَاحِثِ مِنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ * وَالْجَادِعِ مَارِنَ أَنْفِهِ بِكَفِّهِ * فَأَلْحَقَ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ

الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * عَلَى أَنِّي وَإِنْ أَغْمَضَ لِيَ الْفَطِنُ الْمُتَغَابِي * وَنَصَحَ عَنِّي الْمُحِبُّ الْمُحَابِي * لَا أَكَادُ أَخْلُصُ مِنْ غُمْرٍ جَاهِلٍ * أَوْ ذِي غِمْرٍ مُتَجَاهِلٍ * يَضَعُ مِنِّي لِهٰذَا الْوَضْعِ * وَيَنْدُدُ بِأَنَّهُ مِنْ مَنَاهِي الشَّرْعِ * وَمَنْ نَقَدَ الْأَشْيَاءَ بِعَيْنِ الْمَعْقُولِ * وَأَنْعَمَ النَّظَرَ فِي مَبَانِي الْأُصُولِ * نَظَمَ هٰذِهِ الْمَقَامَاتِ فِي سِلْكِ الْإِفَادَاتِ * وَسَلَكَهَا مَسْلَكَ الْمَوْضُوعَاتِ مِنَ الْعُجْمَاوَاتِ وَالْجَمَادَاتِ * وَلَمْ يُسْمِعْ بِمَنْ نَبَا سَمْعُهُ مِنْ تِلْكَ الْحِكَايَاتِ * وَأَنَّمْ رُوَاتَهَا فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ * ثُمَّ إِذَا كَانَتِ الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ * وَبِهَا انْعِقَادُ الْعُقُودِ الدِّينِيَّاتِ * فَأَيُّ حَرَجٍ عَلَى مَنْ أَنْشَأَ مُلَحًا لِلتَّنْبِيهِ * لَا لِلتَّمْوِيهِ * وَنَحَا بِهَا مَنْحَى التَّهْذِيبِ * لَا الْأَكَاذِيبِ * وَهَلْ هُوَ فِي ذٰلِكَ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ مَنِ انْتَدَبَ لِتَعْلِيمٍ * وَهَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *

شعر

* عَلَى أَنَّنِي رَاضٍ بِأَنْ أَحْمِلَ الْهَوَى * وَأَخْلُصَ مِنْهُ لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا *

وَبِاللّٰهِ أَعْتَضِدُ * فِيمَا أَعْتَمِدُ * وَأَعْتَصِمُ * مِمَّا يَصِمُ * وَأَسْتَرْشِدُ إِلَى مَا يُرْشِدُ * فَمَا الْمَفْزَعُ إِلَّا إِلَيْهِ * وَلَا الِاسْتِعَانَةُ إِلَّا بِهِ * وَلَا التَّوْفِيقُ إِلَّا مِنْهُ * وَلَا الْمُوئِلُ إِلَّا هُوَ * عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ * وَإِلَيْهِ أُنِيبُ *

المقامة الاولى الصنعانية

حَدَّثَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ لَمَّا اقْتَعَدْتُ غَارِبَ الِاغْتِرَابِ * وَأَنَأْتُنِي الْمُتْرَبَةُ مِنَ الْأَتْرَابِ * طَوَّحَتْ بِي طَوَائِحُ الزَّمَنِ * إِلَى صَنْعَاءِ الْيَمَنِ * فَدَخَلْتُهَا خَاوِيَ الْوِفَاضِ * بَادِيَ الْإِنْفَاضِ *

لا أملك بُلغة * ولا أجد في جرابي مُضغة * فطفقت أجوب طُرقاتها مثل الهائم * أجول
في حومانها جولان الحائم * وأرود في مسارح لحاتي * ومسابح غدواتي وروحاتي * كريما
أخلق له دِيباجتي * وأبوح إليه بحاجتي * أو أدبيا تفرج رؤيته غمتي * وتروي روايته غلتي *
حتى أدنتني خاتمة المطاف * وهدتني فاتحة الألطاف * إلى نادٍ رحيب * محتوٍ على حامٍ
ونحيب * فولجت غابة الجمع * لأسبر مجلبة الدمع * فرأيتُ في بهرة الحلقة * شيخا
شخت الحلقة * عليه أهبة السياحة * وله رنة النياحة * وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه *
ويقرع الأسماع بزواجر وعظه * وقد احاطت به أخلاط الزمر * إحاطة الهالة بالقمر * والأكمام
بالثمر * فدلفت اليه لأقتبس من فوائده * وألتقط بعض فرائده * فسمعته يقول حين خب
في مجاله * وهدرت شقاشق ارتجاله * أيها السادر في غلوائه * السادل ثوب خيلائه *
الجامح في جهالاته * الجانح الى خزعبلاته * إلام تستمر على غيك * وتستمري مرعى
بغيك * وحتام تتناهى في زهوك * ولا تنتهي من لهوك * تبارز بمعصيتك * مالك
ناصيتك * وتجتري بقبيح سيرتك * على عالم سريرتك * وتتوارى من قريبك * وأنت
بمرأى رقيبك * وتستخفي من مملوكك * وما تخفى خافية على مليكك * أتظن أن
ستنفعك حالك * إذا آن ارتحالك * أو ينقذك مالك * حين توبقك أعمالك * أو يغني
عنك ندمك * إذا زلت قدمك * أو يعطف عليك معشرك * يوم يضمك محشرك *
هلا انتهجت محجة أهتدائك * وعجلت معالجة دائك * وفللت شباة امتدائك * وقدمت

نفسك فهي أكبر أعدائك * أما الحمام فمبعادك * فما اعدادك * وبالمشيب إنذارك *
فما اعذارك * وفي اللحد مقيلك * فما قبلك * وإلى الله مصيرك * فمن نصيرك * طالما
أيقظك الدهر فتنا عست * وجذبك الوعظ فتقاعست * وتجلت لك العبر فتعاميت *
وحصحص لك الحق فما ربت * وأذكرك الموت فتناسيت * وأمكنك أن تواسي فما
آسيت * تؤثر فلما تؤمه * على ذكر تعبه * وتختار قصرا تعلله * على بر توليه * وترغب
عن هادٍ تستهديه * الى زادٍ تستهديه * وتغلب حب ثوب تشتهيه * على ثواب تشتريه *
يواقيت الصلات * أعلق بقلبك من مواقيت الصلوة * ومغالاة الصدقات * آثر
عندك من موالاة الصدقات * وصحاف الألوان * أشهى اليك من صحائف الأديان *
ودعابة الأقران * آنس لك من تلاوة القرآن * تأمر بالعرف وتنتهك حماه * وتحمي عن
النكر ولا تتحاماه * وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه * وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه * ثم أنشد

نظم

* تبا لطالب دنيا * تنى اليها انصبابة *
* ما يستفيق غراما * بها وفرط صبابة *
* ولو درى لكفاه * مما يروم صبابة *

ثم إنه لبد حاجته * وغيض مجاجته * واعتضد شكوته * وتابط هراوته * فلما رنت
الجماعة الى تحفزه * ورأت تأهبه لمزايلة مركزه * أدخل كل منهم يده في جيبه * فأنعم

له سَجْلا من سَيْبِه * وقالَ اصْرِفْ هذا في انْفقتِك * اوفَرِّقْه على رُفْقتِك * فقَبِلَه منهم مُغْضياً *
وانْثنى عنهم مُثْنِياً * وجعَلَ يُوَدِّعُ مَن يُشَيِّعُه * لِيَخْفى عليهم مَهْيَعُه * ويُسَرِّبُ مَنْ يَتْبَعُه *
لِكَيْ يُجْهَلَ مَرْبَعُه * قالَ الحارثُ بْن همام فاتَّبعتُه مُوارِياً عنه مِياني * وقفوتُ اثَرَه مِنْ
حَيْثُ لا يَرانِي * حَتَّى انْتَهى الى مَغارةٍ * فانْسابَ فيها على فَرارةٍ * فامْهَلْتُه رَيْثما خَلَعَ
نَعْلَيْه * وغَسَلَ رِجْلَيْه * ثُمَّ هَجَمْتُ عليه * فوَجدتُه مُحاذِياً لِتِلْمِيذٍ * على خُبْزِ سَمِيذٍ * وجَدْيٍ
حَنِيذٍ * وقُبالَتَهُما خابِيَةُ نَبِيذٍ * فقُلْتُ يا هذا أيَكُونُ ذاكَ خَبَرَك * وهٰذا مَخْبَرَك * فنَزَفَرَ
زَفْرَةَ القَيْظِ * وكادَ يَنْمَيِّزُ مِنَ الغَيْظِ * ولم يَزَلْ يُحَمْلِقُ إِلَيَّ * حَتَّى خِفْتُ انْ يَسْطُوَ عَلَيَّ * فلَمَّا

نظم

اَنْ خَبَتْ نارُه * وتَوارى أُوارُه * انْشَدَ *

* لَبِسْتُ الْخَمِيصَةَ ابْغِي الْخَبِيصَةَ * وانْشَبْتُ شِصّى فِي كُلِّ شِيصَةِ *
* وَصَيَّرْتُ وَطْيِي أُحْبُولَةَ * ارِيغُ القَنِيصَ بِها والقَنِيصَةِ *
* وَالْحانِي الدَّهْرُ حَتَّى وَلَجْتُ * بِلُطْفِ احْتِيالِي عَلَى اللَّيْثِ عِيصَهْ *
* على انَّنِي لَمْ اَهَبْ صَرْفَه * ولا نَبَضَتْ لِي مِنْهُ فَرِيصَةِ *
* ولا شَرَّعَتْ بِي على مَوْرِدٍ * يُدَنِّسُ عِرْضِي نَفْسٌ حَرِيصَةِ *
* وَلَوْ انْصَفَ الدَّهْرُ فِي حُكْمِهِ * لَما مَلَّكَ الْحُكْمَ اهْلَ النَّقِيصَةِ *

ثُمَّ قالَ لِي اُدْنُ فكُلْ * وانْ شِئْتَ فقُمْ وقُلْ * فالْتفتُّ الى تِلْمِيذِه وقلتُ مَزَمْتُ عليكَ
بِمَنْ يَسْتَدْفِعُ بِهِ الاذى * لَتُخْبِرُنِّي مَنْ ذا * فقالَ هٰذا ابوزيدِ السَّرُوجِيُّ مِراجُ الْغُرَباءِ *

وتاجُ الادَباءِ * فانْصَرَفْتُ من حيثُ اَتَيْتُ * وقَضَيْتُ العَجَبَ مِمَّا رَأَيْتُ *

المقامة الثانية الحلوانية

حَكَى الحارثُ بْنُ هَمّامٍ قالَ كَلِفْتُ مُذْ مِيطَتْ عَنِّي التَّمائِمُ * ونِيطَتْ بِيَ العَمائِمُ * بانْ
اَغْشى مَعانَ الادَبِ * وانْضِيَ اليه رِكابَ الطَّلَبِ * لِاَعْلَقَ منه بما يكونُ لي زينةً بينَ
الانامِ * ومُزْنةً عندَ الاوامِ * وكُنْتُ لفَرْطِ اللَّهَجِ باقْتباسِه * والطَّمَعِ في تقَمُّصِ لِباسِه * اُباحِثُ
كُلَّ مَنْ جَلَّ وقَلَّ * واَسْتَسْقِي الوَبْلَ والطَّلَّ * واتَعَلَّلُ بعسى ولعَلَّ * فلمَّا حَلَلْتُ حُلْوانَ *
وقد بَلَوْتُ الاِخْوانَ * وسَبَرْتُ الاَوْزانَ * وخَبَرْتُ ما شانَ وزانَ * اَلْقَيْتُ بها الى ابا زيدنِ
السَّروجيِّ يَتَقَلَّبُ في قوالِبِ الانتسابِ * ويَخْبِطُ في اساليبِ الاكتسابِ * فَيَدَّمِي
تارةً اَنَّه من آلِ ساسانَ * ويَعْنَزِي مرَّةً الى اقْيالِ غَسّانَ * ويَبْرُزُ طَوْراً في شِعارِ الشُّعَراءِ *
ويَلْبَسُ حِيناً كِبَرَ الكُبَراءِ * يَبْدُو انَّه مع تَلَوُّنِ حالِه * وتَبَيُّنِ مُحالِه * يَتَحَلَّى بِرُواءٍ ورِوايةٍ *
ومُداراةٍ ودِرايةٍ * وبَلاغةٍ رائِعةٍ * وبَدِيهَةٍ مُطاوِعةٍ * وآدابٍ بارِعةٍ * وقَدَمٍ لاَعْلامِ
العُلومِ فارِعةٍ * فكانَ لِمَحاسِنِ آلاتِه * يَلْبَسُ على مِلاَّتِه * ولِسَعَةِ رِوايَتِه * يُصْبى الى رُؤْيَتِه *
ولِخَلابَةِ عارِضَتِه * يُرْغَبُ من مُعارَضَتِه * ولعُذُوبَةِ ايرادِه * يُسْعَفُ بمُرادِه * فتَعَلَّقْتُ
بِاَهْدابِه * لِخَصائِصِ آدابِه * ونافَسْتُ في مُصافاتِه * لِنَفائِسِ صِفاتِه *

شعر

* فَكُنْتُ بِه اَجْلُو هُمُومِي واَجْتَلِي * زَمانِي طَلْقَ الْوَجْهِ مُلْتَمِعَ الضِّيا *
* اَرَى قُرْبُهُ قُرْبِي ومَغْنَاهُ غُنْيَةً * ورُؤْيَتُهُ رِيًّا ومُحْيا لِيَ حَيا *

ولبثنا على ذلك برهة * ينشيء لى كل يوم نزهة * ويدرأ عن قلبى شبهة * الى ان جدحت
له يد الاملاق * كاس الفراق * واغراه عدم العراق * بتطليق العراق * ولفظته معاوز
الارفاق * الى مفاوز الاملاق * ونظمه في سلك الرفاق * خفوق راية الاخفاق * فشحذ
للرحلة فرار عزمته * وظعن يقتاد القلب بازمته *

نظم

* فما راقني من لاقني بعد بعده * ولا شاقني من ساقني لوصاله *
* ولا لاح لى مذ ندّ ندّ لفضله * ولا ذو خلال حاز مثل خلاله *

واستسر عني حينا * لا اعرف له مرينا * ولا اجد عنه مبينا * فلما ابت من غربتي * الى
منبت شعبتي * حضرت دار كتبها التي هي منتدى المتادبين * وملتقى الفاطنين
منهم والمتغربين * فدخل ذو لحية كثة * وهيئة رثة * فسلم على الجلاس * وجلس في اخريات
الناس * ثم اخذ يبدي ما في وطابه * ويعجب الحاضرين بفضل خطابه * فقال لمن
يليه * ما الكتاب الذى تنظر فيه * فقال ديوان ابى عبادة * المشهود له بالاجادة * فقال
هل عثرت فيما لحته * على بديع استملحته * فقال نعم قوله *

شعر

* كانما تبسم عن لؤلؤ * منضد او برد او اقاح *

فانه ابدع في التشبيه * المودع فيه * فقال له يا للعجب * ولضيعة الادب * لقد
استسمنت يا هذا ذا ورم * ونفخت في غير ضرم * اين انت عن البيت الندر * الجامع
مشبهات الثغر * وانشد *

نظم

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه * وزانه شنب ناهيك من شنب *
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن اقاح وعن طلع وعن حبب *

فاستجادة من حضر واستحلاه * واستعاده منه واستملاه * وسئل لمن هذا البيت *
وهل حي فاثله ام ميت * فقال ايم الله للحق احق ان يتبع * وللصدق حقيق بان
يستمع * انه يا قوم * لنجيبكم مذ اليوم * قال فكان الجماعة ارتابت بعزوته * وابت
تصديق دعوته * تتوجس ما هجس في افكارهم * وفطن لما بطن من استنكارهم * وحاذ ران
يفرط اليه ذم * او يلحقه وصم * فقرأ ان بعض الظن اثم * ثم قال يا رواة القريض *
واساة القول المريض * ان خلاصة الجوهر تظهر بالسبك * ويدا لحق تصدع رداء
الشك * وقد قيل فيما غبر من الزمان * عند الامتحان يكرم الرجل او يهان * وها انا
قد عرضت خبيئتي للاختبار * وعرضت حقيبتي على الاعتبار * فابتدر * احد من
حضر * وقال اعرف بيتا لم ينسج على منواله * ولا سمحت قريحة بمثاله * فان آنرت
اجتلاب القلوب * فانظم على هذا الاسلوب * وانشد

شعر

* فامطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد *

فلم يكن الا كلمح البصر او اقرب * حتى انشد واغرب *

نظم

* ما لثها حين زارت نضو برقعها * القاني وايداع سمعي اطيب الخبر *
* فزحزحت شفقا غشى سنا قمر * وسا قطت لؤلؤا من خاتم مطر *

المقامة الثالثة القيلية

رَوى الحارثُ بْنُ هَمَّام * قال نَظَمني واخْدانًا لي نادٍ * لم يَخِبْ فيه مُنادٍ * ولا كَبَا قَدْحُ زِنادٍ * ولا ذَكَتْ نارُ مِنادٍ * فَبَيْنَا نحنُ نَتَجاذَبُ أَطْرافَ الأَناشِيد * ونَتَوارَدُ طُرَفَ الأَسانيد * إِذْ وَقَفَ بنا شَخْصٌ مليهٌ سَمَلٌ * وفي مَشْيِهِ قَزَلٌ * فقالَ يا أَخائِرَ الذَّخائِرِ * وبَشائِرَ العَشائِرِ * مُوا صَباحًا * وانْعِمُوا اصْطِباحًا * وانْظُرُوا إِلى مَنْ كانَ ذا نَدِيّي ونَدِيّ * وجِدَةٍ وجَدِيّ * وعَقارٍ وقُرَيّ * ومَقارٍ وقِرِيّ * فَما زالَ بِهِ قُطوبُ الخُطوب * وحُروبُ الكُروب * وشَرُ شَرِّ الحُمود * وانْتِيابُ النُّوبِ السُّود * حَتّى صَفِرَتِ الرَّاحَةُ * وقَرِعَتِ السّاحَةُ * وغارَ المَنْبَعُ * ونَبا المَرْبَعُ * واقْوى المَجْمَعُ * وأَقَضَّ المَضْجَعُ * واسْتَحالَتِ الحالُ * وأَعْوَلَ العِيالُ * وخَلِتِ المَرابِطُ * ورَحِمَ الغابِطُ * وأَوْدى النّاطِقُ والصّامِتُ * ورَثى لنا الحاسِدُ والشّامِتُ * وأَلْنا لِلدَّهْرِ المُوقِعِ * والفَقْرِ المُدْقِعِ * الى أَنِ احْنَذَيْنا الوَجى * واغْتَذَيْنا الشَّجا * واسْتَبْطَنّا الجَوى * وطَوَيْنا الأَحْشا * على الطَّوى * واكْتَحَلْنا السُّهادَ * واسْتَوْطَنّا الوِهادَ * واسْتَوْطَأْنا العِتادَ * وتَناسَيْنا الأَقْتادَ * واسْتَطَبْنا الحَبَنَ المُجْناحَ * واسْتَبْطَأْنا اليَوْمَ المُناحَ * فَهَلْ مِنْ حُرٍّ آسٍ * او سَبِيحٍ مُواسٍ * فَوالّذي اسْتَخْرَجَني مِنْ قَيْلَهَ * لقد امْسَيْتُ اخا عَيْلَهَ * لا امْلِكُ بَيْتَ لَيْلَهَ * قال الحارث بن هَمّام فَاوَيْتُ لِمَفاقِرِهِ * ولَوَيْتُ الى اسْتِنْباطِ فَقْرِهِ * فَابْرَزْتُ لهُ دينارًا * وقُلْتُ لهُ اخْتَبِرْهُ * ان مَدَحَتْهُ نَظْمًا * فهو لَكَ حَتْمًا * فانبرى يُنْشِدُ في الحال * من غيرِ انتحال

نظم

اَكْرِمْ بِهِ اَصْفَرَ رافَتْ صُفْرَتُهُ * جَوّابَ آفاقٍ تَرامَتْ سَفْرَتُهُ *

فَحارَ الحاضِرُونَ لِبَداهَتِهِ * وَاعْتَرَفُوا بِنَزاهَتِهِ * فَلَمّا آنَسَ اسْتِئْناسَهم بكلامِهِ * وَانْصِبابَهم الى شِعْبِ اكرامِهِ * اَطْرَقَ كَطَرْفَةِ العَيْنِ * ثم قال ودُونَكُم بَيْتَيْنِ آخَرَيْن * وانْشَدَ *

نظم

* وَاقْبَلَتْ يَوْمَ جَدَّ البَيْنُ في حُلَلٍ * سُوْدٍ تَعَضْ بَنانَ النّادِمِ الحَصِرِ *

* فَلاحَ لَيْلٌ على صُبْحٍ اَقَلَّهُما * غُصْنٌ وضَرَّسَتِ البِلّورَ بالدُّرَرِ *

فحينَئِذٍ اسْتَسْنى القَوْمُ قِيمَتَهُ * واسْتَغْزَرُوا دِيمَتَهُ واجْمَلُوا مِشْرَتَهُ * وجَمَلُوا قِشْرَتَهُ * قال المُخْبِرُ بِهٰذِهِ الحِكايَةِ * فلمّا رأَيْتُ تَلَهُّبَ جَذْوَتِهِ * وتَأَلُّقَ جَلْوَتِهِ * امْعَنْتُ النَّظَرَ في تَوَسُّمِهِ * وسَرَحْتُ الطَّرْفَ في مِيسَمِهِ * فاذا هو شَيْخُنا السَّرُوجِيّ * وقد اقْمَرَ لَيْلُهُ الدَّجُوجِيّ * فَهَنّأْتُ نَفْسي بِمَوْرِدِهِ * وابْتَدَرْتُ اسْتِلامَ يَدِهِ * وقلتُ لهُ مَا الَّذي اَحالَ صِفَتَكَ * حَتّى جَهِلْتُ مَعْرِفَتَكَ * وَاَيُّ شَيْءٍ شَيَّبَ لِحْيَتَكَ * حَتّى انْكَرْتُ حِلْيَتَكَ * فانشأَ يقولُ *

نظم

* وَقْعُ الشَّوائِبِ شَيَّبَ * وَالدَّهْرُ بِالنّاسِ قُلَّبَ *

* اِنْ دانَ يَوْمًا لِشَخْصٍ * فَفي غَدٍ يَتَقَلَّبُ *

* فَلا تَثِقْ بِوَمِيضٍ * مِنْ بَرْقِهِ فهو خُلَّبُ *

* وَاصْبِرْ اذا هَوَ اَضْرى * بِكَ الخُطوبَ والنَّبُ *

* فما عَلَى التِّبْرِ عارٌ * في النّارِ حِبْنَ يُقَلَّبُ *

ثم نَهَضَ مُفارِقًا مَوْضِعَهُ * ومُسْتَصْحِبًا القُلوبَ مَعَهُ *

ما ثُورةً سُمْعَتُه وشُهْرتُه * قد اُوْدِعَتْ سِرَّ الغِنى اَسِرَّتُه

وقارَنَتْ نَجْحَ المَسَاعِي خَطْرَتُه * وحُبِّبَتْ الى الانام غُرَّتُه

كَاَنَّما مِنَ القُلوبِ نُقْرَتُه * به يَصُوْلُ مَن حَوَتْه صُرَّتُه

وِاِنْ تَفانَتْ اوتَوانَتْ مِتْرَتُه * يا حَبَّذا نُضارُهُ ونَضْرَتُه

وحَبَّذا مَغْناتُه ونُصْرتُه * كَمْ آمِرٍ به اسْتَتَبَّتْ اِمْرَتُه

ومُتْرَفٍ لولاه دامَتْ حَسْرتُه * وجَيْشِ هَيْمٍ هَزَمَتْه كَرَّتُه

وبَدْرِ تِمٍّ اَنْزَلَتْه بَدْرَتُه * ومُسْتَنِيْطٍ تَتَلَظّى جَمْرتُه

اَسَرَّ نَجْواه فلا نَتْ شِرَّتُه * وكم اسيرٍ اَسْلَمَتْه اُسْرَتُه

اَنْقَذَهُ حَتّى صَفَتْ مَسَرَّتُه * وحَقِّ مولى اَبْدَعَتْه فِطْرَتُه

لَوْلا التُّقى لَقُلْتُ جَلَّتْ قُدْرتُه * ثم بَسَطْتُ يَدَهُ * بعدما اَنْشَدَهُ * وقال اَنْجِزْ حُرًّا ما وَعَدَ * وسَحَّ خالٌ اَذْرَعَدَ * فَنَبَذْتُ الدِّيْنارَ اليه * وقلتُ خُذْه فَبِرَمّا سُوْفٍ عليه * فوَضَعَهُ في فِيْه * وقال بارِكَ اللّٰهُمَّ فيه * ثم شَمَّرَ للاِلْتِناءِ * بعد تَوْفِيَةِ الثَّناءِ * فَنَشَأَتْ لي من نَكاهَتِه نَشْوَةُ غَرامٍ * سَهَّلَتْ عليَّ اِلْتِنافَ اغْتِرامٍ * فَجَرَدْتُ دِينارًا آخَرَ * وقُلْتُ هل لكَ في اَنْ تَذُمَّهُ * ثم تَضُمَّهُ * فَاَنْشَدَ مُرْتَجِلًا * وشَدا عَجِلًا

نظم

تَبّاً له من خادِعٍ مُمَاذِقٍ * اَصْفَرَ ذي وَجْهَيْنِ كالمُنافِقِ *

يُبْدي بوَصْفَيْنِ لِعَيْنِ الرّامِقِ * زِينَةَ معشوقٍ ولَوْنَ عاشِقِ *

وحُبُّه عند ذَوِي الحَقائِقِ * يَدْعُو الى اِرْتِكابِ سُخْطِ الخالِقِ

لَوْلاه لم تُقْطَعْ يَمِيْنُ سارِقِ * ولا بَدَتْ مُظْلِمَةٌ من فاسِقِ

ولا اشْمَأَزَّ باخِلٌ من طارِقِ * ولا شَكا المَطْلُولُ مَطْلَ العائِقِ

ولا اسْتَعاذَ من حَسودٍ راشِقِ * وشَرِّ ما فيه من الخَلائِقِ

اَنْ لَيْسَ يُغْنِي عَنْكَ في المَضائِقِ * اِلّا اِذا فَرَّ فِرارَ الآبِقِ

واهًا لَمَنْ يَقْذِفُه مِنْ حالِقِ * ومَنْ اذا ناجاه نَجْوَى الوامِقِ

قال له قَوْلَ المُحِقِّ الصّادِقِ * لا رأْيَ في وَصْلِكَ لي فَفارِقِ

فقلتُ له اما اَعْزَرَ وَبْلَكَ * فقال والشَّرْطُ اَمْلَكُ * فنَغَّمْتُه بالدِّينارِ الثّاني * وقلتُ له عَوِّذْهما بالمِثْناني * فَاَلْقاهُ في فَمِهِ * وقَرَنَهُ بِتَوْأَمِهِ * وانْكَفَأَ يَحْمَدُ مَغْداه * ويَمْدَحُ النّادِيَ ونَداهُ * قال الحارثُ بْنُ هَمّامٍ فَنا جاني قَلْبي بِاَنَّه اَبو زَيْدٍ * وَاَنَّ تَعارُجَهُ لِكَيْدٍ * فاسْتَعَدْتُه وقلتُ له قد عُرِفْتَ بِوَشْيِكَ * فاسْتَقِمْ في مَشْيِكَ * فقال اِنْ كُنْتَ اَبْنَ هَمّامٍ * فَحُيِّيْتَ بالاِكْرامِ * وحُيِّيْتَ بَيْنَ كِرامٍ * فقلتُ اَنا الحارثُ * فكَيْفَ حالُكَ والحَوادِثُ * قال اَتَقَلَّبُ في الحالَيْنِ بُؤْسٍ ورَخاءٍ * واَنْقَلِبُ مع الرِّيْحَيْنِ زَعْزَعٍ ورُخاءٍ * فقلتُ فكَيْفَ اَدْمَيْتَ القَزَلَ * وما مِثْلُكَ مَنْ هَزَلَ * فاسْتَسَرَّ بِشْرُه الذي كان تَجَلّى * ثم اَنْشَدَ حِيْنَ وَلّى *

نظم

تَعارَجْتُ لا رَغْبَةً في العَرَجِ * ولٰكِنْ لِاَقْرَعَ بابَ الفَرَجِ

وُالْقِى حَبْلِي عَلى غارِبِهْ * وَاسْلُكَ مَسلكَ مَنْ قد مَرَج

فِانْ لاَمَنِى الْقَوْمُ قلتُ اعْذِرُوْا * فَلَيْسَ عَلَى اَمْرَجٍ مِن حَرَج

المقامة الرابعة الدمياطية

اخبرالحارثُ بن همّام قال اَظْعنتُ الى دِمْياط * عامَ هِياطٍ ومِياطٍ * وَانَا يَوْمئِذٍ مَرْمُوْقُ

الرِّخاء * مُوْمُوْقُ الاِخاء * اَسْحَبُ مَطارِفَ الثَّراء * اَجْتلِى مَعارِفَ السَّرَّاء * فرافَقْتُ

صَحْبًا قد شَقُّوا عَصَا الشِّقاق * وَارْتَضَعُوا اَثَاوِيقَ الْوِفاق * حَتّى لاَحُوا كَاَسْنانِ الْمُشْطِ فى

الاستواء * وكالنَّفْسِ الْواحدةِ فِي التِيام الاَهْواء * وكُنَّا مع ذلك نَسِيْرُ النَّجاءَ * ولانَرْحلُ

الاَّ كُلَّ هَوْجاءَ * واذا انَزَلْنا مَنْزِلاً * اووَرَدْنا مَنْهَلاً * اِخْتَلَسْنا اللُّبْثَ * ولم نُطِلِ الْمُكْثَ *

فَعَنَّ لنا اِعْمالُ الرِّكاب * فى ليلةٍ فَتِيَّةِ الشَّباب * غُدافِيَّةِ الاِهاب * فَاَسْرَيْنا الى اَنْ نَضا اللَّيْلُ

شَبابَه * وسَلَتَ الصُبْحُ خِضابَه * فِحِنَ مَلَلْنا السُّرى * مِلْنا الى الكَرى * صادَفْنا اَرْضًا

مُخْضَلَّةَ الرُّبا * مُعْتَلَّةَ الصَّبا * فتَخَيَّرْناها مُناخًا لِلْعِيْس * ومَحَطًّا لِلتَّعْرِيس * فلَمَّا حَلَّها

الخَلِيطُ * وَهَدا بِها الاَ طِبُّ والغَطِيطُ * سَمِعْتُ صَيِّتًا مِنَ الرِّجال * يقولُ لِسَمِيرِهِ فى

الرِّحال * كيف حُكْمُ سِيرَتِكَ * مَعَ جِمْلِكَ وجَيْرَتِكَ * فقالَ اَرْمى الْجارَ * ولَوْجارَ *

واَبْذُلُ الْوِصالَ * لِمَنْ صالَ * واَحتملُ الْخَلِيطَ * ولَوْاَبْدى التَّخْلِيطَ * واُوَدُّ الْحَمِيمَ *

ولوجَرَّعَنِى الْحَمِيمَ * واُفَضِّلُ الشَّفِيقَ * عَلَى الشَّقِيق * واَفِي لِلْعَشِيْر * وان لم يُكافِئِى

بالعشير * وَاَسْتَقِلُّ الْجَزِيلَ * لِلنَّزِيل * واَغْمُرُ الزَّمِيلَ * بالجميل * وانْزِل سميرى *

مَنْزِلَهُ امِيرِى * واُحِلُّ اَنِيْسِى * مَحَلَّ رئِيسِي * واُوْدِعُ مَعارِفِى * عِوارِفِي * واُوْلِى

مَرافِقِي * مَرافِقِى * واُلِيْنُ مَقالِى * لِلْقالِي * واُدِيْمُ تَساؤُلِى * عَنِ السَّالِى *

وارضى مِن الْوَفاء * بالْلَفاء * واَقْنَعُ مِنَ الْجزاء * بَاقَلِّ الاَجْزاء * ولا اَتَظَلَّم * حينَ

اَظْلَم * ولا اَنْقِمُ * ولَوْلَدَغَنِى الاَرْقَمُ * فقال له صاحبُهُ وَيْكَ يا بُنَيَّ اِنَّمَا يُضَنُّ بِالضَّنين *

ويُنافَسُ فِى الثَّمين * لكن اَنَا لاَ اتِي * غَيْرَ الْمُواتِي * ولااَسِمُ الْعاتِي * بِمُراعاتِي * ولا اُصافِي *

من يأبى اِنْصافِي ولا اُواخِي * من يُلْغِى الاَواخِي * ولا اُمالِى مَنْ يُخَيِّبُ آمالِى * ولا اُبالِى *

بِمَنْ صَرَمَ حِبالِى * ولا اُدارِي * من جَهِلَ مِقْدارِي * ولا اُعْطِى زِمامِى * من يُخْفِرُ ذِمامِى *

ولا اَبْذُلُ وِدادِى * لِاَضْدادِي * ولا اَدَعُ اِيْعادِي * لِلْمُعادِي * ولا اَغْرِسُ الاَيادِي *

في اَرْضِ الاَعادِي * ولا اَسْمَحُ بِمواساتِى * لمن يَفْرَح بِمَساآتِى * ولا اُرى النِّفاتى *

الى مَن يُشْمَتُ بِوَفاتِى * ولا اَخُصُّ بِحِبائِى * الاَّ اَحِبَّائِى * ولا اَسْتَتِبُّ لِدائِى * غَيْرَ

اَوِدّائِى * ولا اُمَلِّكُ خُلَّتِى * مَنْ لا يَسُدُّ خَلَّتِى * ولا اُصْغِى نِيَّتِى * لِمَن يَتَمَنّى مَنِيَّتِى *

ولا اُخْلِصُ دُعائِى * لِمَنْ لا يُفْعِمُ وِعائِى * ولا اُفْرِغُ ثَنائِى * على مَنْ يُقَرِّغُ اِنائِى *

وَمَنْ حَكَم بِاَنْ اَبْذُلَ وتَخْزُنَ * والِيَن وتَخْشُنَ * واَذُوبَ وتجمُدَ * واَذكُو وتخمُدَ *

لاَ واللّٰهِ بل نَتَوازَنُ فى المقال * وَزْنَ الْمِثْقال * ونَتَحاذى فى الفَعال * حُذْوَ النِّعال * حتى

نأمَنَ التَّغابُنَ * ونُكْفَى التَّضائُنَ * والاَّفلَمِ اَعُلَّكَ وتُعِلُّنِى * واُقِلُّكَ وتستقِلُّنِى * واَجْتَرِحُ

لك وتَجْرَحُنِى * واَسْرَحُ اليك وتُسَرِّحُنِى * وكيف يُجتلبُ اِنْصافٌ بِضَيْمٍ * وانّى تَشْرُق

شمس مع غيم * ومتى اصحب ودّ بعسف * واي حرّ رضى بخطّة خسف * ولله ابوك اذ يقول

نظم

جزيت من اعلق بي ودّه * جزاء من يبغي على اسّه
وكلت للخلّ كما كال لي * على وفاء الكيل ابخسه
ولم اخسّره وشرّ الورى * من يومه اخسر من امسه
وكلّ من يطلب عندي جنى * فما له الا جنى غرسه
لا ابتغي الغبن ولا انثني * بصفقة المغبون في حسّه
ولست بالموجب حقّا لمن * لا يوجب الحقّ على نفسه
ورب مذاق الهوى خالني * اصدّه الودّ على لبسه
وما درى من جهله انني * اقضي غريمي الدين من جنسه
فاهجر من استعباك هجر القلى * وهبه كالملحود في رمسه
والبس لمن في وصله لبسة * لباس من يرغب عن انسه
ولا ترج الودّ ممن يرى * انّك محتاج الى فلسه

قال الحارث بن همام فلمّا وعيت ما دار بينهما * نقمت الى ان اعرف عينهما * فلمّا لاح ابن ذكاء * والحف الجوّ الضياء * غدوت قبل استقلال الركاب * ولا اصطداء الغراب * وجعلت استقري صوب الصوت الليليّ * واتوسّم الوجوه بالنظر الجليّ * الى ان

لمحت ابا زيد وابنه يتحادثان * وعليهما بردان رثّان * فعلمت انّهما نجيّا ليلتي * وصاحبا روايتي * فقصدتهما قصد كلفي بدمائتهما * راث لرثاثتهما * واجبتهما التحوّل الى رحلي * والتحكّم في كثري وقلّي * وطفقت اسير بين السيّارة فضلهما * واهزّ الاعواد المثمرة لهما * حتّى غمرا بالنحلان * واتخذا من الخلّان * وكنّا بمعرس تتبيّن منه بنيان القرى * وتتنوّر نيران القرى * فلمّا راى ابو زيد امتلاء كيسه * وانجلاء بؤسه * قال لي انّ بدني قد اتسخ * وثوبي قد رثّ * افتاذن لي في قصد قرية لاستحمّ * واقضي هذا المهمّ * فقلت اذا شئت فالسرعة السرعة * والرجعة الرجعة * فقال ستجد مطلعي عليك اسرع من ارتداد طرفك اليك * ثمّ استنّ استنان الجواد في المضمار * وقال لابنه بدار بدار * ولم نخل انّه غرّ * وطلب المفرّ * فلبثنا نرقبه رقبة اهلة الاعياد * ونستطلعه بالطلائع والروّاد * الى ان هرم النهار * وكاد جرف اليوم ينهار * فلمّا طال امد الانتظار * ولاحت الشمس في الاطمار * قلت لاصحابي قد تناهينا في المهلة * وتمادينا في الرحلة * الى ان اضعنا الزمان * وبان انّ الرجل مان * فتأهّبوا للظّعن * ولا تلوّوا على خضراء الدمن * ونهضت لاخدج راحلتي * واتحمّل لرحلتي * فوجدت ابا زيد قد كتب على القتب *

نظم

يا من غدا الى سامدا * ومساعدا دون البشر
لا تحسبن انّي نائنك من ملال او اشر

لٰكِنَّنِي مُذْ لم اَزَلْ * مِمَّن اذا طَعِمَ انْتَشَر

قال فاقرأتُ الحمامةَ القَتَبَ * لِيَعْذِرَهُ مَنْ كان عَتَبَ

فَاعْجَبُوا بخُرافَتِه * وتَعَوَّذُوا مِن آفتِه * ثمّ انّا طَعَنّا * ولَمْ نَدْرِ مَنِ اعْتاضَ مِنّا *

المقامة الخامسة الكوفيه

حكى الحارثُ بنُ همّام قال سَمَرْتُ بالكُوفةِ فى لَيْلةٍ اَدْيَمُها ذُولَوْنين * وقَمَرُها كنعويدٍ من لُجَيْنٍ * مع رُفْقةٍ غُذُوا بلِبانِ البَيان * وسَحَبُوا على سَحْبانَ ذَيْلَ النِّسْيان * ما فيهم الا مَنْ يُحْفَظ منه * ولا يُتَحَفَّظ منه * ويَمِيل الرَّفيقُ اليه ولا يَمِيل عنه * فَاسْتَهْوانا السَّمَرُ * الى اَنْ غَرَبَ القَمَرُ * وغَلَبَ السَّهَرُ * فلمّا رَوَّقَ اللَّيلُ البَهِيمُ * ولم يَبْقَ الّا النَّهِيمُ * سَمِعْنا مِنَ البابِ نَبَاةً مستنيخ * ثمّ تلتها صَكَّةٌ مُسْتفتِح * فقلنا مَن المُلِمُّ * فى اللَّيل المُدْلَهِمّ * فقال *

نظم

يا اَهْلَ ذا المَغْنى وُقيتم شَرًّا * ولا لَقِيتم ما بَقِيتم ضُرًّا

قد دَفَعَ اللَّيلُ الَّذى اكْفَهَرَّا * الى ذَرِيكم شَعِثًا مُغْبَرًّا

اَخَا سِفارٍ طالَ وَاسْبَطَرَّا * حَتّى اَنْثَنى مُحْقَوْقِفًا مُصْفَرًّا

مِثْلَ هِلالِ الاُفْقِ حِيْنَ اَفْتَرَّا * وقد عَرَا فِناءَكُمْ مُعْتَرًّا

وَامَّكم دُوْنَ الاَنامِ طُرًّا * يَبْغِى قِرىً منكم ومُستَقَرًّا

فَدُونَكُم ضَيْفًا قَنُوعًا حُرًّا * يَرْضى بِمَا اَحْلُولى وما اَمَرًّا

وَيَنْثَنِى عنكم يَنُثُّ البِرَّا * قال الحارث بن همام فلما خُلِينا بعُذوبةِ نُطْقِه * وعَلْمِنا ما وَراءَ بَرقِه * اِبْتَدَرْنا فَتْحَ الباب * وتَلَقَّيْناه بالتَّرحاب * وقلنا للغلامِ هَيَّا هَيَّا * وهُلُمَّ ما تَهَيَّأ * فقال الضَّيْفُ والَّذي اَحَلَّنى ذَرِيكُمْ * لا تَلَمَّظْتُ بِقِراكم * اَوْ تَضَمَّنوا لى اَنْ لا تَتَّخِذونى كَلًّا * ولا تَجَشَّموا لاَجْلِى اُكْلًا * فَرُبَّ اُكْلةٍ هاضت الآكِلَ * وحَرَمَتْهُ مَآكِلَ * وشَرُّ الاَضْيافِ مَن سَامَ التَّكليفَ * وآذى المُضِيفَ * وخصوصًا اذى يَعْلَق بالاجسام * ويُفْضِى الى الاَسْقام * وما قِيلَ فى المَثَلِ الَّذى سارَ سائرُه * خَيْرُ العَشاءِ سَوافِرُه * اِلّا لِيُعَجِّلَ النَّعَشِى * ويُجْتَنَبَ اَكْلَ اللَّيلِ الَّذي يُعَشِّى * اللّٰهُمَّ اِلّا اَنْ تَقْدَنا رُالجُوعُ * وتَحُولَ دُوْنَ الهُجُوعِ * قال فكاَنَّه اُطْلِعَ على اِرادَتِنا * فرمى عن قَوْسٍ عقيدَتِنا * لاَجَرَمَ اِنّا آنَسْناه بالتزامِ الشَّرْطِ * واَثْنَيْناه على خُلُقِه السَّبْطِ * فَلَمّا اَحْضَرَ الغُلامُ ما رَاجَ * واَذْكى بَيْنَنا السِّراجَ * تَاَمَّلْتُه فاِذا هو بوزيدٍ فقلتُ لصَحْبِى لِيَهْنِكُمُ الضَّيْفُ الوارِدُ * بلِ المَغْنَمُ البارِدُ * فاِنْ يَكُنْ اَفَلَ قَمَرُ الشِّعْرى فقد طَلَعَ قَمَرُ الشِّعْرِ * او اسْتَسَرَّ بَدْرُ النَّثْرةِ فقد تَبَلَّجَ بَدْرُ النَّثْرِ * فَسَرَتْ حُمَيّا المَسَرَّةِ فيهم * وطَارَتِ السِّنَةُ عن مَاقِيهم * ورَفَضُوا الدِّعَةَ الَّتي كانوا نَوَوْها * وثابُوا الَى نَشْرِ الفُكاهةِ بَعْدَ ما طَوَوْها * وابوزيدٍ مُكِبٌّ على اِعْمالِ يَدَيْه * حَتّى اِذا اسْتَرْفَعَ ما لَدَيْه * قلتُ له اَطْرِفْنا بغريبةٍ من غَرائبِ اَسْمارِكَ * اَوْ عجيبةٍ من عَجائبِ اَسْفارِكَ * فقالَ لقد بَلَوْتُ مِنَ العجائبِ ما لم يَرَهُ الرَّاؤُون * ولا رَوَاهُ الرّاوُون * وانّ مِنْ اَعْجَبِها ما اَنا مُنْتَهُ اللَّيلةَ فَبَيْلَ انتيابِكُم * ومَصيرى الى بابِكُم *

فاستخبرناه عن طُرفةِ مَرْآه * في مَسْرحِ مَسْراه * فقال اِنَّ مرامِيَ الغُرْبة * لَفَظَتْنِي الى
هٰذهِ التُّرْبة * وانا ذو مَجاعةٍ وبُوسى * وجِرابٍ كفُؤادِ اُمِّ مُوسى * فنَهَضْتُ حين
سَجا الدُّجى * على ما بي من الوَجى * لِارْتادَ مُضيْفاً * اواقْتادَ رَغيفاً * فسافَني حادِي
السَّغَب * والقَضاءُ المُكنّى ابا العَجَب * الى اَنْ وَقَفْتُ على بابِ دارٍ * فقلتُ على بَدارٍ *

نظم

حَيِّيتُم يا اَهْـلَ هٰذا المَنْزِلِ * ومِسْتُم في خَفْضِ عَيْشٍ خَضِلِ
ما عِنْدَكُمْ لِابْنِ سبيلٍ مُرْمِلٍ * يَضْوِ سُرىً خابِطِ ليلٍ اَلْيَلِ
جَوى الحَشى على الطَّوى مُشْتَمِلِ * ماذاقَ مُذْيَوْمانِ طَعْمَ مَاْكَلِ
ولا لهُ في اَرْضِكُمْ من مَوْئِلِ * وقد دجى جُنْحُ الظَّلامِ لِمُسْبَلِ
وهو مِنَ الْحَيْوة في تَمَلْمُلِ * فهَلْ بِهٰذا الرَّبْعِ عَذْبُ المَنْهَلِ
يقولُ لِي اَلْقِ عصاكَ وادْخُلِ * اَبْشِرْ بِيُسْرٍ وقِرىً مُعَجَّلِ

قال فبرز الَيَّ جَوْذَرٌ * عليه شَوْذَرٌ * وقال *

نظم

وحُرْمَةِ الشَّيْخِ الَّذي سَنَّ القِرى * واَسَّسَ المحجوجَ في اُمِّ القُرى
ما عِنْدَنا لطارِقٍ اِذا عَرى * سِوى الحديثِ والمُناخِ في الذَّرى
وكَيْفَ يَقْرِي مَنْ نَفى عنه الكَرى * طَوىً بَرى اَعْظُمَهُ لَمّا انبَرى
فما تَرى فيما ذَكَرْتُ ما تَـرى * فقلتُ ما اَصْنَعُ بمَنْزِلٍ اقْفَرِ *

ومُنْزِلٍ حِلْفِ فَقْرٍ * ولٰكِن يا فتى ما اسمُكَ * فقد فَتَنَنِي فَهْمُكَ * فقال اسمي زيدٌ *
ومَنْشائي فَيدٌ * ووَرَدتُّ الى هٰذه المَدَرةِ اَمْسِ * مع اَخْوالي من بَنِي عَبْسٍ * فقلتُ له
زِدْنِي اِيْضاحاً مِشْتَ ونُعِشْتَ * فقال اَخْبَرَتْنِي اُمِّي بَرَّةُ * وهي كاسِمِها بَرَّةٌ * اَنَّها نكحَتْ مامَ
الغارةِ بماوانَ * رجُلاً من سَراةِ سَرُوجَ وفَسّانَ * فلمّا آنسَ منها الاِنْفالَ * وكان
بائِعةً على ما يُقال * ظَعَنَ عنها سِرّا * وهُلِّمَ جَرّا * فما يُعرف اَحَيٌّ هو فيُتوقّع * اَمْ
اُودِعَ اللَّحْدَ البَلْقَعَ * قال ابو زيدٍ فعَلِمْتُ بصحّةِ العَلامات اَنَّه وَلَدِي * وصَدَفَني
عن التَّعَرُّفِ اِلَيْهِ صِفْـرُ يَدِي * فَفَصَلْتُ عنه بكَبِدٍ مرضوضةٍ * ودُموعٍ مفضوضةٍ *
فَهَلْ سَمِعْتُمْ يا اولى الالْباب * باَعْجَبَ مِنْ هٰذا العُجاب * قُلْنا لا ومَنْ عندهُ عِلْمُ
الكِتاب * فقال اَثْبِتوها في عَجائِبِ الاتّفاق * وخَلِّدوها بُطُونَ الاَوْراق * فما سُيِّرَ
مِثْلُها في الآفاق * فاَحْضَرْنا الدَّواةَ واَساوِدَها * ورَقَشْنا الحِكايةَ على ما سَرَدَها *
ثمّ استنبطناهُ من مُرْتاهُ * في استضمامِ فَتاهُ * فقال اذا ثَقُلَ رُدْنِي * خَفَّ عَلَيَّ اَنْ
اَكْفُلَ ابْنِي * فقلنا اِنْ كانَ يَكْفيكَ نِصابٌ من المالِ * اَلْفَناهُ لك في الحالِ *
فقالَ وكَيْفَ لا يُقْنِعُنِي نِصابٌ * وهل يَحْتَقِرُ قدرَهُ اِلّا مُصابٌ * قال الراوي فالْتَزَمَ
منه كُلَّ مِنّا قِسْطاً * وكَتَبَ له به قِطّا * فشكَرَ عند ذٰلك الصُّنْعَ * واسْتَنْفَدَ في الثَّناءِ الوُسْعَ *
حتّى انّا اسْتَطَلْنا القَوْلَ * واستقللنا الطَّوْلَ * ثمّ اِنّه نَشَرَ من وَشْيِ السَّمَرِ * ما اَزْرى
بالحِبَرِ * الى اَنْ اَطَلَّ التنويرُ * وجَشَرَ الصُّبْحُ المُنيرُ * فَقَضَّيْناها ليلةً غابَتْ شَوائِبُها * الى

ان شابَتْ ذوائبها * وكَمُلَ سُعودُها * الى اَنِ انْقطرَ عُودُها * ولَمَّا زَرْقَرْنَ الغَزالة * طَمرطُمورا الغزالة * وقالَ انهَضْ بنا لنَقبِضَ الصِّلاتِ * ونَستَنفِضَ الاحالاتِ * فَقدِ استطارَتْ صُدُوعُ كَبِدِى * من الحَنِينِ الى وَلَدِى * فوصَلتُ جَناحَهُ * حتّى سَنَيْتُ نَجاحَهُ * فحينَ اَحرَزَ العينَ فى صُرَّتِهِ * بَرَقَتْ اَسارِيرُ مَسَرَّتِهِ * وقالَ لى جُزِيتَ خيرًا من خُطا قَدَمَيك * واللّٰهُ خليفتى عليك * فقلتُ اُرِيدُ ان اَتبعَك لِاُشاهِدَ وَلَدَك النَّجيبَ * واُنافِئُهُ لكُما يُجيبُ * فنَظَرَ الَىَّ نَظْرَةَ الخادِعِ الى المخدوعِ * وضَحِكَ حتّى تَغَرغَرَتْ مُقْلَتاهُ بالدُّمُوعِ * ثم اَنشَدَ *

نظم

يا مَنْ تَظَنَّى السَّرابَ ماءً * لمّا رَوَيْتُ الذى رَوَيْتُ

ما خِلْتُ اَنْ يَستَسِرَّ مَكْرِى * وَاَنْ يُخيِّلَ الَّذى مَنَيْتُ

واللّٰهِ ما بَرَّةٌ بِعِرْسِى * ولا لِى ابْنٌ بِهِ اكْتَنَيْتُ

وانَّما لِى فُنُونُ سِحْرٍ * اَبْدَعْتُ فيها وما افْتَدَيْتُ

لم يَحْكِها الاَصْمَعِىُّ فيما * حَكَى ولا حاكَها الكُمَيْتُ

تَخْذُتُها وُصْلَةً اِلى ما * تَجْنِيهِ كَفِّى مَتَى اشْتَهَيْتُ

وَلَوْ تَعَا فَيْنُها لَحالَتْ * حالِى ولم اَحْوِما حَوَيْتُ

فَمَهِّدِ العُذْرَ او فسامِحْ * اِنْ كُنتُ اَجْرَمْتُ او جَنَيْتُ

ثم اِنَّهُ وَدَّعَنى ومضى * وَاَوْدَعَ قَلْبِى جَمْرًا لغَضا

المقامة السادسة المراغية وتعرف بالخيفاء

روى الحارث بن همام قال حضرْتُ ديوانَ النَّظر بالمَراغة * وقد جَرَى به ذِكْرُ البَلاغة * فاجتمعَ مَنْ حَضرَ من فُرسانِ البَراعة * وَاَرْبابِ البَراعة * على اَنَّه لم يَبْقَ مَنْ يُنقِّحُ الاِنشاءَ * ويتصرَّف فيه كيف شاءَ * ولا خَلَفَ * بَعْدَ السَّلَفِ * مَنْ يبتدعُ طريقةً غَرَّاء * اويفترعُ رِسالةً مَذْراءَ * وَاَنَّ المُفلِقَ من كُتّابِ هٰذا الاَوان * المتمكِّنَ من اَزِمَّةِ البيان * كالعِيالِ على الاَوائِل * ولو مَلَكَ فَصاحةَ سَحْبانِ وائِل * وكان بالمَجلِس * كَهْلٌ جالِسٌ * فى الحاشية * وعِنْدَ مَواقِفِ الحاشية * فكانَ كُلَّما شَطَّ العُومُ فى شَوْطِهم * ونَثَروا العَجْوةَ والنَّجوةَ مِنْ نَوْطِهم * يُنْبِئُ تَحازُرُ طَرْفِهِ * وتَشامُخُ اَنفِه * اَنَّه مُخْرِنبِقٌ لِيَنْباع * ومُجْرَمِزٌّ سَيُمَدُّ الباعَ * ونابِضٌ يَبْرِى النِّبالَ * ورابِضٌ يَبْغِى النِّضالَ * فلمّا نُثِلَتِ الكَنائِنُ * وفاءَتِ السَّكائِنُ * وركَدَتِ الزمائِعُ * وكُفَّ المُنازِعُ * اَقْبَلَ على الجماعة وقال لقد جِئتم شيأً اِدًّا * وجُرتم عَنِ القَصْدِ جِدًّا * وعظُمتُمُ العِظامَ الرِّفاتَ * وافْتَتَنْتُم فى المَيْلِ الى مَنْ فاتَ * وغَمَصْتُمْ جِيلَكُم الَّذين فيهِم لكُمُ اللِّدَاتُ * ومَعَهُمُ انعقدتِ المَوَدَّاتُ * اَنَسِيتُمْ يا جِهابِذَةَ النَّقدِ * ومَوابِذَةَ الحَلِّ والعَقْدِ * ما اَبرزَتْهُ طَوارِفُ القَرائِحِ * وبَرَّزَ فيه الجَذَعُ على القارِحِ * مِنَ العِباراتِ المُهذَّبة * والاستعاراتِ المُستعذَبة * والرَّسائِلِ المُوَشَّحة * والاساجيعِ المُستملَحة * وهل للقَدَماءِ اذا اَنْعَمَ النَّظَرُ * مِنْ حَضَرٍ * غيرُ المَعانِى المطروقةِ المَوارِدِ * المعقولةِ الشَّوارِدِ * المأثورةِ عنهم انقيادُ المَوالِدِ لتقدُّمِ الصادرِ على الوارِدِ * وانّى لاَعرِفُ

الآنَ مَنْ اذا انشا * وشى * واذا عبر * حبّر * واذا اسهب * اذهب * واذا اوجز *
اعجز * وان بدّه * شدّه * ومتى اخترع * خرع * نقال له ناظورة الديوان * وعين
اولئك الاعيان * مَنْ قارع هذى الصفاة * وقريع هذه الصفات * قال انّه قرن مجالك *
وقرين جدالك * واذا شئت فرض نجيبًا * وادع مجيبًا * لترى عجيبًا * فقال له يا هذا
انّ البغاث بارضنا لا تستنسر * والتمييز عندنا بين الفضة والقضة متيسّر * وقلّ من
استهدف للنضال * فخلص من الداء العضال * او استثار نقع الامتحان * فلم يفذ
بالامتهان * فلا تعرّض مرضك للمفاضح * ولا تعرض من نصاحة الناصح * فقال
كلّ امرء اعرف بوسم قدحه * وسيتفرّى الليل عن صبحه * فتناجت الجماعة فيما
يسبر به قليبه * ويعمد فيه تقليبه * فقال احدهم ذروه في حضني * لارميه بحجر قضني *
فانّها مضلة العقد * محكّ المنتقد * فقلّدوه في هذا الامر الزعامة * تقليد الخوارج
ابا نعامة * فاقبل على الكهل وقال اعلم انّي اوالي * هذا الوالي * وارقح حالي * بالبيان
الحالي * وكنت استعين على تقويم اودي * في بلدي * بسعة ذات يدي * مع قلّة
عددي * فلمّا نقل حاذي * ونفد زاذي * امّمته من ارجائي * برجائي * ودعوته
لاعادة روائي * وارواني * فهشّ للوفادة وارتاح * وغدا بالافادة وراح * فلمّا
استأنسته في المراح الى المراح * على كاهل المراح * قال قد ازمعت ان لا ازوّدك بناتا *
ولا اجمع لك شتاتا * او تنشئ امامك رحالك * رسالة تودعها شرح حالك * حروف

احدى كلمتيها يعمّها النقط * وحروف الاخرى لم يعجمن قطّ * وقد استانيت بياني
حولًا * فما احار قولًا * ونبهت فكري سنة * فما ازداد الّا سنة * واستعنت بقاطبة
الكتاب * فكلّ منهم خطب وتاب * فان كنت صدقت من وصفك باليقين * فأتِ بآية
ان كنت من الصادقين * فقال له لقد استسعيت يعبوبًا * واستسقيت اسكوبًا * واعطيت
القوس باريها * وانزلت الدار بانيها * ثم فكّر ريثما استجمّ قريحته * واستدرّ لقحته *
وقال له القِ دواتك * وخذ اداتك * واكتب * الكرم ثبّت الله جيش صعودك يزين *
واللؤم غضّ الدهر جفن حسودك يشين * والاروع يثيب * والمعور يخيب * والحلاحل
يضيف * والماحل يخيف * والسمح يغذي * والمحك يقذي * والعطاء ينجي * والمطال
يشجي * والدماء يقي * والمدح ينقي * والحرّ يجزي * والاطاط يخزي * واطراح ذي الحرمة
غيّ * ومحرمة بني الامال بغي * وماضنّ الاغبين * ولا غبن الاضنين * ولا خزن الاشقيّ *
ولا قبض راحة تقيّ * ومافتئ وعدك يفي * وآراءك تشفي * وحلمك يغضي * وهلالك
يضيء * وآلاءك تغني * واعداءك تثني * وحسامك يغني * وسؤددك يبني *
ومواصلك يجتبي * ومادحك يقتني * وسماحك يغيث * وسماءك تغيث * ودرك
يفيض * وردّك يغيض * ومؤمّلك سبخ حكاه في * ولم يبق له شيء * امّك بظنّ
حرصه يثب * ومدحك بنخب مهورها تجب * ومرامه يخفّ * واواصره تشفّ *
واطراءه يجتذب * وملامه يجتنب * ووراءه ضفف * مسّهم شظف * وحصّهم جنف *

وعمهم قشف * وهو في دمع يحيب * وولهٍ يذيب * وهم تضيق * وكمد نيف * لمامول خيب *
واهمال شيب * وعدو نيب * وهدو تغيب * ولم يزغ ودّه فيغضب * ولا خبث عوده
فيغضب * ولا نفث صدره فينقض * ولا نشز وصله فيبغض * وما يقتضي كرمك نبذ حرمه *
فبيض امله بتخفيف آله * ينفث حمدك بين عالمه * بقيت لاماطة شجب * واعطاء نشب *
ومداواة شجن * ومراعاة يفن * موصولا بخفض * وسرور فض * ما غشي معهد فني *
اوخشي وهم غيبي * والسلام * فلما فرغ من املاء رسالته * وجلّى في هيجاء البلاغة
من بسالته * ارضته الجماعة فعلا وقولا * واوسعته حفاوة وطولا * ثم سئل من اي
الشعوب نجاره * وفي اي الشعاب وجاره * فقال

نظم

غسان اسرتي الصميمة * وسروج تربتي القديمة
والبيت مثل الشمس اشراقا ومنزلة جسيمة
والربع كالفردوس * مطيبة ومنزهة وقيمة
واها لعيش كان لي * فيها ولذات عميمة
ايام اسحب مطرفي * في روضها ماضي العزيمة
اختال في برد الشبا * ب واجتلي النعم الوسيمة
لا اتقي نوب الزما * ن ولا حوادثه المليمة
فلو ان كرها متلف * لتلفت من كربي المقيمة

او يفتدى عيش مضى * لفديته مهجتي الكريمة
فالموت خير للفتى * من عيشه عيش البهيمة
تقتاده برة الصغا * ر الى العظيمة والهضيمة
ويرى المباع تنوشها * ايدي الضباع المستضيمة
والذنب للايام لو * لا شومها لم تنب شيمة
ولو استقامت كانت الاحوال فيها مستقيمة

ثم ان خبره نمى الى الوالي * فملأ فاه باللآلي * وسامه ان ينضوي الى احشائه * ويلي
ديوان انشائه * فاحسبه الحباء * وظلفه من الهلاية الاباء * قال الراوي وكنت عرفت
عود شجرته * قبل ايناع ثمرته * وكدت انبه على علو قدره * قبل استنارة بدره * فاوحى
الي بايماض جفنه * ان لا اجرد مضبه من جفنه * فلما خرج بطين الخرج * وفصل فائزا
بالفلج * شيعته قاضيا حق الرعاية * ولاحيا له على رفض الولاية * فامرض متبسما *
وانشد مترنما *

نظم

لجوب البلاد مع المتربه * احب الي من المرتبة
لان الولاة لهم نبوة * ومعتبة يا لها معتبه
وما فيهم من يرب الصنيع * ولا من يشيد ما رتبه
فلا يخدعنك لموع السرا * ب ولا تأت امرا اذا ما اشتبه

وكَمْ حالِمٍ سَرَّهُ حُلْمُـهُ * وأدْرَكَهُ الرَّوْعُ لَمَّا انْتَبه

المقامة السابعة البرقعيدية

حكى الحارثُ بنُ هَمّام قال أزمَعْتُ الشُّخـوصَ من بَرْقَعِيْد * وقد شِمْتُ بَرْقَ عِيْد * فكَرِهْتُ الرِّحْلَةَ من تلك المدينة * او اشْهدَ بها يَوْمَ الزِّينَه * فلمَّا اجْلَلَّ بقَرْضِهِ ونَقْلِهِ * وأجْلَبَ بخَيْلِهِ ورَجْلِهِ * اتبعتُ السُّنَّةَ في لُبْسِ الجديد * وبَرَزْتُ مَعَ مَنْ بَرَزَ للتَّعْييد * وحِيْنَ النّأمَ جَمْعُ المُصَلَّى وانْتَظَمَ * وأخَذَ الزِّحامُ بالكَظَم * طَلَعَ شَيْخٌ في شَمْلَتَيْن * محجوبُ المُقْلَتَيْن * وقد اعْتَضَدَ شِبْهَ المِخْلاة * واسْتَقادَ لعَجوزٍ كالسِّعْلاة * فوَقَفَ وَقْفَةَ منهانِتٍ * وحَيَّى تَحِيَّةَ خائِبٍ * ولمّا فَرَغَ من دُعائِهِ * اجالَ خَمْسَهُ في وِعائِهِ * فأبْرَزَ منه رِقاعاً قد كُتِبَتْ بألْوانِ الأصْباغ * في أوانِ الفَراغ * فَنَاوَلَهُنَّ عَجوزَهُ الحَيْزَبُون * وأمَرَها أنْ تَتَوَسَّمَ الزَّبُوْنَ * فمَنْ آنَسَتْ نَدى يَدَيْهِ * ألْفَتْ وَرَقَةً مِنْهُـنَّ لَدَيْهِ * قال فأتاحَ لِيَ القَدَرُ المعتوبُ * رُقْعَةً فيها مكتوبٌ *

نظم

لقـد أصْبحتُ موقوذًا * بأوْجاعٍ وأوْجالِ
و مَمْنُـوًّا بِمُخْتالٍ * و مُحْتـالٍ ومُغْتالِ
وخَوَّانٍ من الإخْوا * نِ قالٍ لِي لإقْلالِي
وإهْمـالٍ من العُمَّا * لِ في تَضْليعِ أعْمـالِي
فكَمْ أُصْلـى بأتْحال * وأمْحـالٍ وتَرْحالِي

وكَم أخْطِـرُ في بالٍ * ولا أخْطُـرُ في بالِ
فلَيت الدَّهْرَ لمّا جا * رَأطْفى لِيَ أطْفـالِي
فلَـوْ لا أنَّ أشْبالِيَ أغْلالِي وأمْلالِي
لَما جَهَّـزتُ آمالِي * إلى آلٍ ولا وَالِ
ولا جَرَّرتُ أذْيالِي * على مَسْحَبِ إذْلالِي
فمِحْرابِيَ آخَرِي بِي * وأسْمالِيَ أسْمِي لِي
فهل حُرٌّ يَرَى إتْخفيـ * ـفَ أثْقالِي بِمِثْقـالِ
ويُطْفِـي حَرَّ بَلْبالِي * بِسِرْبالٍ وسِرْوالِ

قال الحارث بن همام فلمّا اسْتَعْرَضْتُ حُلَّةَ الأبْيات تُقْتُ الى معرفة مُلْحِمِها * وراقَمْ عَلَمها * فناجاني الفِكْرُ بأنَّ الوُصْلةَ اليه العجوزُ * وأفْتاني بأنَّ حُلْوانَ المُعْرِفِ يَجوزُ * فرَصَدْتُها وهي تَسْتَقْرِئُ الصُّفوفَ صَفًّا صَفًّا * وتَسْتَوْكِفُ الأكُفَّ كَفًّا كَفًّا * وما إنْ يُنْجِحُ لها عَناءٌ * ولا يَرْشَحُ على يَدِها إناءٌ * فلمّا أكْدى استعطافُها * وكَدَّها مَطافُها * عادَتْ بالاسترجاع * ومالَتْ الى ارتجاعِ الرِّقاع * وأنْساها الشَّيطانُ ذِكْرَ رُقْعَتي * فلَمْ تَعُدْ الى بُقْعَتِي * وآبَتْ الى الشيخ باكيةً لِمُرِّ الزمان * شاكيةً تَحامُلَ الزَّمان * فقال إنّا لله * وأفَوِّضُ أمْرِي الى الله * ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا بالله * وانشد

نظم

لم يَبْقَ صافٍ ولا مُصافِ * ولا مَعِينٌ ولا مُعِينُ

وفى المساوى بدا التساوى * فلا امين ولا ثمين

ثم قال لها منّى النفس وعديها * واجمعى الرقاع وعدّيها * فقالت لقد مددتها لما استعددتها * فوجدت يد الضياع * قد خالت احدى الرقاع * فقال تعسا لك يا كاع * احرمين ويحك القفص والحبالة * والقبس والزبالة * انها لضغث على ابالة * فانصاعت تقنص مدرجها * وتنشد مدرجها * فلما انتهى قرنت بالرقعة * درهما وقطعة * وقلت لها ان رغبت فى المشوف المعلم * واشرت الى الدرهم * فبوحى بالسر المبهم * وان ابيت ان تشرحى * فحذى القطعة واسرحى * فمالت الى استخلاص البدر النم * والابلج الهم * وقالت دع جدالك * وسل عما بدا لك * فاستطلعتها طلع الشيخ وبلدته * والشعر وناسج بردته * فقالت ان الشيخ من اهل سروج * وهو الذى وشى الشعر المنسوج * ثم خطفت الدرهم خطفة الباشق * ومرقت مروق السهم الراشق * فخالج قلبى ان ابازيد هو المشار اليه * وتاجج كربى لمصابه بناظريه * وآثرت ان افاجئه وانا جيه * لاعجم عود فراستى فيه * وما كنت لاصل اليه الا بتخطى رقاب الجمع * المنهى منه فى الشرع * وخفت ان يتأذى بى قوم * او يسرى الى لوم * فسددت بمكانى * وجعلت شخصه قيد عيانى * الى ان انقضت الخطبة * وحقت الوثبة * فخففت اليه * وتوسمته على التحام جفنيه * فاذا المعيتى المعية ابن عباس * وفراستى فراسة اياس * فعرفته حينئذ شخصى * واثرته باحد قمصى * واهبت الى قرصى * فهش لعارفتى وعرفانى * ولبى دعوة رغفانى * فانطلق

ويدى زمامه * وظلى امامه * والعجوز ثالثة الاثافى * والرقيب الذى لا يخفى عليه خاف * ولما استحلس وكمنى * واحضرته عجالة مكنتنى * قال يا حارث * امعنا ثالث * فقلت ليس الا العجوز * فقال ما دونها سر محجوز * ثم فتح كريمتيه * ورأرأ بنوأمتيه * فاذا سراجا وجهه يقدان * كانهما الفرقدان * فابتهجت بسلامة بصره * وعجبت من غرائب سيره * ولم يلقنى قرار * ولا طاوعنى اصطبار * حتى سألته ما دعاك الى النعامى * مع سيرك فى المعامى * وجوبك الموامى * وايغالك فى المرامى * فتظاهر بالتكنة * وتشاغل باللهنة * حتى اذا قضى وطره * التأم الى نظره * وانشد *

نظم

ولما تعامى الدهر وهو ابو الورى * عن الرشد فى انحائه ومقاصده

تعاميت حتى قيل انى اخو عمى * ولا غرو ان يحذو الفتى حذو والده

ثم قال لى انهض الى المخدع فأتنى بغسول يروق الطرف * وينقى الكف * وينعم البشرة * ويعطر النكهة * ويشد اللثة * ويقوى المعدة * وليكن نظيف الظرف * اريج العرف * فتى الدق * ناعم السحق * يحسبه الامس دريرا * ويخاله الناشق كافورا * واقرن به خلالة نقية الاصل * محبوبة الوصل * انيقة الشكل * مدعاة الى الاكل * لها نحافة الصب * وصقال العضب * وانة الحرب * ولدونة الغصن الرطب * قال فنهضت كما امر * لا در أمنه الغمر * ولم افهم انه قصد ان يخدع * بادخالى المخدع * ولا تظنيت انه سخر من الرسول * فى استدعاء الخلالة والغسول * فلما عدت بالملتمس *

في اَقْرَبَ من رَجْعِ النَّفَس * وَجَدتُ الحَوَّقد خلا * والشيخُ والشَيْخةُ قد اَجفلا * فامتَشطتُ من مَكْرهِ غَضَبًا * وَاوغلْتُ في اثْرهِ طَلَبًا * فكان كمن قُمِسَ فى الماء * اوعُرِجَ به الى عَنان السَّماء *

المقامة الثامنة المعرّية

اخبر الحارث بن هَمَّام قال , أيتُ من اَعاجيبِ الزمان * اَنْ تَقدَّم خَصْمان * الى قاضى مَعَرَّةِ النُّعْمان * اَحَدُهما قد ذَهبَ منه الاَ طْيبان * والآخرُ كَانَّه قضيبُ البان * فقال الشيخُ اَيَّد اللّٰهُ القاضِى * كما اَيَّد به المنقاضىَ * اِنّه كانَتْ لى مملوكةٌ رشيقةُ القدّ * اَسيلةُ الخدّ * صَبورٌ على الكدّ * تَخُبُّ اَحْيانًا كالنَّهْد * وتَرْقُدُ اَطْوَارًا فى المَهْد * وتجدُ في تَمُوزَ مَسَّ البَرْد * ذاتُ عَقْلٍ وعنانٍ * وحَدٍّ وسنانٍ * وكَفٍّ بِبَنانٍ * وفَمٍ بلا اَسْنانٍ * تَلْدَغ بلسانٍ نَضْناضٍ * وتَرْفُل في ذَيْلٍ فَضْفاضٍ * وتُجْلَى في سَوادٍ وبياضٍ * وتُسقى ولكِنْ من غيرِ حِياضٍ * ناصحةٌ خَدَعةٌ * خُبأةٌ طُلَعةٌ * مطبوعةٌ على المنفعة * ومِطْواعةٌ فى الضِّيق والسَّعة * اذا قَطَعْتَ وَصَلتْ * ومتى فصلتَها عنك انفصلت * وطالما خَدَمتْك فَمَلَلْتْ * وربَّما جَنَتْ عليك فالَمْتَ ومَلَمَلْتَ * وانَّ هٰذا الفتى استَخدمَنيها لغَرَضٍ * فاَخدمتُه اياّها بلا عِوَضٍ * على اَنْ يَجتنِىَ نفعَها * ولا يُكلِّفَها الاّ وُسْعَها * فاَوْلجَ فيها مَتاعَه * واطالَ بها استمتاعَه * ثُمّ اعادَها وقد اَفْضاها * وبذَل عنها قيمةً لا اَرْضاها * فقال الحَدَثُ امّا الشيخُ فاَصْدَقُ من القَطا * وامّا الاِفضاءُ فَفَرَطَ عن خَطا * وقد رَهَنْتُه * عن اَرْشِ ما اَوْهنتُه * مملوكًا لى مُناسبَ الطَّرفَيْن * مُنتسِبًا الى القَيْن * نَقِيًّا من الدَّرَنِ والشَّيْن * يقارِن صَحْلةً

صَوادَ العين * يُغْشِى الاحسانَ * ويُنْشِئُ الاستحسانَ * ويُغْذِى الانسانَ * ويَتحامَى اللِّسانَ * ان سُوِّدِ جادَ * وان وَسَم اَجادَ * واذا زُوِّدَ وَهَبَ الزّادَ * ومتى استُزِيدَ زادَ * لا يَسْتَقِرُّ بمَغْنىً * وقلّما يَنْكِحُ الاّ مَثْنىً * يَسْخُو بموجودِه * ويَسْمُو عند جُودِه * ويَنْقادُ مع قَرِينَتِه * وان لم تَكُنْ من طِينَتِه * ويُستمتَع بزِيْنَتِه * وان لم يُطْمَع في لِيْنَتِه * فقال لهما القاضى اِمّا اَنْ تُبِينا * والاّ فَبِينا * فابتدرَ الغلامُ وقالَ *

نظم

اَعارَنِى اِبْرةً لاَرْفُو اَطْماَ * راَعفاها البِلى وسَوَّدَها
فَانْخرمتْ في يدى على خَطإٍ * مِنّى لَمّا جَذَبتُ مِقْوَدَها
فَلم يَرَ الشيخُ اَن يُسامِحَنى * بارْشِها اِذْ رَأى تأوُّدَها
بل قالَ هاتِ اِبْرةً تُماثِلها * اوقِيمةً بعد اَنْ تُجَوِّدَها
واعتاقَ مِيلِى رَهْنًا لَدَيْه ونا * هيْكَ بِهَا سُبَّةً تَزَوَّدَها
فالعَيْنُ مَرْهِى لَرِهْنه ويَدِى * تَقْصُرعن اَنْ تَفُكَّ مِرْوَدَها
فاسْبُرْ بذا الشّرحِ غَوْرَ مَسكنتى * وارْثِ لِمَنْ لم يَكُنْ تَعَوَّدَها

نظم

فاَقْبلَ القاضى على الشيخ وقال اِيْهِ * بغيرِ تمويهِ * فقال *

اُقسِم بالمَشْعرِ الحَرام ومَنْ * ضَمَّ من الناسِكين خَيْفُ مِنى
لو ساعَفَتْنى الاَيّامُ لم تَرَنِى * مرتهِنًا مِيلَه الذى رَهَنا
ولا تَصَدَّيتُ اَبْتغِى بَدَلاً * من اِبرةٍ غالَها ولا ثَمَنا

لكنَّ قَرْسَ الخُطوبِ ترشُقني * بمُصْمِياتٍ من ها هُنا و هُنا

و خُبْرُ حالي كخُبْرِ حالتِهِ * ضُرًّا و بُؤْسًا و غُرْبةً و ضَنى

قد عَدَلَ الدَّهْرُ بيننا فأنا * نظيرُهُ في الشَّقاءِ و هو انا

لا هو يستطيع فَكَّ مِرْوَدِهِ * لمَّا غدا في يَدَيَّ مُرْتهَنا

ولا مجالي لضيْقِ ذاتِ يدي * فيهِ اتِّساعٌ للعفو حين جَنى

فهذِهِ قِصَّتي و قِصَّتُهُ * فانظُرْ إلينا و بيننا ولَنا

فلمَّا وَعَى القاضي قَصَصَهما * وتَبيَّن خصاصَتَهما وتخصُّصَهما * أبرزَ لهما ديناراً من تَحْتِ مُصلاَّهُ * وقالَ اقْطَعا بهِ الخِصامَ وانْفصلا * فتلقَّفَهُ الشيخُ دُونَ الحَدَثِ * واستخلصَهُ على وَجْهِ الجِدِّ لا العَبَثِ * وقالَ للحَدَثِ نِصْفُهُ لي بسَهْمِ مَبْرَتي * وسَهْمُكَ لي من أرْشِ إبْرَتي * ولستُ من الحقِّ أميلُ * فقُمْ وخُذِ الميلَ * فعَرِيَ الحَدَثُ * لِما حَدَثَ * اكتئابٌ وَجَمَ لهُ قلبُ القاضي * وهَيَّجَ أسَفَهُ على الدِّينارِ الماضي * إلاَّ أنَّهُ جَبَرَ بالَ الفتى وبَلْبالَهُ * بدُرَيْهِماتٍ رَضَخَ بها لهُ * وقالَ لهما اجْتَنِبا المعامَلاتِ * وادْرَءا المخاصَماتِ * ولا تحضُراني في المحاكَماتِ * فما عندي كَيْسُ الغَرامَاتِ * فنهَضا من عندِهِ * فرِحَيْنِ بِرِفْدِهِ * مُفْصَحَيْنِ بحَمْدِهِ * والقاضي ما يَخْبو ضَجَرُهُ * مُذْ بَفَّ حَجَرُهُ * ولا يَنْصُلُ كَمَدُهُ * مذ رَشَحَ جِلْمُدُهُ * حتى إذا أفاقَ من غَشْيَتِهِ * أقبلَ على حاشِيَتِهِ * وقالَ قد أشْرَبَ حِبِّي * ونَبَّأني حَدْسي * أنَّهما صاحِبا دَهاءٍ * لا خَصْما ادِّعاءٍ * فكيفَ السبيلُ الى سَبْرِهما *

واستنباطِ سِرِّهما * فقالَ لهُ نِحْريرُ زَمْرَتِهِ * وشَرارَةُ جَمْرَتِهِ * إنَّهُ لن يتمَّ استخراجُ خَبْأِهما * الاَّ بهما * فقَفَّاهما مَوْناً يَرْجِعُهما اليهِ * فلمَّا مَثَلا بين يَدَيْهِ * قالَ لهما اصْدُقاني سِنَّ بَكْرِكما * ولكما الأمانُ من تَبِعَةِ مَكْرِكما * فاحْجَمَ الحَدَثُ واستقالَ * وأقْدَمَ الشيخُ وقالَ *

نظم

انا السَّروجيُّ وهذا وَلَدي * والشِّبْلُ في المَخْبَرِ مِثْلُ الأسَدِ

وما تَعَدَّتْ يَدُهُ ولا يدي * في إبْرَةٍ يوماً ولا في مِرْوَدِ

وإنَّما الدهرُ المُسِيءُ المُعْتدي * مالَ بنا حتى غَدَوْنا نَجْتَدي

كُلَّ نَدى الرَّاحةِ عَذْبِ المَوْرِدِ * وكُلَّ جَعْدِ الكَفِّ مغلولِ اليدِ

بكُلِّ فَنٍّ وبكلِّ مَقْصِدِ * بالجِدِّ إنْ أجْدى والاَّ بالدَّدِ

لنجْلُبَ الرِّشْحَ الى الحَظِّ الصَّدي * ونُنْفِدَ العمرَ بعَيْشٍ أنْكَدِ

والموتُ من بعدُ لنا بالمِرْصَدِ * إن لم يُفاجِ اليومَ فاجي في غَدِ

فقالَ لهُ القاضي للهِ دَرُّكَ فما أعْذَبَ نَفَثاتِ فِيكَ * وواهاً لكَ لولا خِداعُ فِيكَ * وإنِّي لكَ لمن المُنْذِرين * وعليكَ من النَّذيرين * فلا تُماكِرْ بعدها الحاكِمين * واتَّقِ سَطْوةَ المُتَحَكِّمين * فما كُلُّ مُسْطِرٍ يُقِيلُ * ولا كُلُّ أوانٍ يُسْمَعُ القِيلُ * فعاهَدَهُ الشيخُ على اتِّباعِ مَشُورَتِهِ * والارتداعِ عن تلبيسِ صورَتِهِ * وفَصَلَ من جِهَتِهِ * والخَتْرُ يَلْمَعُ من جَبْهَتِهِ * قالَ الحارثُ بن همام فلم أرَ أعْجَبَ منها في تصاريفِ الأسْفارِ * ولا قرأتُ مِثْلَها

في تصانيف الاسفار *

المقامة التاسعة الاسكندرية

قال الحارث بن همام طحابى مرح الشباب * وهوى الاكتساب * الى ان جبت ما بين فرغانة * وغانة * اخوض الغمار * لاجني الثمار * واقتحم الاخطار * لكي ادرك الاوطار * وكنت لقفت من افواه العلماء * وثقفت من وصايا الحكماء * انه بالزم الاديب الاريب * اذا دخل البلد الغريب * ان يستميل قاضيه * ويستخلص مراضيه * ليشتد ظهره عند الخصام * ويأمن في الغربة جور الحكام * فاتخذت هذا الادب اماما * وجعلته لمصالحي زماما * فما دخلت مدينة * ولا ولجت مرينة * الا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح * وتقويت بعنايته تقوي الاجساد بالارواح * فبينما انا عند حاكم الاسكندرية * في عشية مرية * وقد احضر مال الصدقات * ليقضه على ذوي الفاقات * اذ دخل شيخ عفرية * تعتله امرأة مصبية * فقالت ايد الله القاضي * وادام به التراضي * اني امرأة من اكرم جرثومة * واطهر ارومة * واشرف خؤولة وعمومة * مبسمي الصون * وشيمتي الهون * وخلقي نعم العون * وبيني وبين جاراتي بون * وكان ابي اذا خطبني بناة المجد * وارباب الجد * سكتهم وبكتهم * وعاف وصلتهم وصلتهم * واحنة بانه عاهد الله تعالى بحلفة * ان لا يصاهر غير ذي حرفة * فقيض القدر لنصبي ووصبي * ان حضر هذا الخدعة نادي ابي * فاقسم بين رهطه * انه وفق شرطه * وادعى انه طالما نظم

درة الى درة * فبا مهما بدرة * فافترا بي بزخرفة محاله * وزوجنيه قبل اختبار حاله * فلما استخرجني من كناسي * ورحلني من اناسي * ونقلني الى كسره * وحصلني تحت اسره * وجدته قعدة جثمة * والفيته ضجعة نومة * وكنت صحبته بريا ش وزي * واثاث وري * فما برح يبيعه في سوق الهضم * ويتلف ثمنه في الخضم والقضم * الى ان مزق مالي باسره * وانفق مالي في عسره * فلما انساني طعم الراحة * وفاد ربيتي انثى من الراحة * قلت له يا هذا انه لا مخبأ بعد بوس * ولا عطر بعد عروس * فانهض للاكتساب بصناعتك * واجتني ثمرة براعتك * فزعم ان صناعته قد رميت بالكساد * لما ظهر في الارض من الفساد * ولي منه سلالة * كانه خلالة * وكلانا ما ينال معه شبعة * ولا ترقأ له من الطوى دمعة * وقد قدته اليك * واحضرته لديك * لتعجم عوده * وتحكم بيننا بما اراك الله * فاقبل القاضي عليه وقال له قد وعيت قصص عرسك * فبرهن من نفسك * والا كشفت من لبسك * وامرت بحبسك * فاطرق اطراق الاذعان * ثم شمر للحرب العوان * وقال *

نظم

اسمع حديثي فانه عجب * يضحك من شرحه وينتحب
انا امرؤ ليس في خصائصه * عيب ولا في فخاره ريب
سروج داري التي ولدت بها * والاصل غسان حين انتسب
وشغلي الدرس والتبحر في العلم طلابي وحبذا الطلب

وراس مالي سحر الكلام لذى * منه يصاغ القريض والخطب
اغوص في لجة البيان فاختا * ر اللآلي منها وانتخب
واجتنى اليانع الجنى من الـ * ـقول وغيري للعود محتطب
و آخذ اللفظ فضة فاذا * ما صغته قيل انه ذهب
وكنت من قبل امتري نشبا * بالادب المقتنى واحتلب
ويمتطي اخمصي لحرمته * مراتبا ليس نوتها رتب
وطالما زفت الصلات الى * ربعي فلم ارض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجاء به * اكسد شيء في سوقه الادب
لا غرص ابنائه يصان ولا * يرقب فيهم الا ولا سبب
كانهم في مراصهم جيف * يبعد من نتنها ويجتنب
فحار لبي لما منيت به * من الليالي وصرفها عجب
وضاق ذرعي لضيق ذات يدي * وساورتني الهموم والكرب
وقاد ني دهري المليم الى * سلوك ما يستشينه الحسب
فبعت حتى لم يبق لي لبد * ولا بنات اليه انقلب
وادنت حتى انقلت سالفتي * بحمل دين من دونه العطب
ثم طويت الحشا على سغب * خمسا فلما امضني السغب

لم ار الا جهازها مرضا * اجول في بيعه واضطرب
فجلت فيه والنفس كارهة * والعين عبرى والقلب مكتئب
وما تجاوزت اذ عبثت به * حد التراضي فيحدث الغضب
فان يكن غاظها توهمها * ان بنائي بالنظم تكتسب
او انني اذ عزمت خطبتها * زخرفت قولي لينجح الارب
او الذي سارت الرفاق الى * كعبته تستحثها النجب
ما المكر بالمحصنات من خلقي * ولا شعاري التمويه والكذب
ولا بدي مذ نشأت نيط بها * الا مواضي اليراع والكتب
بل فكرتي تنظم القلائد لا * كفي وشعري المنظوم لا السخب
فهذه الحرفة المشار الى * ما كنت احوي بها واجتلب
فاذن لشرحي كما اذنت لها * ولا تراقب واحكم بما يجب

قال فلما احكم ما شاده * واكمل انشاده * عطف القاضي الى الفتاة * بعد ان شغف بالابيات * وقال اما انك قد ثبت مند جميع الحكام * وولاة الاحكام * انقراض جيل الكرام * وميل الايام الى اللئام * وانني لاخال بعلك صدوقا في الكلام * بريا من الملام * وها هو قد اعترف لك بالفرض * وصرح عن المحض * وبين مصداق النظم * وتبين انه معروق العظم * واعنات المعذر ملامة * وحبس المعسر مأثمة * وكتمان الفقر زهادة *

وانتظارُ الفَرَجِ بالصبرِ عبادةٌ * فارْجِعي الى خِدْرِكِ * واَعْذِرِي اَبا عُذْرِكِ * ونَهْنِهي
من غَرْبِكِ * وسَلِّمي لقَضاءِ رَبِّكِ * ثم انّه فَرَضَ لهما في الصَّدَقاتِ حِصَّةً * وناوَلَهما من
دراهِمِها قَبْضَةً * وقال لهما تَعلَّلا بهٰذه العُلالة * وتَنَدَّيا بهذه البُلالة * واصْبِرا على كَيْدِ
الزمان وكَدِّه * فعسى اللّهُ اَنْ ياتيَ بالفتحِ او اَمْرٍ من عنده * فنَهَضا وللشيخِ فَرْحةُ المُطْلَقِ
من الاِسار * وهِزَّةُ المُوسِرِ بعدَ الاِعْسار * قال الرّاوي وكنتُ عَرَفتُ انّه ابوزيد ساعةَ
بَزغتْ شَمْسُه * ونَزَغَتْ مِرْسُه * وكدتُ اُفْصِحُ من افتتانه * واِنْمارَ افْتِنانه * ثم اَشْفقتُ
من غُشورِ القاضي على بُهْتانه * وتزويقِ لسانه * فلا يَرى عندَ عِرْفانه * اَنْ يُرَشِّحَه لاحسانه *
فاَحْجمتُ من القولِ اِحْجامَ المُرْتاب * وطَوَيتُ ذِكْرَه كطَيِّ السِّجِلِّ للكِتاب * اِلاّ اَنّي
قلتُ بعد ما فَصَل * ووَصَل الى ما وَصَل * لوانَّ لنا من يَنْطِقُ في اَثَرِه * لاَتانا بفَصِّ
خبرِه * وما ينشُرُ من حِبَرِه فاَتْبَعَه القاضي اَحَدُ اَمنائِه * واَمَرَه بالتجسُّسِ من اَنبائِه * فما
لَبِثَ اَن رَجَعَ مُتَدَهْدِهاً * وقَهْقَرَ مقهقِرًا * فقال لهُ القاضي مَهْيَمْ * يا ابا مَريم * فقال لقد عاينتُ
عَجَبًا * وسَمِعتُ ما انْسَألي طَرَبًا * فقال له ما ذا رَاَيتَ * وما الذي وَعَيتَ * قال لم يَزَلِ
الشيخُ مُذْ خَرَجَ يُصَفِّقُ بيَدَيْه * ويُخالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْه * ويُغَرِّدُ بمِلْءِ شِدْقَيْه * ويقول *

نظم

كِدتُ اُصْلى بَلِيَّةٍ * من وَفاحٍ شَمَّرِيَّة
واَزُورَ السِّجْنَ لولا * حاكمُ الاسكندَرِيَّة

فَضَحِكَ القاضي حتى هَوَتْ دَرِّيَّتُه * وذَوَتْ سَكينتُه * قال فلمّا فاءَ الى الوَقار * وعَقَّبَ
الاستغرابَ بالاستغفار * قال اللّهمَّ بحُرْمةِ مبادِكَ المقرَّبين * حَرِّمْ حَبْسي على
المتأدِّبين * ثم قال لذلك الامين صُلَّ به * فانطلقَ مُجِدًّا في طَلَبِه * ثم عادَ بعدَ لأْيٍ *
مُخْبِرًا بنَأْيِه * فقال القاضي اَمَا انّه لو حَضَرَ * لكُفِيَ الحَذَرَ * ثم لاَوْلَيتُه ما هو به اَوْلى *
ولَاَرَيتُه اَنّ الآخرةَ خيرٌ له من الاُولى * قال الحارث بن همام فلمّا رَاَيتُ صَغْوَ
القاضي اليه * وفَوْتَ ثَمَرةِ التنبيه عليه * غَشِيَتْني نَدامةُ الفَرَزْدَق حين اَبانَ النَّوارَ *
او الكُمَيْتِ لمّا اسْتبانَ النَّهارُ *

المقامة العاشرة الرحبية

حكى الحارث بن همام قال هَتَفَ بي داعي الشَّوقِ * الى رَحْبَةِ مالِكِ بنِ طَوْق *
فلَبَّيْتُه مُمْتَطِيًا شِمِلَّةً * ومُنْتَضِيًا عَزْمةً مُشْمَعِلَّةً * فلمّا اَلْقيتُ بها المَراسي * وشَدَدتُ
اَمْراسي * وبَرَزتُ من الحَمّامِ بعدَ سَبْتِ راسي * رَاَيتُ غُلامًا اَفْرَغَ في قالَبِ
الجَمال * واُلْبِسَ من الحُسْنِ حُلَّةَ الكَمال * وقد اَمْتَلَقَ شبحُ بُرْدَيْه * يَدّعي اَنّه فَنَكٌ بابنِه *
والغُلامُ يُنْكِرُ عِرْفَتَه * ويُكْبِرُ قِرْفَتَه * والخِصامُ بينهما مُتطايِرُ الشَّرار * والزِّحامُ عليهما
يَجْمَعُ بين الاَخْيارِ والاَشْرار * الى اَنْ تَراضَيا بعدَ اشتطاطِ اللَّدَد * بالتَّناصُفِ الى والى البَلَد *
وكان ممّن يُزَنُّ بالهِنّات * ويُغْلَبُ حُبُّ البَنينَ على البَنات * فاَسْرَعا الى نَدْوَتِه *
كالسَّلَيكِ في عَدْوَتِه * فلمّا حَضَراهُ * جَدَّ الشَّيخُ دَعْواهُ * واسْتَدْعى عَدْواهُ * فاسْتَنْطَقَ

الغُلامُ وقد فتنه بمحاسن غُرّته * وطرّ مقله بتصفيف طُرّته * فقال إنّها افيكةٌ افّاكٌ *
على غير سفّاكٍ * ومضيهةٌ محتالٍ * على من ليس بمُغتالٍ * فقال الوالى للشيخ إن شهد
لك عدلانِ من المسلمين * والّا فاستوف منه اليمينَ * فقال الشيخُ إنّهُ جدّله خاسئاً *
وافاح دمه خاليًا * فانّى لى شاهدٌ * ولم يكن ثمّ مُشاهدٌ * ولكن ولّنى تلقية اليمين *
ليبيّنَ لك أيصدق امْ يمين * فقال له انتَ المالكُ * لذالك * مع وجدك المنهالكِ *
على ابنكَ الهالك * فقال الشيخُ للغلام قُل والّذى زيّن الحباءَ بالطُّرر * والعيونَ بالحور *
والحواجبَ بالبلج * والمباسمَ بالفلج * والجفونَ بالسقم * والانوفَ بالشمم * والخدودَ باللهب *
والثغورَ بالشنب * والبنانَ بالترف * والخصورَ بالهيف * إنّى ما قتلتُ ابنك سهوًا
ولا عمدًا * ولا جعلتُ هامتهُ لسيفى غمدًا * والّا فرمى اللهُ جفنى بالعمش * وخدّى
بالنمش * وطُرّتى بالجلح * وطلعى بالبلح * ووردى بالبهار * ومسكتى بالبخار *
وبدرى بالمحاق * وفضّتى بالاحراق * وشعاعى بالاظلام * ودواتى بالاقلام * فقال
الغلامُ الاصطلاءَ بالبليّة * ولا الإيلاءَ بهذه الاليّة * والانقيادَ للقود * ولا الحلفَ بما
لم يحلف به احد * وابى الشيخُ الّا تجريعه اليمينَ التى اخترعها * وامقرّ له جرّعها * و
لم يزل التلاحى بينهما يستعر * ومحجّةُ التراضى تعرّ * والغلامُ فى ضمنِ تأبّيه * يحلب
الوالى بتلويه * ويطمعه فى ان يلبّيه * الى ان ران هواهُ على قلبه * والبّ بلبّه * وسوّل له
الوجدُ الذى تيّمه * والطمعُ الذى توهّمه * ان يخلّص الغلامَ ويستخلصه * وان ينقذه من

حبالةِ الشيخ ثم يقتنصه * فقال للشيخ هل لكَ فيما هو ألْيقُ بالاقوى * وأقربُ للنقوى *
فقال الم تُشيرُ لأقتفيه * ولا اقفَ فيه * قال ارى ان تقصرَ من الفيل والقال * وتقتصرَ
على مائة مثقال * لا تحمّل منها بعضًا * واجتنى الباقى لك عُرضًا * فقال الشيخُ مامنّا
خلافٌ * فلا يكن لوعدك اخلافٌ * فنقده الوالى مشرين * ووزّع على وزعته تكملةَ
خمسين * ورقّ ثوبُ الاصيل * وانقطعَ لاجله صوبُ التحصيل * فقال له خُذ ما راجَ *
ودعِ اللجاجَ * وعلّى فى فدان اتوصّل * الى ان ينضّ لك الباقي ويتحصّل * فقال
الشيخُ افعل ذاك على ان الازمه ليلتى * ويرعاهُ انسانُ مُقلتى * حتّى اذا اعفى بعد
اسفار الصبح * بما بقى من مال الصُّلح * تخلّصتْ فائبةٌ من قُرب * وبرئ براءةَ
الذئب من دم ابن يعقوب * فقال له الوالى ما اراك سُمتُ شططًا * ولا رُمتَ فرطًا *
قال الحارث بن همام فلمّا رأيتُ حُجَجَ الشيخ كالحُجَج السّريجيّة * علمتُ انه علّم
السّروجيّة * فلبثتُ الى ان زهرتْ نجومُ الظّلام * وانتثرتْ عقودُ الزّحام * ثم قصدتُ
فناءَ الوالى * فاذا الشيخُ للفتى كالِئ * فنشدتُه اللهَ اهو ابو زيد * فقال إى ومُحلِّ
الصّيد * فقلتُ مَن هذا الغلامُ * الّذى هفتْ له الاحلامُ * فقال هو فى النّسب فرخى *
وفى المكسب فخرى * قلتُ فهلّا اكتفيتَ بمحاسن فطرته * وكفيتَ الوالى الافتتانَ
بطُرّته * فقال لولم تبرز جبهته السّين * لما تنفستُ الخمسين * ثم قال بتّ الليلةَ عندى
لنطفئ نارَ الجوى * ونديلَ الهوى من النّوى * فقد اجمعتُ على ان انسلّ بسحرة *

واُصلي قَلْبَ الوالي نارَ حَسْرةٍ * قال فقضيتُ اللّيلةَ معه في سَمَرٍ * آنقَ من حديقةِ زَهرٍ *
وخَميلةِ شَجرٍ * حتّى اذا الأُلأَ الأُفقَ ذَنَبُ السِرحان * وآنَ انبلاجُ الفَجْرِ وحانَ *
رَكِبَ مَنْنَ الطّريق * وآذاقَ الوالي عَذابَ الحريق * وسَلَّم الىَّ ساعةَ الفِراق * رُقْعةً
مُحْكَمةَ الإلْصاق * وقال ادفَعْها الى الوالي اذا سُلِبَ القَرارُ * وتَحقَّق مِنّا الفِرارُ *
ففَضَضْتُها فِعْلَ المتلمِّس * من مِثْلِ صحيفةِ المتلمِّس * فاذا فيها مكتوبٌ *

نظم

قُلْ لِوالٍ غادَرْتُه بَعْدَ بَيْنِي * نادِمًا ساديًا يَعَضُّ اليَدَيْنِ
سَلَبَ الشيخُ مالَه وفتاهُ * لُبَّه فاصطلى لَظى حَسْرتَيْنِ
جادَ بالعَيْنِ حينَ أَعْمى هواه * عَيْنَه فاتَّقى بلا عَيْنَيْنِ
خَفِّضِ الحُزْنَ يا مُعَنّى فما يُجْـ * ـدِي طِلابُ الآثارِ من بعدِ عَيْنِ
ولَئِنْ جَلَّ ما عَراكَ كما جَلَّ لَدَى المُسلمين رُزْءُ الحُسين
فقدِ امْتَضْتَ منه فَهْمًا وحَزْمًا * واللَّبِيبُ الأَرِيبُ يَبْغِي ذَيْنِ
فَاقْصُ من بَعْدِها المَطامِعَ واعلَمْ * أَنَّ صيدَ الظِّباءِ ليس بهَيْنِ
لا ولا كُلُّ طائرٍ يلجُ الفُخَّ ولَوْ كان مُحْدَقًا بالجَنَيْنِ
ولَكَمْ من سَعى لِيَصْطادَ فاصْطِيدَ ولم يَلْقَ غيرَ خُفَّى حُنَيْنِ
فَتَبَصَّرْ ولا تَشِمْ كُلَّ بَرْقٍ * رُبَّ برقٍ فيه صَواعِقُ حَيْنِ
واغْضُضِ الطَّرْفَ تَسْتَرِحْ من غَرامٍ * تَكْتَسِي فيه ثَوْبَ ذُلٍّ وشَيْنِ

قَبلاءُ الفَتى اِتباعُ هَوى النَّفْسِ وبَذْرُ الهَوى طُموحُ العَيْنِ

قالَ الرّاوي فمَزَّقتُ رقعتَه شَذَرمَذَر * ولم أَبْلِ أَعَذَلَ أَمْ عَذَر *

المقامة الحادية عشر الساوية

حدَّث الحارث بن همام قال آنستُ من قَلْبي القَساوةَ * حين حَلَلتُ ساوةَ * فاخذتُ
بالخَبَرِ المأثُور * في مُداواتِها بزيارةِ القُبور * فلمّا صِرتُ الى مَحلّةِ الأَموات * وكِفاتِ
الرُّفات * رأيتُ جَمْعًا على قَبرٍ يُحفَر * ومَجْنوزٍ يُقبَر * فانحَزْتُ اليهم مُفكِّرًا في المآل * ومُتذكِّرًا
مَن دَرَجَ مِن الآل * فلمّا ألحَدوا الميّت * وفات قولُ لَيْت * أَشْرَفَ شيخٌ من رُباوةٍ *
مُتخصِّرٌ بهِراوةٍ * وقد لَفَّع وجهَه بردائِه * ونكَّرَ شَخْصَه لدهائِه * فقال لِمِثْلِ هٰذا فَلْيَعْمَلِ
العامِلون * فادَّكِروا أيُّها الغافِلون * وشَمِّروا أيُّها المُقَصِّرون * واحْسِنُوا النَّظَرَ أيُّها
المُتبصِّرون * ما لَكُم لا يَحْزُنكم دَفْنُ الأَتْراب * ولا يَهُولُكم هَيْلُ التُّراب * ولا تَعْبأُون
بنَوازِلِ الأَحداث * ولا تَستعِدُّون لنُزولِ الأَجْداث * ولا تَستعبِرُون لعَيْنٍ تَدْمَع *
ولا تَعتبِرُون بنَعْيٍ يُسْمَع * ولا تَرتاعُون لآلِفٍ يُفْقَد * ولا تَلْتاعُون لمَناحَةٍ تُعْقَد * يُشَيِّع
أَحَدُكم نَعْشَ المَيْتِ * وقَلْبُه تِلْقاءَ البَيْت * ويَشْهَدُ مُواراةَ نسيبِه * وفِكْرُه في استخلاصِ
نصيبِه * ويُخلّي بين وَدودِه ودُودِه * ثم يَحْلُو بمِزْمارِه وعُودِه * طالما أَسِيتُم على انثلامِ
الحَبَّة * وتَناسَيتم اختِرامَ الأَحِبَّة * واستَكَنْتُم لاعتراضِ العُسْرة * واستَهَنْتم بانقراضِ الأُسْرة *
وضَحِكتُم عندَ الدَّفْن * ولا ضَحِكَكم ساعةَ الدَّفن وتَبَخْتَرتُم خَلْفَ الجَنائز * ولا تَبَخْتَرُكم

يوم قَبْضِ الجوائز * واَعْرَضْتم من تَعْديدِ النَّوادِب * الى اِمْدادِ المآدب * ومن تَحَرُّقِ النَّواكِل * الى التأنُّقِ فى المآكِل * لا تُبالُون بمَنْ هو بالٍ * ولا تُخطِرُونَ ذِكْرَ الموت ببالٍ * حتّى كأنَّكم قد عَلِقْتم من الحِمام * بذِمام * اوحَصَلْتم مِنَ الزَّمان * على اَمان * اووَثِقْتم بسَلامةِ الذّات * اوتَحَقَّقْتم مُسالَمةَ هادِمِ اللَّذّات * كلّا ساءَ ماتَتوهّمون * ثم كلّا سَوْف تَعْلَمون * ثم اَنْشَد *

نظم

اَيا من يَدّعِى الفَهْمَ * الى كَمْ ياَخا الوَهْمَ
تُعَنِّى الذَّنْبَ والذَمَّ * وتُخْطِى الخَطَأَ الجَمّ
اَمَا بانَ لك العَيْبُ * اَما اَنْذَرك الشَّيْبُ
وما فى نُصْحِهِ رَيْب * ولا سَمْعُك قد صَمّ
اَما نادى بك الموتُ * اَما اَسْمَعك الصَّوْتَ
اَما تَخْشى من الفَوْت * فَتَحْنا طَ وتَهْتَمّ
فكَمْ تَسْدُر فى السَّهْو * وتَخْتالُ من الزَّهْو
وتَنْصَبُ الى اللَّهْو * كَاَنَّ الموتَ ما عَمّ
وحَتّامَ تَجانِيك * واِبْطاءُ تَلافِيك
طِباعٌ جَمَعَتْ فِيك * عُيوبًا شَمْلُها انْضَمّ
اِذا اَسْخَطتَ مَوْلاك * فما تَقْلَقُ من ذاك

واِنْ اَخْفَقَ مَسْعاك * تَلَظَّيْتَ من الهَمّ
واِنْ لاحَ لك النَّقْشُ * من الاَصْفَرِ تَهْتَشّ
واِنْ مَرَّ بك النَّعْشُ * تَغامَمتَ ولا غَمّ
تُعاصِى النّاصِحَ البَرَّ * وتَعْتاصُ وتَزْوَرّ
وتَنْقادُ لِمَنْ غَرَّ * ومَن ماَنَ ومن نَمّ
وتَسْعى فى هَوى النَّفس * وتَحْتالُ على الفَلْس
وتَنْسى ظُلْمَةَ الرَّمْس * ولا تذكُرُ ما ثَمّ
ولَوْلا حَظُّك الحَظُّ * لَما طاحَ بك اللَّحْظُ
ولا كُنْتَ اِذا الوَعْظُ * جَلا الاَحْزانَ تَغْتَمّ
سَتُذْرِى الدَّمَ لا الدَّمْعَ * اِذا ماَيِنْتَ لا جَمَعَ
يَبِقى فى عَرْصَةِ الجَمْع * ولا خالَ ولا عَمّ
كَاَنِّى بك تَنْحَطّ * الى اللَّحْدِ وتَنْغَطّ
وقد اَسْلَمك الرَهْطُ * الى اَضْيَقِ مِن سَمّ
هُناكَ الجِسْمُ ممدود * ليَسْتا كِلَه الدُّوْد
اِلى اَن يَنْجَزَ العُوْدُ * ويُمْسِى العَظْمُ قد رَمّ
ومن بَعْدُ فلا بُدّ * من العَرْضِ اِذا اُعْتَدّ

صِراطُ جَسْرِهِ مَدّ * عَلَى النارِ لِمَن اَمّ

فكَمْ مِن مُرْشِدٍ ضَلّ * ومِنْ ذِي عِزَّةٍ ذَلّ

وكَمْ من عالِمٍ زَلّ * وقال النحْطُبُ قد طَمّ

فبادِرْ ايُّها العُمْرُ * لِما يَحْلُو به المُرُّ

فقد كادَ يهي العُمْرُ * وما اَقْلعَت من ذَمّ

ولا تَرْكَنْ اِلَى الدَّهْرِ * وانْ لانَ وانْ سَرّ

فَتُلْفَى كَمَنِ اغْتَرّ * بأفعَى تَنفُثُ السَّمّ

وخَفِّضْ من تَرَاقِيك * فانّ المَوْتَ لاقِيك

وسارٍ في تَرَاقِيك * وما يَنْكُل اِنْ هَمّ

وجانِبْ صَعَرَ الخَدِّ * اذا ما مَدّك الجَدُّ

وزُمّ اللَّفظَ اَنْ نَدّ * فما اَسْعَدَ مَن زَمّ

ونَفِّسْ من اَخِي البَثّ * وصَدِّقْهُ اذا نَثّ

وزُمّ العَمَلَ الرَّثّ * فقَدْ اَفْلَح من رَمّ

ورِشْ مَن رِيشُهُ انْحَصّ * بما عَمّ وما خَصّ

ولا تَأسَ على النَّقص * ولا تَحْرِص على اللَّمّ

وعادِ الخُلُقَ الرَّزْلَ * وعَوِّدْ كَفَّك البَذْلَ

ولا تَسْتَمِعِ العَذْلَ * ونَزِّهْها عَنِ الضَّمّ

وزُوِّدْ نَفْسَك الخَبَرَ * ودَعْ ما يُعْقِبُ الضَّيرَ

وهَيِّئْ مَرْكَبَ السَّيرِ * وخَفْ من لُجَّةِ اليَمّ

بذا اَوْصَيْتُ يا صاحِ * وقد بُحْتُ كمن باحَ

فطُوبَى لِفتًى راحَ * بآدابِي يأتَمّ

ثم حَسرْتُ رُدْنَه عن ساعِدٍ شديدِ الأسْرِ * قد شَدَّ عليه جَبائِرَ المَكْرِ لا الكَسْرِ * مُتَعَرِّضًا للاستماحة * في مَعْرِضِ الوَقاحة * فاختَلَبَ به اُولئِكَ المَلأَ * حتّى اَتْرَعَكُمَّه ومَلأَ * ثم انحدرَ من الرَّبْوة * جَذِلًا بالحَبْوة * قال الرَّاوي فجاذَبْتُه من ورائِه * حاشيةَ رِدائِه * فالتفتَ الَيّ مسترسِلًا * وواجَهَنِي مُسَلِّمًا * فاذا هو شيخُنا ابو زيدٍ بعَيْنِه * وعَيْنِهِ * فقلت له *

شعر

الى كَمْ يا اَبا زيد * اَفانِينُك في الكَيْد

لِيَنْحاشَ لك الصَّيْدُ * ولا تَعْبَأُ بمَن ذَمّ

فاجابَ من غَيْرِ استحياءٍ * ولا ارتياءٍ * وقال *

شعر

تَبَصَّرْ ودَعِ اللَّوْمَ * وقُلْ لي هَلْ تَرَى اليَوْمَ

فَتًى لا يَقْمَرُ القَومَ * متى ما دَسْنَهُ تَمّ

فقلتُ له بُعْدًا لك يا شيخَ الغارِ * وزامِلَةَ العارِ * فما مَثَلُك في طُلاوةِ مَلانِيَتِك * وخِبْثَةِ

نِيْنَك * الاَمثَلُ رَوْثٍ مُفَضَّضٍ * اوكَنِيف مُبَيَّضٍ * ثم تَفَرَّقْنا فانطلقتُ ذاتَ اليَمِين *
وانطلَقَ ذاتَ الشِّمال * وَناوحْتُ مَهَبَّ الجَنوب * وناوَحَ مَهَبَّ الشمال *

المقامة الثانية عشر الدمشقية

حكى الحارثُ بن همّام قال شَخَصْتُ من العِراق الى الغُوطَة * واَنا ذُو جُرْدٍ مربوطَة *
وجِدَةٍ مغبوطة * يُلْهِيْنِى خُلُوُّ الذِّرْع * ويَزِيدُ هِيْنِى حُفولُ الضَّرْع * فلمَّا بلَغْتُها بعدَ شِقِّ
النَّفْس * وإنضاءِ العَنَس * اَلْفيتُها كما تَصِفُها الاَلْسُنُ * وفيها ما تَشتهى الاَنْفُس وتَلَذُّ الاَعْيُنُ *
فشكَرْتُ يَدَ النَّوى * وجَرَيتُ طَلَقًا مع الهَــوى * وطَفِقْتُ اَفُضُّ بها خُتومَ الشَّهَوات *
واَجْتَنِى قُطوفَ اللَّذَّات * الى اَنْ شَرَعَ سَفَرٌ فى الاِعْراق * وقد استَفَقْتُ من الاِغْراق *
فعادَنِى غِيَدٌ من تَذْكارِ الوَطَن * والحَنِينِ الى العَطَن * فقوَّضتُ خِيامَ الغَيْبَــة *
واَسْرجتُ جَوادَ الاَوْبة * ولمَّا ناهَبتِ الرِّفاقُ * واستَتَبَّ الاتفاقُ * اَلْحَنا من المَسِيْر * دُونَ
استصحاب الخَفِيْر * فُردنا * من كُلِّ فَيْفاةٍ * واَمْعَلْنا فى تحصيله اَلْفَ حِيْلةٍ * فاَعوَزَ وِجْدانُه
فى الاَحْياء * حتَّى خِلْنا اَنه ليس من الاَحْياء * فحارَتْ لعَوزِه مُزومُ السَّيَّارة * وانتَدَوْا بابِ
جَبْرُوْنَ للاستشارة * فما زالُوا بين مَفِيدٍ وحَلٍّ * وشَزْرٍ وسَحْلٍ * الى اَنْ نَفِدَ التَّناجى * وقَنِطَ
الرَّاجى * وكان حِذَتهم شَخْصٌ مِيسَمُه مِيسَمُ الشُّبَّان * ولَبوسُه لَبوسُ الرُّهْبان * وبيَدِه سُبْحَةُ
النِّسوان * وفى عَيْنَيْه تَرْجَمةُ النَّشوان * وقد قيد لَحْظَه بالجَمع * وَاَرهَفَ اُذُنَه لاستراقِ
السَّمع * فلمَّا آنَ انكفاءُهم * وقد بَرِحَ له خَفاؤُهم * قال لهم يا قومِ لِيُفْرِخْ رَوْعُكم * ولْيَأْمَنْ

مِربُكم * فساُخْفِرُكم بما يَسُرُّ وَرَوْعَكم * ويَبْدُو طَوْعَكم * قال الراوى فاستَطْلَعنا منه طِلْعَ
الخُفارة * واَسْنَيْنا له الجِعالةَ من السِّفارة * نَزَعَم اَنَّها كَلِماتٌ لُقِّنَها فى المَنام * لِيَخْتَرِسَ
بها من كَيْدِ الاَنام * فجَعل بعضُنا يُومِض الى بَعْضٍ * ويُقَلِّب طَرْفَيْه بين لَحْظٍ وغَضّ *
وتَبيَّن له اَنَّا استَضْعَفنا الخَبَر * واستَشْعَرنا الخَور * فقال ما لكُم اتَّخَذتم جِدِّى عَبَثًا *
وجَعَلتم تِبرى خَبَثًا * ولطالما واللّٰهِ جُبْتُ مَخاوِفَ الاَقطار * ولَجْتُ مَقاحِمَ الاَخطار *
فغَنِيْتُ بها من مُصاحبةِ خفيرٍ * واستصحاب جفيرٍ * ثم اِنِّى مَا نَفِى ما رَاَيتُكم * واَستَسِلُّ
الحَذَرَ الذى نابَكم * بَان اُوافِقَكم فى البَداوة * واُرافِقَكم فى السَّماوة * فاِنْ صَدَقكم
وَعْدى * فَاجِدُّ واسْعَدى * واَسْعِدُ واَجِدِّى * واِنْ كَذَبكم فَمِى * فَمَزِّقوا اَدَمِى *
واَرِيْقُوا دَمِى * قال الحارث بن همام فاَلْهَمْنا تصديقَ رُؤْياه * وتحقيقَ ما رَواه * فنَزَعْنا
عن مُجادَلته * واستَهْمَنا على مُعادلتِــه * وقَصَمْنا بقوله مُرَى الرَّبائث * واَلْغَيْنا اتِّقاءَ
العَايث والعائث * ولمَّا عُكِمَتِ الرِّحالُ * وازِفَ التَّرحالُ * اَسْتَزَلْنا كلماته الرَّاقِيَةَ * لنَجْعَلَها
الواقِيَةَ الباقِيَةَ * فقال لِيَقْرَأْ كُلٌّ منكم اُمَّ القُرآن * كُلَّما اَظَلَّ المَلَوان * ثم لِيَقُلْ بلِسانٍ
خاضِعٍ * وصَوْتٍ خاشِعٍ * اللّٰهمّ يا مُحْيِىَ الرُّفات * ويا دافِعَ الاَفات * ويا واقِىَ المَخافات *
ويا كريمَ المُكافاة * ويا مَوْئِلَ العُفاة * ويا وَلِىَّ العَفْوِ والمُعافاة * صَلِّ على مُحمَّدٍ خاتِمِ اَنبيائك *
ومُبلِّغِ اَنبائك * وعلى مَصابيحِ اُسْرته * ومَفاتيحِ نُصْرته * واَعِذْنِى اللّٰهمّ من نَزَغاتِ الشَّياطين *
ونَزَواتِ السَّلاطين * واِعْناتِ الباغِين * ومُعاناةِ الطَّاغين * ومُعاداةِ العادين * وعُدْوانِ

المعادين * وغلب الغالبين * وسلب السالبين * وحيل المحتالين * وضيل المغتالين * واجرني
اللهم من جور الجاورين * ومجاورة الجائرين * وكف عني اكف الظالمين * واخرجني
من ظلمات الظالمين * وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين * اللهم حطني في
تربتي * وغربتي * وغيبتي * واويتي * ونجعني * ورجعني * وتصرفي ومنصرفي *
وتقلبي * ومنقلبي * واحفظني في نفسي * ونفائسي * ومرضي * ومرضي * ومددي *
ومددي * وسكني * ومسكني * وحولي * وحالي * ومالي ومالي * ولا تلحق بي تغييرا *
ولا تسلط علي مغيرا * واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا * اللهم احرسني بعينك
وعونك * واخصصني بامنك ومنك * وتولني باختيارك وخيرك * ولا تكلني الى كلاءة
غيرك * وهب لي عافية غير عافية * وارزقني رفاهية غير رواهية * واكفني مخاشي اللأواء *
واكنفني بغواشي الآلاء * ولا تظفر بي اظفارا لاعداء * انك سميع الدعاء * ثم اطرق
لا يدير لحظا * ولا يحير لفظا * حتى قلنا قد ابلسته خشية * او اخرسته غشية * ثم اقنع راسه *
وصعد انفاسه * وقال اقسم بالسماء ذات الابراج * والارض ذات الفجاج * والماء
الثجاج * والسراج الوهاج * والبحر العجاج * والهواء والعجاج * انها لمن ايمن العوذ *
واغنى عنكم من لابسي الخوذ * من درسها هدا بتسام الفلق * لم يشفق من خطب
الى الشفق * ومن ناجى بها طليعة الغسق * امن ليلته من السرق * قال الراوي
فتلقفناها * حتى اتقناها * وتدارسناها * لكي لا ننساها * ثم سرنا نزجي الحمولات

بالدموات لا بالحداة * ونحمي المحمولات بالكلمات لا بالكماة * وصاحبنا يتعهدنا
بالعشي والغداة * ولا يستنجز منا العدات * حتى اذا اعيانا اطلال مانة * قال لنا الامانة
الامانة * فاحضرناه المعلوم * والمكتوم * واريناه المعكوم * والمختوم * وقلناله اقض
ما انت قاض * فما تجد فينا غير راض * فما استخفه سوى الخف والزين * ولا حاي
بعينه غير العين * فاحتمل منهما وقره * وناء بما يسد به فقره * ثم خالسنا مخالسة الطرار *
وانصلت منا انصلات الفرار * فاوحشنا فراقه * وادهشنا انمراقه * ولم نزل ننشده
بكل نادٍ * ونستخبر منه كل مغوٍ وهادٍ * الى ان قيل انه مذ دخل مانة * ما زايل الحانة *
فاغراني خبث هذا القول بسبكه * والانسلاك فيما لست من سلكه * فادلجت الى
الدسكرة * في هيئة منكرة * فاذا الشيخ في حلة مصرة * بين دنان ومعصرة * وحوله سقاة
تبهر * وشموع تزهر * وآس وعبهر * ومزمار ومزهر * وهو تارة يستبزل الدنان * وطورا
يستنطق العيدان * ودفعة يستنشق الريحان * واخرى يغازل الغزلان * فلما مثرت على
لبسه * وتفاوت يومه من امسه * قلت له اولى لك يا ملعون * الا نسيت يوم جيرون *
نضحك مستغربا * ثم انشد مطربا *

نظم

لزمت السفار * وجبت القفار * وفت النفار * لاجني الفرح
وخضت السيول * ورضت الخيول * لجزر ذيول * الصبا والمرح
ومطت الوقار * وبعت العقار * لحسو العقار * ورشف القدح

ولولا الطِّماحُ * الى شُرْبِ راح * لَما كانَ باحَ * فَمِنّى باللَّمَح
ولا كانَ ساقَ * دَهانِى الرِّفاقَ * لاَرْضِ العِراق * بحَمْلِى السَّبَح
فلا تَغْضَبَنّ * و لا تَصْخَبَنّ * و لا تَعْتَبَنّ * تُعْذِرِى وَضَح
و لا تَعْجَبَنّ * بشَيْخٍ اَبَنّ * بمَغْنَى اَغَنّ * و دَنٍّ طَفَح
فإنّ المُدامَ * تُقَوِّى العِظامَ * وتَشْفِى السَّقام * وتَنْفِى التَّرَح
واَصْفَى السُّرورَ * اذا ما الوَقُورُ * اماطَ سُتورَهُ الحَياوَ اطَّرَح
واَحْلَى الغَرامَ * اِذَا المُسْتَهامُ * ازالَ اكتتامَ * الهَوى وافتَضَح
فبُحْ بِهَواكَ * وبَرِّحْ شَجاكَ * فَزَنْدُ اَساكَ * به قد قَدَح
وداوِ الكُلومَ * وسَلِّ الهُمومَ * بِبِنْتِ الكُرومِ * الّتى تُفْتَرَح
وخُصَّ العُبُوقَ * بساقٍ يَسُوق * بَلاءَ المَشُوق * اِذا ما طَمَح
و شادٍ يُشِيد * بصوتٍ يَمِيد * جِبالَ الحَدِيد * لَهُ اِنْ صَدَح
وعاصِ النَّصيحَ * الذى لا يُبِيح * وِصالَ المَليح * اذا ما سَمَح
وجُلْ فى المَجال * و لو بالمُحال * ودَعْ ما يُقال * وخُذْ ما صَلَح
وفارِقْ اَباكَ * اذا ما اَباكَ * ومُدَّ الشِّباكَ * و صِدْ مَن سَنَح
وصافِ الخَليلَ * ونافِ البَخيلَ * واَوْلِ الجَميلَ * ووالِ المِنَح
ولُذْ بالمَتاب * اَمامَ الذَّهاب * فمَنْ دَقَّ باب * كَرِيمٍ فَتَح

فقلتُ له بَخٍ بَخٍ لرِوايتِك * وَاَفٍ وتُفٍ لغَوايتِك * فباللّهِ من اَىِّ الاَعْماصِ مِيصُك *
فقد اَمْضَلنى مَويصُك * فقال ما اُحِبُّ اَنْ اُفْصِحَ عَنّى * ولكنّى ساكِنى * **نظم**
اَنَا اُطْرُوفَةُ الزَّمانِ واُعْجُوبَةُ الاُمَم * وانا الحَوْلُ الَّذِى احْتالَ فى العُرْبِ والعَجَم
غيرَ اَنّى ابْنُ حاجةٍ هاضَهُ الدَّهْرُ واهْتَضَم * و اَبُو صِبْيةٍ بَدَوا مِثْلَ لَحْمٍ على وَضَم
واَخُو العَيْلةِ المُعِيلُ * اِذَا احْتالَ لم يُلَمْ

قال الرّاوى فعَرَفْتُ حينئذٍ اَنّه ابو زيدٍ والرَّيْبِ والعَيْب * ومُسَوِّدُ وَجْهِ الشَّيْب *
وساءَنِى عُظْمُ تَمَرُّدِهِ * وقُبْحُ تَوَرُّدِهِ * فقلتُ له بلِسانِ الاَنَفَة * واِدْلالِ المَعْرِفة * اَلَمْ يأْنِ
لكَ يا شيخُنا * اَنْ تُقْلِعَ من الخَنا * فتَتَضَجَّر * وزَمْجَر * وتَنَكَّر * ونَكَّر * ثم قال اِنّها لَيْلةُ
مِراحٍ * لا تَلاحٍ * ونُهْزةُ شُرْبِ راحٍ * لا كِفاحٍ * فَعِدْ عمّا بَداكَ * الى اَنْ نَتَلاقى غَدا * ففارَقْتُه
فَرَقًا من عَرْدَتِه * لا تَعَلُّقًا بِعِدَتِه * وبِتُّ لَيْلَتِى لا بِساحِدِ الدَّمِ * على نَقْلِى خُطَا
القَدَمِ * الى ابْنَةِ الكَرْمِ * لا الكَرَمِ * وما هَدَتْ اللّهَ سُبحانَه اَنْ لا اَحْضُرَ بعدها حانةَ نَبّاذ *
ولو اُعْطِيتُ مُلْكَ بَغْدادَ * ولا اَشْهَدَ مَعْصَرةَ الشَّراب * ولو رُدَّ على مَضَرُ الشَّباب * ثم اِنّنا
رَحَلْنا العِيسَ * وقتَ التَّغْليس * وخَلَّيْنا بين الشَّيْخَيْن ابى زيدٍ وابْليسَ *

المقامة الثالثة عشر البغدادية وتعرف بالزّورائية

روى الحارث بن هَمّام قال نَدَوتُ بضَواحِى الزَّوْراءِ * مع مَشِيخةٍ من الشُّعَراء *
لا يَعْلَق لهم مُبارٍ بغُبارٍ * ولا يَجْرِى معهم مُمارٍ فى مِضْمارٍ * فَاَفَضْنا فى حديثٍ يَفْضَح الاَزْهارَ *

الى اَن نَصَّفنا النَّهارَ * فلمَّا خاضَ دَرُّ الأفكارِ * وصَبَتِ النُّفوسُ الى الأوكارِ * لمحنا عَجوزًا
تُقبِل من البُعد * وتُحضِر احضارَ الجُرد * وقد اسْتَتلَتْ صِبيةً انحفَ من المَغازِلِ * واضعفَ
من الجَوازِلِ * فما كذَبتْ اذ رأتنا * اَن مرتْنا * حتى اذا ما حَضَرتْنا * قالت حَيَّا اللهُ
المَعارِفَ * وانْ لم يكونوا مَعارِفَ * اِعلموا يا مَآلَ الآمِلِ * وثِمالَ الأرامِلِ * اَنّي من
سَراواتِ القَبائِلِ * وسَرِيّاتِ العَقائِلِ * لم يَزلْ اَهْلي وبَعْلي يَحُلّون الصَّدْرَ * ويَسيرون
القَلْبَ و يُمْطُون الظَّهْرَ * ويُولُونَ اليَدَ * فلمَّا اَرْدى الدَّهْرُ الاَعْضادَ * وفَجَع بالجَوارِحِ
الأكبادَ * وانقلَبَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ * نَبا النّاظِرُ * وجَفا الحاجِبُ * وذَهبتِ العَيْنُ وفُقِدَتِ
الرّاحةُ * وصَلِدَ الزَّنْدُ * ووَهِيَتِ اليمينُ * وبانَتِ المَرافِقُ * ولم يَبْقَ لنا نَنِيَّةٌ ولا نابٌ *
فَمُذْ اغبرَّ العَيْشُ الاخضرُ * وازْوَرَّ المحبوبُ الاصفرُ * اسْوَدَّ يومي الابيضُ * وابيَضَّ
فَوْدي الأسودُ * حتّى رثى لي العدُوُّ الأزرقُ * فحبَّذا الموتُ الاحمرُ * وتلوِي مَن
تَرَوْن عَيْنَه فِرارَه * وتَرجمانَه اصفرارَه * قُصوى بِغْيةِ اَحَدِهم ثُرْدةٌ * وقُصارى مُنْيتِه
بُرْدةٌ * وكُنْتُ آليتُ اَنْ لا اَبْذُلَ الحُرَّ الا للحُرِّ * ولوَ انّي مُتُّ من الضُّرِّ * وقد نا جَتْني القَرُونةُ *
بِاَنْ تُوجَدَ عندكم المَعونةُ * وآذَنَتْني فِراسةُ الحَوْباءِ * بِاَنّكم يَنابيعُ الحِباءِ * فنضَّرَ اللهُ امْرءً
اَبَرَّ قَسَمي * وصَدَّقَ توسُّمي * ونَظَرَ الىَّ بعَيْنٍ يُقْذِيها الجُمودُ * ويُقَذِّيها الجُودُ * قال
الحارث بن همام فهُمنا لِبَراعةِ عِبارتِها * ومُلَحِ استعارتِها * وقُلنا لها قد فَتَن كلامُكِ *
فكيف اِلحامُكِ * فقالت يُفجِّرُ الصَّخرَ * ولا فَخْرَ * فقُلنا اِن جَعلتنا من رُواتِكِ * لم نَبْخَلْ

بِمواساتِكِ * فقالت لَاُرِيَنَّكم اوَّلًا شِعاري * ثُمَّ لَاُرْوِيَنَّكم اَشْعاري * فابرزَتْ رُدُنَ دِرعٍ
دَرِيسٍ * وبَرزَتْ بَرْزةَ عَجوزٍ دَرْدَبيسٍ * وانشأَتْ تقولُ *

نظم

اَشْكُو الى اللهِ اشتكاءَ المريضِ * جَوْرَ الزمانِ المُتَعدّي البغيضِ
يا قومِ اِنّي من اُناسٍ غَنَوا * دَهْرًا وجَفْنُ الدَّهْرِ عنهم غَضِيضِ
فَحارُهم ليس له دافِعٌ * وصِيْتُهم بين الورى مُستفيضِ
كانوا اذا ما نُجعةٌ اَعْوزَتْ * في السَّنةِ الشَّهباءِ رَوْضًا اَرِيضِ
تُشَبُّ للسّارين نِيرانُهم * ويُطْعِمون الضَّيْفَ لَحْمًا غَرِيضِ
ما بات جارٌ لهم ما غِبًّا * ولا لرَوْعٍ قال حالَ الجَريضِ
تَغَيَّضتْ منهم صُروفُ الرَّدى * يعارَ جُودٍ لم اَخَلْها تَغِيضَ
وَاْودَعتْ منهم بُطونَ الثَّرى * اُسْدَ التَّحامي واُساةَ المريضِ
فَمَحْمِلي بعدَ المَطايا المَطا * ومَوْطني بعدَ اليَفاعِ الحَضيضِ
واَفْرِخي ما تَأْتَلي تَشْتَكي * بُؤْسالهُ في كُلِّ يومٍ وَمِيضِ
اذا دَعا القانتُ في ليلةٍ * مولاهُ نادَوْهُ بدَمْعٍ يَفِيضِ
يا رازقَ النَّعّابِ في عُشِّهِ * ويا جابِرَ العَظْمِ الكسيرِ المَهِيضِ
اَتِحْ لنا اللّهمَّ مَنْ عِرْضُهُ * مِن دَنَسِ الذَّمِّ نَقِيٌّ رَحِيضِ
يُطْفِئُ نارَ الجُوعِ مَنّا ولَوْ * بمَذْقةٍ من حازِرٍ ومَخِيضِ

فهل فتى يَكْشِف ما نابَهم * ويَغْنِمَ الشُّكْرَ الطَّويلَ العريض

فوَالذّى تَغْنُو النَّواصِىْ لهُ * يومَ وُجوهُ الجمعِ سُوْدٌ وبِيْض

لولا هُمُ لم تَبْدُ لى صَفْحَةٌ * ولا تَصدّيتُ لنَظْمِ القَرِيض

قال الرّاوى فوَاللّهِ لقد صَدمتْ بَابيا تِها اَعْشارَ القُلوب * واستَخرجَتْ خَبايا الجُيوب * حتى ماحَها مَنْ دِينُه الامتياحُ * وارتاحَ لِرِفْدِها من لم تَخُله يَرْتاحُ * فلمّا انعَوْمَ جَبْهُها تِبْرًا * وَاوْلاها كُلَّ مِنًّا بِرًّا * تولّتْ يَتْلُوها الاَصاغِر * وفُوْها بالشُّكْر فاغِر * فاشْرأبّتِ الجماعة بَعْدَ مَمَرِّها * الى سَبْرِها * لتَبْلُوَ مَواقِعَ بِرِّها * فكَفَلْتُ لهم باستنباط السِّرّ المرموز * و نَهضتُ اَقْفُو اِثْرَ العَجوز * حتّى انْتَهتْ الى سُوْقٍ مُغتَصَّةٍ بالاَنام * مُختَصَّةٍ بالزِّحام * فانغمَسَتْ فى الغُمار * واَمْلَستْ من الصِّبية الاَغمار * ثم مَاجَتْ بحُلوّ بالٍ * الى مُسْجِدٍ خالٍ * فاماطتِ الجِلبابَ * ونَضتِ النِّقابَ * وَانا المُحامِ من خَصاصِ الباب * وَارْقُب ما ستُبْدِى من العُجاب * فلمّا انسرتْ اُهبةُ الخَفر * رأيتُ مُحيّا ابي زيدٍ قد سَفَر * فهَمَمْتُ بَاَن اَهْجُمَ عليه لاَعْنِفه على ما اَجْرى اليه * فاسلَنْقَى اسلنقاءَ المُتمرِّدين * ثم رفع مَقْبِرَةَ المُغرِّدين * واندفع يُنْشِد *

نظم

يا لَيْتَ شِعْرِى اَدَهْرِى * اَحاطَ عِلْماً بِقَدْرِى

وهل دَرى كُنْهَ غَوْرِى * فى الخَدْعِ اَمْ ليس يَدْرِى

وَكَم قد قَمَرْتُ بَنِيهِ * بِحِيْلَتِى و بمَكْرِى

وكم بَرَزْتُ بِعُرْفٍ * عليهمُ و بنُكْرِ

اَصْطادُ قومًا بَوَسْطٍ * و آخَرِيْنَ بِشِعْرِ

و اَسْتَفِزُّ بِخَلٍّ مَقْلًا * و مَقْلًا بِخَمْرِ

و تارةً انا صَخْرٌ * و تارةً اُخْتُ صَخْرِ

و لو سَلَكْتُ سبيلًا * مالوفةً طُوْلَ عُمرِى

لَخابَ قَدْحِى و نِدْحِى * ودامَ عُسْرِى وخُسْرِى

فقُلْ لِمَنْ لامَ هذا * عُذْرِى قُدونَكَ عُذْرِى

قال الحارث بن همّام فلمّا ظَهَرتْ على جَلِيّةُ اَمْرِهِ * وبَدِيعةُ اِمْرِهِ * ومازَخْرَفَ فى شِعْرِهِ من عُذْرِهِ * عَلِمْتُ انّ شَيْطانَهُ المَرِيدَ * لايَسْمَعُ التَّفْنِيدَ * ولا يَفْعَلُ الّا مايُرِيدُ * فثَنَّيتُ الى اَصْحابى عِنانِى * وَاَثْنَيْتُهم ما اَثْبَتَهُ عِيانِى * فوَجَمُوا لِضَيْعةِ الجوائز * وتَعاهَدُوا على مَحْرَمةِ العَجائز *

المقامة الرابعة عشر المكية

حكى الحارثُ بن همّام قال نَهَضْتُ من مدينةِ السَّلام * لِحَجَّةِ الاِسْلام * فلمّا قَضَيْتُ بعَوْنِ اللّهِ التَّفَثَ * واستَبَحْتُ الطِّيْبَ والرَّفَثَ * صادَفَ مَوْسِمَ الخَيْفِ * مَعْمَعانُ الصَّيْفِ * فاستَظْهَرْتُ للضَّرورة * بما يَقِى حَرَّ الظَّهِيرة * فَبَيْنَما انا تحتَ طِرافٍ * مع رُفْقةٍ ظِرافٍ * وقد حَمِىَ وَطِيسُ الحَصْباء * واَعْشَى الهَجِيرُ عَيْنَ الحِرْباء * اذ هَجَم علينا شيخٌ مُتَسَعْسِعٌ *

يَتْلُوهُ فَتًى مُتَرَعْرِعٌ * فَسَلَّمَ الشيخُ تسليمَ اديبٍ اريبٍ * وحاورَ مُحاوَرةَ قريبٍ لاغريبٍ *
فاعجَبَنا بما نَثَرَ من سِمْطِه * وعَجِبْنا من انبساطه قبلَ بَسْطِه * وقلنا له مَنْ اَنْتَ * وكيف
وَلَجْتَ وما استاذَنْتَ * فقال اَمّا انا فعافٍ * وطالِبُ اِسعافٍ * وسُرُضُرّي غيرُ خافٍ *
والنَّظَرُ الى شفيعٍ كافٍ * واما الانسيابُ الّذي عَلِقَ به الارتيابُ * فما هو بعُجابٍ *
اذ ما على الكُرماء من حِجابٍ * فسألناه اَنّى اهتدى الينا * وبِمَ استدلَّ علينا * فقال
اِنَّ للكَرمِ نَشْرًا تَنِمُّ نَفَحاتُه * وتُرْشِدُ الى رَوْضِه فَوحاتُه * فاستدللتُ بتأَرُّجِ عَرْفِكم * على
تَبَلُّجِ عُرْفِكم * وبَشَّرَني تَضَوُّعُ رَنْدِكم * بحُسْنِ المُنْقَلَبِ من عِنْدِكُمْ * فاستخبرناه حينئذٍ عن
لَبانَتِه * لِنَكْفُلَ بامانته * فقال اِنَّ لي مَأْرَبًا * ولِفَتايَ مَطْلَبًا * فقُلْنا كلا المرامَيْن سيُقْضى *
وكِلاكما سوفَ يُرْضى * ولكِنَّ الكُبْرَ الكُبْرَ * فقال اَجَلْ ومَنْ دَحا السَّبْعَ الغُبْرَ * ثم وثَبَ
للمقال * كالمُنْشَطِ من العِقال * وانْشَدَ *

نظم

اِنّي امْرُؤٌ اُبْدِعَ بي * بعدَ الوَجى والتَّعَبِ
وشُقَّتي شاسِعَةٌ * يَقْصُر منها خَبَبي
وما مَعي خِرْدَلَةٌ * مطبوعَةٌ من ذَهَبِ
فحِيلَتي مُنْسَدَّةٌ * وحَيْرَتي تَلْعَبُ بي
اِنِ ارْتَحَلْتُ راجِلًا * خِفْتُ دَوامي العَطَبِ
واِنْ تَخَلَّفْتُ من الرُّفْقَةِ ضاقَ مذهَبي

فَزَفَرَتي في صُعُدٍ * وعَبْرَتي في صَبَبِ
واَنْتُمْ مُنْتَجَعُ الرّاجي ومَرْمَى الطَّلَبِ
لها كُمْ مُنْهَلَةٌ * ولا انْهِلالَ السُّحُبِ
وجارُكُمْ في حَرَمٍ * ووَفْرُكُمْ في حَرَبِ
ما لاذَ مُرْتاعٌ بكُمْ * فحافَ نابَ النُّوَبِ
ولا استَدَرَّ آمِلٌ * حِباءَكُمْ فما خَيبِ
فانْعَطِفوا في قِصَّتي * واَحْسِنوا مُنْقَلَبي
فلو بَلَوْتُمْ عِيشَتي * في مَطْعَمي ومَشْرَبي
لَساءَكُمْ ضُرّي الّذي * اَسْلَمَني للكُرَبِ
ولو خَبَرْتُمْ حَسَبي * ونَسَبي ومَذْهَبي
وما حَوَتْ مَعْرِفَتي * من العُلومِ النُّخَبِ
لَما اَمَّرْتُكُمْ شُبْهَةٌ * في اَنَّ دائي اَدَبي
فليتَ اَنّي لم اَكُنْ * اُرْضِعْتُ ثَدْيَ الاَدَبِ
فقد دَهاني شُؤْمَةٌ * وعَقَّني فيه اَبي

فقلنا له اَمّا اَنْتَ فقد صَرَّحَتْ اَبْياتُك بفاقَتِك * وعَطَبِ ناقَتِك * وسَنُمْطِيك
ما يُوصِلُك الى بَلَدِك * فما مَأْرَبُهُ وَلَدِك * فقال له قُمْ يا بُنَيَّ كما قام اَبوك * وفَتَّ

بما فى نفسك لا فض فوك فنهض نهوض البطل للبراز * واصلت لسانا كالعضب الجراز * وانشدا يقول *

نظم

يا سادة فى المعالي * لهم مبانٍ مشيده
ومن اذا ناب خطب * فاموا بدفع المكيده
ومن يهون عليهم * بذل الكنوز العتيده
اريد منكم شواء * وجردنا وعصيده
فان ملا فرقاق * به توارى الشهيده
اولم يكن ذا ولاذا * فشبعة من ثريده
فان تعذرن طرا * فعجوة ونهيده
فاحضروا ما تمنى * ولو شظا من قديده
وروحوا فنفسى * لما يروح مزيده
والزاد لا بد منه * لرحلة لى بعيده
وانتم خير رهط * يدعون عند الشديده
انديكم كل يوم * لها اياد جديده
وراحكم واصلات * شمل الصلات المفيده
وبغيتى فى مطاوى * ما ترفدون زهيده

وفى اجرو مقبى * تنفيس كربى حميده
ولى تنائج فكر * يفضحن كل قصيده

قال الحارث بن همام فلما رأينا الشبل يشبه الاسد * ارحلنا الوالد وزودنا الولد * فقابلا الصنع بشكر نشرا اريديته * وادى به ديته * ولما عزما على الانطلاق * وعقد للرحلة حبك النطاق * قلت للشيخ هل ضاهت مدتنا مدة معروف * او بقيت حاجة فى نفس يعقوب * فقال حاش لله وكلا * بل جل معروفكم وجلى * فقلت له فدتنا كما دنانك * وافدنا كما افدناك * اين الدويرة * فقد ملكتنا فيك الحيرة * فتنفس تنفس من اذكر اوطانه * وانشد والشهيق يلعثم لسانه *

نظم

سروج دارى ولكن * كيف السبيل اليها
وقد اناخ الاماري * بها واخنوا عليها
فوا لهفى سرت ابغى * حط الذنوب لديها
ما راق طرفى شيء * مذ غبت من طرفيها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع * وآذنت مدامعه بالهموع * فكره ان يستوكفها * ولم يملك ان يكفكفها * فقطع انشاده المتحلى * واوجز فى الوداع وولى *

المقامة الخامسة عشر الفرضية

اخبر الحارث بن همام قال ارقت ذات ليلة حالكة الجلباب * هامية الرباب *

ولا ارَقَ صَبٌّ طُرِدَ عن الباب * ومُنِيَ بصَدِّ الاحْباب * فلم تَزَلِ الافْكارُ يُهْجِنَ هَمّي *
ويَجِلْنَ فِي الوَساوِس فَهمي * حَتّى تَمَنَّيتُ * لَمَضضِ ما عانَيتُ * اَن اُرزَقَ سميرًا من
الفُضَلاء * لِيَقصُرَ طُوْلَ ليلي * فما انقضَتْ مُنيَتي * ولا اَغمضتُ مُقْلَتي * حتّى
قَرعَ البابَ قارِعٌ * له صَوْتٌ خاشِعٌ * فقلتُ فى نَفْسى لَعَلَّ غَرْسَ التَّمَنّى قد اَثْمَرَ * وليلَ
الحَظِّ قد اَقْمَرَ * فنَهَضْتُ اليه عَجلانَ * وقلتُ مَنِ الطّارقُ الآنَ * فقال غريبٌ اَجَنَّه
اللّيلُ * وغَشِيَه السَّيلُ * ويَبْغي الاِيْواءَ لا غير * واذا اَسْحَرَ قَدَّمَ السَّيْرَ * قال فلمّا دَلَّ
شُعاعُه على شَمْسِه * ونَمَّ عُنوانُه بِسِرِّطِرْسِه * علِمتُ اَنَّ مُسامَرتَه غُنْمٌ * ومُساهَرتَه نُعْمٌ *
ففتَحْتُ البابَ بابتسامٍ * وقلتُ ادخُلوها بسَلامٍ * فدَخَلَ شَخْصٌ قد حَنَى الدَّهرُ صَعْدَتَه *
وبَلَّلَ القَطْرُ بُرْدَتَه * فحَيّيتُ بلسانٍ عَضْبٍ * وبَيانٍ عَذْبٍ * ثمّ شَكَرتُ على تَلْبِيَةِ صَوْتِه * واعْتَذَرتُ
من الطُّروقِ في غيرِ وَقْتِه * فدانَيْتُه بالمِصباحِ المُتَّقِد * وتامَّلْتُه تامُّلَ المُنتَقِد * فاَلفَيتُه شيخَنا
ابا زيدٍ بلا رَيْبٍ * ولا رَجْمِ غَيْبٍ * فاَحْلَلْتُه مَحَلَّ من اَظْفَرَني بقُصْوَى الطَّلَب * ونَقَلَني
من وَقْذِ الكُرَب * الى رَوْحِ الطَّرَب * ثم اَخَذَ يَشْكُو الاَيْنَ * واَخَذتُ فى كَيْفَ واَيْنَ *
فقال اَبلِغْني رِيقي * فقد اَتْعَبَني طريقي * فظَنَنْتُه مُسْتَبْطِئًا للسَّغَب * مُتَكاسِلًا لهذا السَّبَب *
فاَحْضَرتُه ما يُحْضَرُ للضَّيفِ المُفاجِئ * فى اللّيلِ الدّاجي * فانقبَضَ انقباضَ المُحْتَشِم *
واَعرَضَ اَعراضَ البَشِم * فسُؤْتُ ظَنًّا بامتنامِه * واَحْفَظَني حُصُولُ طِباعِه * حتّى كِدتُّ
اُغْلِظُ له فى الكلام * واَلسَعَه بحُمَةِ المَلام * فتَبَيَّن من لَمَحاتِ ناظِري * ما خامَرَ خاطِري *

فقال يا ضعيفَ الثِّقَةِ * يا اَهْلَ المِقَةِ * عَدِّ عمّا اَخْطَرتَه بالَك * واستَمِعْ اِلَيَّ لا ابالَك *
فقلتُ هات * يا اَخا التُّرهاتِ * فقال اِعلَمْ اَنّي بِتُّ البارِحةَ حليفَ اِفْلاسٍ * ونَجِيَّ
وَسْواسٍ * فلمّا قَضَى اللّيلُ نَحْبَه * وغَوَّرَ الصُّبحُ شُهْبَه * غَدَوتُ وقتَ الاِشْراق * الى بعضِ
الاَسْواق * مُتَصَيِّدًا لصَيْدٍ يَسْنَح * اَوْ حُرٍّ يَسْمَح * فلَحَظْتُ بها تَمْرًا قد حُسِّنَ تصفيفُه * واُحسِنَ اليه
مَصِيفُه * فجَمَعَ على التحقيق * صَفاءَ الرَّحيق * ونُقاوَةَ العَقيق * وقُبالتَه لِبأٌ قد بَرَزَ كالاِبْرِيزِ الاصفرِ *
وانجلى فى اللَّوْنِ المُزَعْفَرِ * فهو يُثْنِي على طاهيه * بلسانِ تَناهِيه * ويُصَوِّب رأيَ
مُشْتَرِيه * ولو نَقَدَ حَبَّةَ القَلْبِ فيه * لاَسَرَتْني الشَّهْوةُ بِاَشْطانِها * واَسلَمَتْني العِصْمَةُ
الى سُلْطانِها * فبَقِيتُ اَحْيَرَ من ضَبٍّ * واَذْهَلَ من صَبٍّ * لا وُجْدٌ يُوصِلُني الى نَيْلِ
المُراد * ولَذّةِ الازدراد * ولا قَدَمٌ نُطاوِعُني على الذَّهاب * مَعَ حُرْقَةِ الالتهاب * لكِنْ
حَدانِي القَرَمُ وسَوْرَتُه * والسَّغَبُ وفَوْرَتُه * على اَن اَنتجِعَ كلَّ اَرْضٍ * واَقتنِعَ من
الوِرْدِ بِبَرْضٍ * فلم اَزَلْ سَحابَةَ ذلك النَّهار * اُدْلِي دَلْوِي الى الآنهار * وهي لا تَرجِع
بِبَلَّةٍ * ولا تَجلُب نَفْعَ غُلَّةٍ * الى اَن صَغَتِ الشَّمْسُ للغُروب * وضَعُفَتِ النَّفْسُ من اللُّغُوب *
فرُحْتُ بكَبِدٍ حَرّى * وانْثَنَيتُ اُقَدِّمُ رِجْلًا واُؤَخِّرُ اُخْرى * وبينما اَنا اَسْعى واَقعُد * واَهَبُّ
واَرْكُد * اذ قابَلَني شيخٌ يَتأوَّهُ اَهَّةَ الثَّكْلان * وعَيْناه تَهْمِلان * فما شَغَلَني ما اَنا فيه من
داءِ الذِّئب * والهَوَى المُذيب * من تَعاطِي مُداخَلَتِه * والطَّمَعِ في مُحاتَلَتِه * فقلتُ
له يا هذا اِنَّ لِبكائِك لَسِرًّا * ووَراءَ تحرُّقِك لَشَرًّا * فاَطْلِعْني على بُرَحائِك * واتَّخِذْني

من نُصحائِك * فانَّك ستجِدُ مِنّي طبًّا آسيًا * اوغوثًا مُواسيًا * فقالَ واللّٰهِ ما تاوّهي لعَيْش
فاتَ * ولا من دَهْرٍ افتاتَ * بل لانقراضِ العلم ودُروسِه * وأفولِ اقمارِه وشُموسه *
فقلتُ واَيُّ حادثةٍ نجمتْ * وقضيّةٍ استعجمتْ * حتّى هاجتْ لك الاَسَى * على
فقدِ مَن سَلَفَ * فابرز رُقعةً من كُمِّه * واقسمَ بابيهِ وامِّه * لقد انزلها باَطْلامِ المَدارِس *
فما امتازوا من الاَعْلامِ الدَّوارِس * واستنطقَ لها اَخبارَ المَحابِر * فخرِسوا ولا خَرَسَ
سُكّانِ المَقابِر * فقلتُ ارِنيها * فلَعلّي اُغْنِي فيها * فقال ما ابعدتَ في المَرام * فربَّ
رَميه من غيرِ رام * ثم ناوَلنيها * فاذا المكتوبُ فيها *

نظم

اَيُّها العالِمُ الفقيهُ الَّذي فاقَ ذكاءً فما لَهُ من شَبيهِ
اَفْتِنا في قَضيَّةٍ حادَ منها * كُلُّ قاضٍ وحارَ كُلُّ فقيهِ
رُجلٌ ماتَ مَنْ اَخٍ مُسْلِمٍ حُرٍّ تَقِيٍّ من اُمِّهِ واَبيهِ
وله زَوْجةٌ لها اَيُّها الحِبْرُ اَخٌ خالِصٌ بلا تَمْويهِ
فحَوَتْ فَرْضَها وحازَ اَخُوها * ما تَبقّى بالإرثِ دُوْنَ اَخيهِ
فاَشْفِنا بالجوابِ عمّا سَاَلْنا * فهو نَصٌّ لا خُلْفَ يُوْجَدُ فيهِ

فلمّا قرأتُ شِعْرَها * ولمَحْتُ سِرَّها * قلتُ له على الخبيرِ بها سَقَطتَ * وعندَ ابنِ بَجْدَتِها
حَطَطتَ * الا انّي مُضْطرِمُ الاَحْشاءِ * مُضْطرٌّ الى العَشاءِ * فاَكْرِمْ مَثْواي * ثُمَّ اسْتَمِعْ
فَتْواي * فقال لقد انْصفتَ في الاشتراطِ * وتَجافيتَ من الاشتطاطِ * فصِرْ مَعي *

الى مَرْبَعي * لنَظْفَرَ بما تَبتغي * وتنقلبَ كما تَنبغي * قال فصاحبتُه الى ذَراهُ * كما
حَكَمَ اللّٰهُ * فادْخَلَني بَيْتًا اَحْرَجَ من التّابوت * واَوْهَنَ من بَيْتِ العَنْكَبوتِ * الّا انَّه جَبَرَ
ضِيقَ رَبْعِه * بتَوْسِعةِ ذَرْعِه * فحَكَّمَني في القِرى * واَطايِبِ ما يُشْتَرى * فقلتُ
اُريدُ اَزْهى راكبٍ على اَشْهى مركوبٍ * واَنْفعَ صاحبٍ مع اَضَرِّ مصحوبٍ * فافكرَ
ساعةً طويلةً * ثم قال لعَلَّكَ تَعْني بِنْتَ نُخَيْلةٍ * مع لِيأُسُخَيْلةٍ * فقُلْتُ اياهما عَنَيْتُ *
ولاَجْلِهما تعَنَّيْتُ * فنَهَضَ نشيطًا * ثُمَّ ربَضَ مُسْتَشيطًا * وقال اعلَمْ اَصْلحكَ اللّٰهُ اَنَّ
الصِّدْقَ نَباهَةٌ * والكِذْبَ عاهَةٌ * فلا يَحْمِلَنَّكَ الجُوْعُ الّذي هو شِعارُ الانبياء * وحِلْيةُ
الاولياء * على اَن تَلْحقَ بمن مانَ * وتتخلّقَ بالخُلُقِ الّذي يُجانِبُ الايمانَ * فقد
تَجُوعُ الحُرَّةُ * ولا تاكُلُ بثَدْيَيْها * وتابى الدَّنِيَّةَ * ولو اضطُرَّتْ اليها * ثم انّي لَستُ لك
بزَبُونٍ * ولا اُفْضي على صَفْقَةٍ مَغْبونٍ * وها انا قد انْذَرتُك قبلَ انَ ينهتِكَ السِّتْرُ *
وينعقدَ بيننا الوِتْرُ * فلا تُلْغ تدبُّرَ الانْذارِ * وحَذارِ من المكاذَبةِ حَذارِ * فقلتُ له والّذي
حَرَّمَ اَكْلَ الرِّبوٰ * واحلَّ اُكْلَ اللُّبا * ما فُهْتُ بزُورٍ * ولا دَلَّيْتُك بغُرورٍ * وستَخْبرُ حقيقةَ
الاَمرِ * وتَحْمَدُ بَدْلَ اللُّبا والتَمْرِ * فهَشَّ هَشاشةَ المصدوقِ * وانطلقَ مُغِذًّا الى السُّوقِ *
فما كانَ باَسْرعَ من اَن اقبلَ بهما يَذْلَحُ * ووجْهُه يَكْلَحُ * فوضَعَهما لدَيَّ * ووَضَعَ المِنَنَ
عليَّ * وقال اضْرِبِ الجيشَ بالجَيْشِ * تَحْظَ بلَذّةِ العَيْشِ * قال فحسَرْتُ عن ساعِدِ
النَّهَمِ * وحَمَلْتُ حَمْلةَ الفيلِ المُلْتَهِمِ * وهو يلحَظُني كما يَلْحَظُ الحَنَقُ * ويودُّ من الغَيْظِ

لو اَخْتنِق * حتى اذا اَهْلَقْتُ النّوءَيْن * وغادَرْتُهما اَثَرًا بَعْدَ عَيْن * اَقْرَدتْ حَيْرَةً في
اِطْلالِ البَيات * وفِكْرَةً في جَوابِ الاَبْيات * فما لَبِثَ اَنْ قامَ * واَحْضَرَ الدَّواةَ والاَقْلامَ *
وقال قد مَلأْتُ الجِرابَ * فأَمْلِ الجوابَ * والا فتَهَيَّأْ اِن نَكَلتَ * لاغْتِرامِ ما اَكَلْتَ *
فقلتُ له ما عندي الاَّ التَّحقيقُ * فاكْتُبْ وبا للّهِ التوفيق *

نظم

قُلْ لمن يَبْلُغُ المَسائِلَ اِنّي * كاشِفٌ سِرَّها الَّذي يُخْفيهِ
اِنَّ ذا المَيِّتَ الَّذي قَدَّمَ الشَّرْعُ اَخا مِرْسِهِ على ابْنِ اَبيهِ
رَجُلٌ زَوَّجَ ابنَه من رِضاهُ * بجَماةٍ لَهُ ولا غَرْوَ فيهِ
ثُمَّ ماتَ ابنُه وقد عَلِقَتْ مِنْهُ فجاءَتْ بابْنٍ له يُحْكيهِ
فَهُوَ ابنُ ابْنِهِ بغيرِ مِراءٍ * واَخُو مِرْسِهِ بلا تمويهِ
وابنُ الابْنِ الصريحُ اَدْنى الى الجَدِّ واَوْلى بإرْثِهِ من اَخيهِ
فلذا حينَ ماتَ اُوْجِبَ لِلزَّوْجَةِ ثُمْنُ التُّراثِ تَسْتوفيهِ
وحَوى ابنُ ابْنِهِ الذي هو في الاَصْلِ اخوها من اُمِّها بافيهِ
وتَحَلَّى الاَخُ الشَّقيقُ من الاِرْثِ وقلنا يَكْفيكَ اَنْ تَبْكيهِ
هاكَ مِنّي الفُتْيا الَّتي يَحْتَذيها * كُلُّ قاضٍ يَقْضي وكُلُّ فقيهِ

قال فلما اَثْبَتَ الجوابَ * واسْتَثْبَتَ منه الصَّوابَ * قال لي اَهْلَكَ واللَّيْلَ * فشَمِّرِ الذَّيْلَ *
وبادِرِ السَّيْلَ * فقلتُ انّي بِدارِ غُرْبةٍ * وفي اِبّانِ اَفْضَلُ قُرْبةٍ * لاسيَّما وقد اَغْدَفَ جُنْحُ

الظَّلام * وسَبَحَ الرَّعْدُ في الغَمام * فقال اغْرُبْ ما فاكَ اللّهُ الى حيثُ شِئْتَ * ولا تَطْمَعْ في اَنْ
تَبيتَ * فقلتُ ولِمَ ذاك * مع خُلُوِّ ذراك * قال لاَنّي اَنْعَمتُ النَّظَرَ في التقاميك ما حَضَر *
حَتّى لم تُبْقِ ولم تَذَرْ * فرأْيُكَ لا تَنْظُرُ في مَصْلحتِك * ولا تُراعي حِفْظَ صِحَّتِك * ومن اَمْعَنَ
فيما اَمْعَنتَ * وتَبَطَّنَ كما تَبَطَّنْتَ * لم يَخْلُصْ من كِظَّةٍ مُدْنِفَةٍ * اوهَبْضَةٍ مُتْلِفَةٍ * فدَعْني
باللّهِ كفافًا * واَخْرُجْ عَنّي ما دُمْتَ مُعافًا * فوالَّذي يُحْيي ويُمِيت * مالكَ عندي
مَبيت * فلمّا سَمِعتُ اَلِيَّتَه * وبَلَوتُ بَلِيَّتَه * خَرجتُ من بيتِه بالرَّغْم * وتَزَوَّدِ الغَمّ *
تَجودُني السَّماءُ * وتَخْبِطُ بي الظَّلْماءُ * وتُنْبِحُني الكِلابُ * وتَتَقاذَفُ بي الاَبْوابُ *
حَتّى ساقَني اليكَ لُطْفُ القَضاء * فشُكْرًا لِيَدِهِ البَيْضاء * فقلتُ له اَحْبِبْ بلقائِكَ المُتاحِ *
الى قَلْبي المُرْتاحِ * ثم اَخَذَ يَفْتَنُّ في حِكاياتِه * ويُشْمِطُ مُضْحِكاتِه بمُبْكياتِه * الى اَنْ عَطَسَ
اَنْفُ الصَّباح * وهَتَفَ داعي الفَلاح * فتأَهَّبَ لاِجابةِ الدّاعي * ثم عَطَفَ الى وَداعي *
فَعُقْتُه من الانبعاث * وقلتُ الضِيافةُ ثَلاث * وما حَفَزَكَ احتِثاثٌ * وان تَرَحَّلْتَ رِحْلَةَ
خَرْقاءَ * تَغَصُّ اللِّقاءَ * وسُؤْتَ الاَصْدِقاءَ * فناشَدَ وحَرَّجَ * ثم اَمَّ المَخْرَجَ * وانْشَدَ اذ مَرَّجَ *

نظم

لا تَزُرْ من تُحِبُّ في كُلِّ شَهْرٍ * غَيْرَ يومٍ ولا تَزِدْهُ عليهِ
فاجتلاءُ الهِلالِ في الشَّهْرِ يَوْمٌ * ثم لا تَنْظُرُ العُيونُ اليهِ

قال الحارثُ بن هَمّام فودَّعْتُه بقَلْبٍ دامي القَرْح * ووَدِدْتُ لو اَنَّ لَيْلَتي بَطِيئَةُ الصُّبْح *

المقامة السادسة عشر المغربيه

حكى الحارث بن همام قال شهدت صلوة المغرب * في بعض مساجد المغرب * فلما ادّيتها بفضلها * وشفعتها بنفلها * اخذ طرفي رفقة قد انتبذوا ناحية * وامتازوا صفوة صافية * وهم يتعاطون كاس المنافثة * ويقتدحون زناد المباحثة * فرغبت في محادثتهم لكلمة تستفاد * وادب يستزاد * فسعيت اليهم * سعى المتطفّل عليهم * وقلت لهم اتقبلون نزيلا يطلب جنى الاسمار * لاجنى الثمار * ويبغي ملح الحوار * لاملحاء الحوار * فحلّوا لي الحبا * وقالوا مرحبا مرحبا * فلم اجلس الا لمحة بارق خاطف * او نغبة طائر خائف * حتى غشينا جوّاب على ماتقه جراب * فحيّانا بالكلمتين * وحبّى المسجد بالتسليمتين * ثم قال يا اولي الالباب * والفضل اللباب * اما تعلمون ان انفس القربات * تنفيس الكربات * وامتن اسباب النجاة * مواساة ذوي الحاجات * واني ومن احلّني ساحتكم * واتاح لي استماحتكم * لشريد محل قاص * وبريد صنيعة خماص * فهل في الجماعة * من يفثأ منا حميّا المجاعة * فقالوا له يا هذا انك حضرت بعد العشاء * ولم يبق الا فضلات العشاء * فان كنت بها قنوعا * فما تجد فينا منوعا * فقال ان اخا الشدائد * ليقنع بلفاظات الموائد * ونفاضات المزاود * فامر كلٌّ منهم عبده * ان يزوده ماعنده * فاعجبه الصنع وشكر عليه * وجلس يرقب ما يحمل اليه * وثبنا نحن الى استثارة ملح الادب وعيونه * واستنباط معينه من عيونه * الى ان جلنا فيما لا يستحيل بالانعكاس * كقولك

ساكب كاس * فندا عينا الى ان نستنتج له الانكار * ونفترع منه الافكار * على ان ينظم البادي ثلث جمانات في عقده * ثم تتدرج الزيادات من بعده * فيربع ذو ميمنته في نظمه * ويسبع صاحب ميسرته على زعمه * قال الراوي وكنا قد انتظمنا عدة اصابع الكف * وتألفنا الفة اصحاب الكهف * فابتدر لعظم محنتي * صاحب ميمنتي * وقال لم اخامل * وقال صيامنه * كبر رجاء اجر ربك * وقال الذي يليه * من يرب اذا بر ينم * وقال الآخر * سكت كل من نم لك تكس * وافضت النوبة الي * وقد تعين نظم السمط السباعي علي * فلم يزل فكري يصوغ ويكسو * ويثري ويعسر * وفي ضمن ذلك استطعم * فلا اجد من يطعم * الى ان ركد النسيم * وحصحص التسليم * فقلت لاصحابي لو حضر السروجي هذا المقام * لشفى الداء العقام * فقالوا ونزلت هذه باياس * لا مسك على ياس * وجعلنا نفيض في استصعابها * واستغلاق بابها * وذلك الزور المعنري * يلحظنا لحظ المزدري * ويؤلف الدرر ونحن لا ندري * فلما عثر على افتضاحنا * ونضوب ضحضاحنا * قال ياقوم ان من العناء العظيم * استهلاد العقيم * والاستشفاء بالسقيم * وفوق كل ذي علم عليم * ثم اقبل علي وقال سأنوب مناب ك * واكفيك ما نابك * فان شئت ان تنثر * ولا تعثر * فقل محاطبا لمن ذم البخل * واكثر العذل * لذ بكل مؤمل اذا لم * وملك بذل * وان احببت ان تنظم * فقل للذي تعظم *

نظم

اس ازملا اذا مرا * وارع اذا المرء اسا

اَسْنِدْ اخانَبا هةٍ * اَبِنْ اِخاءً دَنَسا

اُسْلُ جَنابَ غاشِمٍ * مُشاغِبٍ اِنْ جَلَسا

اَسِرْ اذا هَبَّ مِرًا * وارْمِ بِهِ اذا رَسا

اُسْكُنْ نَقِيَّ فَعسى * يُسْعِفُ وَقْتٌ نُكُسا

قال فلمّا سَحَرنا بأبياته * وحَسَرنا بُعْدَ غاياته * مَدَحْناهُ حتّى استَعْفى * ومَنَحْناهُ الى آنِ استَكْفى * ثم شَمَّرْ ثيابَه * وازدَفَرَ جرابَه * ونَهَضَ يُنْشِدُ *

نظم

لِلّهِ دَرُّ عِصابةٍ * صُدُقِ المَقالِ مَقاوِلا

فاقُوا الأنامَ فَضائلًا * ما ثُورِزَةً وفَواضِلا

حاوَرْتُهم فَوَجَدتُ سَحْبًا نًا لَدَيْهِم بارِلا

وحَلَلْتُ فيهم سائِلًا * فَلَقِيتُ جَوْدًا سائِلا

اَقسَمْتُ لو كانَ الكِرامُ حَيًّا لكانوا وابِلا

ثم خَطَا قَيْدَ رُمْحَيْنِ * وعادَ مُسْتَعِيذًا من الحَيْنِ * وقال يا عِزَّ مَن عَدِمَ الآلَ * وكَنْزَ من سُلِبَ المالَ * انَّ الفاسِقَ قد وَقَبَ * ووَجْهَ المَحَجَّةِ قد انْتَقَبَ * وبَيْنِي وبَيْنَ كَنِّي لَيلٌ دامِسٌ * وطَرِيقٌ طامِسٌ * فهل من مِصباحٍ يُؤْمِنُنِي العَثارَ * ويُبَيِّنُ لِيَ الآثارَ * قال فلمّا جِئْ بالمُلْتَمَس * وجَلَّى الوُجوهَ ضَوءُ القَبَس * رأيتُ صاحِبَ صَيْدِنا * هو أبو زَيْدِنا * فقلتُ لأصحابي هذا الّذي اشرتُ الى أنّه اذا نَطَقَ أصاب * وان استُمْطِرَ صابَ *

فَاتَّلَعُوا نَحْوَهُ الأعْناقَ * وأحْدَقُوا بِهِ الأحْداقَ * وسَأَلُوهُ أن يُسامِرَهم ليلتَه * على أن يَجْبُروا عَيْلَتَه * فقال حُبًّا لِما أحببتم * ورُحْبًا بكم اذ رَحَّبتم * غيرَ أنّي قَصَدتُكم وأطْفالي يَتَضَوَّرُون من الجُوع * ويَدْمُون لي بَوْشِكَ الرُّجوع * وإن استَرابُوني خامَرَهم الطَّيْشُ * ولم يَصْفُ لي العَيْشُ * فَدُمُونِي لأذْهَبَ فاسُدَّ مَخْمَصَتَهم * وأُسِيغَ غُصَّتَهم * ثم انْقَلَبَ اليكم على الأثَر * مُتَأَهِّبًا لِلسَّمَر * الى السَّحَر * فقُلنا لأحَدِ الغِلْمَةِ اتَّبِعْهُ الى فِئَتِه * ليكونَ أسْرَعَ لِفَيْئَتِه * فانطَلَقَ معه مُضْطَبِنًا جِرابَه * ومُحْتَفِئًا إيابَه * فأبْطَأ بُطْأَ جاوَزَ حَدَّه * ثم عادَ الغُلامُ وَحْدَه * فقلنا ما عَنَدَكَ من الحديث * من الخَبيث * قال أخَذَني في طُرُقٍ مُتْعِبَةٍ * وسُبُلٍ مُتَشَعِّبَةٍ * حتى أفْضَيْنا الى دُوَيْرَةٍ خَرِبَةٍ * فقال هُهُنا مُناخِي * ووَكْرُ فِراخِي * ثم استَفْتَحَ بابَه * واختَلَجَ مِنّي جِرابَه * وقال لَعَمْري لقد خَفَّفْتَ مِنّي * واستوجَبْتَ الحُسْنى مِنّي * وهاكَ نَصيحةً هي من نَفائِسِ النَّصائح * ومَغارِسِ المَصالِح * وأنشَدَ *

نظم

اذا ما حَوَيْتَ جَنى نَخْلَةٍ * فلا تَقْرَبَنْها الى قابِلِ

واِمّا سَقَطْتَ على بَيْدَرٍ * فَحُصِّلْ من السُّنْبُلِ الحاصِلِ

ولا تَلْبَثَنَّ اذا ما لَقَطْتَ * فتَنْشَبَ في كَفَّةِ الحابِلِ

ولا تُوغِلَنَّ اذا ما سَبَحْتَ * فإنَّ السَّلامَةَ في الساحِلِ

وخاطِبْ بهاتِ وجاوِبْ بسَوْفَ * وبِعْ آجِلًا منكَ بالعاجِلِ

ولا تُكْثِرَنَّ على صاحِب * فمامُلَّ قطُّ سِوَى الواصِلِ

ثُم قال اَخْزُنْها في تامُّورِك * واقتَدْ بها في اُمورِك * وبادِرْ الى صَحْبِك * في كَلاءَةِ ربِّك * فاذا بَلَغْتَهم فَابْلِغْهم تَحِيَّتي * وانْثُرْ عليهم وَصِيَّتي * وقُلْ لهم عنّي انَّ السَّهَرَ في الخُرافات * لَمِنْ اَعْظَمِ الآفات * ولَسْتُ الْغِي احتراسي * ولا اَجْلُبُ الهَوَسَ الى راسي * قال الرّاوي فلمّا وَقَعْنا فَحْوى شِعْرِهِ * على نُكْرِهِ ومَكْرِهِ * تَلاوَمْنا على تركِهِ * والاغترارِ بِاِفْكِهِ * ثُم تَفَرَّقْنا بُوجوهٍ باسِرةٍ * وصَفْقَةٍ خاسِرةٍ *

المقامة السابعة عشر القهقرية

حدث الحارث بن همّام قال لَحَظْتُ في بعضِ اَمطارِ البَيْن * ومَطامِحِ العَيْن * فِتْيَةً عليهم سِيَمى الحِجى * وطُلاوةُ نُجومِ الدُّجى * وهم في مُمارَاةٍ مُشْتَدَّةِ الهُبوب * ومُباراةٍ مُشْتَطَّةِ الاُلْهوب * فَهَزَّني لقَصْدِهم هَوَى المُحاضرة * واستحلاءُ جَنَى المُناظرة * فلمّا الْتَحَفْتُ بَرْطِهم * وانتظَمْتُ في سِمْطِهم * قالوا اَانْتَ مِمَّن يُبْلى في الهَيْجاء * ويُلْقى دَلْوَهُ في الدِّلاء * فقُلْتُ بل انا من نُظّارِ الحَرْب * لا مِن اَبْناءِ الطَّعْن والضَّرْب * فاَضْرَبُوا من حِجاجي * وافاضُوا في التّحاجي * وكان في بُحْبوحةِ حَلْقَتِهم * واكْلِيلِ رُفْقَتِهم * شَيْخٌ قد بَرَتْهُ الهُمومُ * ولَوَّحَتْهُ السَّمُومُ * حتى ما دَا نَحْلَ من قَلَمٍ * واَقْحَلَ من جَلَمٍ * الّا انّه كان يُبْدي العُجابَ * اذا اَجابَ * ويُنْسي سَحْبانَ * كُلَّما اَبانَ * فاُعْجِبْتُ بما اُوتِيَ من الاِصابة * والتَبْريزِ على تلكَ العصابة * وما زالَ يُفْصِح

من كُلِّ مُعَمًّى * ويُضْمِي في كُلِّ مَرْمىً * الى اَن خَلَتِ الجِعابُ * ونَفِدَ السُّؤالُ والجَوابُ * فلمّا رأى انْفاضَ القَوْم * واضطرارَهم الى الصَّوْم * عَرَّضَ بالمُطارَحة * واستَأْذَنَ في المُفاتَحة * فقالوا حَبَّذا * ومَنْ لنا بِذا * فقال اَتَعْرِفون رسالةً اَرْضُها سَماؤُها * وصُبْحُها مَساؤُها * يُسَجِّعُ على مِنْوالَين * وتَجَلَّلَتْ في لَوْنَين * وصَلَّتْ الى جِهَتين * وبَدَتْ ذاتَ وَجْهَين * اِن بَزَغَتْ من مَشْرِقِها * فناهِيك بِرَوْنَقِها * واِن طَلَعَتْ من مَغْرِبِها * فيا لِلعَجَبِ بِها * قال فكاَنَّ القومَ رُمُوا بالصُّمات * اَوحَقَّتْ عليهم كَلِمَةُ الاِنْصات * فما اَنِسَ منهم اِنْسانٌ * ولا فاهَ لاَحَدِهم لِسانٌ * فحِيْنَ رَآهم بُكْمًا كالاَنْعام * وصُمُوتاً كالاَصْنام * قال لهم قد اَجَّلْتُكم اَجَلَ العِدَّة * واَرْخَيْتُ لكم طَوَلَ المُدَّة * ثُم ههُنا مَجْمَعُ الشَّمْل * وموقِفُ الفَصْل * فان سَمَحَتْ خَواطِرُكم مَدَحْنا * وان صَلَدَتْ زِنادُكم قَدَحْنا * فقالوا لله واللهِ ما لنا في لُجَّةِ هذا البَحْرِ مَسْبَحٌ * ولا في ساحِلِه مَسْرَحٌ * فاَرِحْ اَفكارَنا من الكَدّ * وهَنِّيءِ العَطِيَّةَ بالنَّقْد * واتَّخِذْنا اِخْوانًا يَثِبُون اِذا وَثَبْتَ * ويَثْبُتون مَتى اَسْتَثْبَتَ * فاَطْرَقَ ساعةً * ثُم قال سَمْعًا لكم وطاعةً * فاستَمْلَوْا مِنّي * وانْقَلَوْا عَنّي * الاِنسانُ * صَنيعةُ الاِحسان * ورُبَّ الجَميلِ فِعْلُ النَّدْب * وشِيمةُ الحُرِّ ذخيرةُ الحَمْد * وكَسْبُ الشُّكْرِ استِمْرارُ السَّعادة * وعُنْوانُ الكَرَمِ تَباشِيرُ البِشْر * واستعمالُ المُداراة * يُوجِبُ المُصافاة * وعَقْدُ المَحَبَّةِ يَقْتَضي النُّصْحَ * وصِدْقُ الحديثِ حِلْيَةُ اللِّسان * وفَصاحَةُ المَنْطِقِ سِحْرُ الاَلْباب * وشَرَكُ الهَوى آفَةُ النُّفوس * ومَلَلُ الخِلّان *

شَيْنُ الخَلائِق * وسُوءُ الطَّمَع * يُباينُ الوَرَعَ * والتزامُ الحِزامَة * زِمامُ السَّلامة * وتَطَلُّبُ المَثالِب * شَرُّ المعائب * وتتبُّعُ العَثَراتِ * يُدْحِضُ المَوَدَّاتِ * وخُلوصُ النِّيَّة * خلاصة العَطِيَّة * وتَهْنِيَةُ النَّوال * ثَمَنُ السُّؤال * وتَكَلُّفُ الكُلَف * يُسَهِّل الخَلَف * وتَيَقُّنُ المَعونة * يُسَنِّي المَؤونة * وفَضْلُ الصَّدْر * سَعَةُ الصَّدْر * وزِينةُ الرِّعاة * مَقْتُ السُّعاة * وجَزاءُ المَدائح * بَثُّ المَنائح * ومَهْرُ الوسائل * تَشْفيعُ المَسائل * ومَجْلبةُ الغَواية * استغراقُ الغاية * وتجاوُزُ الحَدّ * يُكِلُّ الحَدّ * وتَعَدّي الأدَب * يُحْبِط القُرَب * وتَناسي الحُقوق * يُنْشِي العُقوق * وتَحاشي الرِّيَب * يَرْفَع الرُّتَب * وارتفاعُ الأخْطار * باقتحام الأخْطار * وتنوُّهُ الأقْدار * بمُواتاة الأقْدار * وشَرَفُ الأعْمال * في تقصير الآمال * واطالة الفِكْرة * تنقيحُ الحِكْمة * وراسُ الرِياسة * تهذُّبُ السِّياسة * ومع التَّحاجة * تُلْغَى الحاجة * وعند الأوْجال * تتفاضَلُ الرِّجال * بتفاضُلِ الهِمَم * تتفاوَتُ القِيَم * وبتزيُّدِ السَّفير * يهْنُ التَّدبير * وبخَلَلِ الأحْوال * تَتَبَيَّنُ الأهْوال * وبمُوجَبِ الصَبْر * ثَمَرةُ النَّصْر * واستحقاقُ الإحْماد * بحَسَبِ الاجتهاد * ووُجوبُ المُلاحَظة * كِفاءُ المُحافَظة * وصَفاءُ المَوالي * بتعهُّدِ المَوالي * وتَحلِّي المُرُوَّات * بحِفْظِ الأمانات * واختبارُ الإخْوان * بتخفيفِ الأحْزان * ودَفْعُ الأعْداء * بكَفِّ الأوْداء * وامتحانُ العُقَلاء * بمُقارنة الجُهَلاء * وتبصُّرُ العَواقِب * يومِنُ المَعاطِب * واتِّقاءُ الشَّنْعة * يَنْشُرُ السُّمْعة * وقُبْحُ الجَفاء * يُنافي الوَفاء * وجَوْهَرُ الأحْرار * مندَ الأسْرار * ثم قال هذه مائة لفظة * تَحْتوي على أدَبٍ وطِئَة *

فَمَنْ صاقَها هذا المَساق * فلا مِراءَ ولا شِقاق * ومن زامَ مَكْسَ فالَبِها * وان يَرُدَّها على مَقيلها * فليَقُلْ الأسْرار * عند الأحْرار * وجَوْهَرُ الوفاء * يُنافي الجَفاء * وقُبْحُ السُّمْعة * يَنْشُرُ الشَّنْعة * ثم على هذا المَسْحَب فليَسْحَبْها * ولا يَرْهَبْها * حتى تكُونَ خاتِمةُ فِقَرِها * وآخِرةُ دُرَرِها * ورَبِّ الإحسان * صَنيعةُ الانسان * قال الرَّاوي فلمَّا صَدَعَ برِسالتِهِ الفريدة * وأمْلوحتِه المُفيدة * عَلِمْنا كيفَ يَتفاضَلُ الإنْشاءُ * وانَّ الفَضْلَ بيدِ الله يُؤتيهِ من يَشاءُ * ثم اعتلَقَ كُلُّ مِنّا بذَيْلِه * وتَلَذَّذَ فِلْذةً من نَيْلِه * فأبى قَبولَ فِلْذتي * وقال لستُ أرْزأُ تِلامذتي * فقلتُ له كُنْ ابازيد على شُحوبِ سَحْنَتِك * ونُضوبِ ماءِ وَجْنَتِك * فقال انا هو على نُحولي وقُحولي * وقَشْفِ مُحولي * فأخَذْتُ في تَثْريبِه * على تشريقِه وتغريبِه * فتَوَلَّقَ واسْتَرْجَع * ثم انْشَد من قَلْبٍ مَوْجَع *

نظم

مَلَّ الزَّمانُ عَلَيَّ مَضْبَه * لِيَرُوعَنِي واَحَدَّ غَرْبَه

وَاسْتَلَّ من جَفْنِي كَرا * ةً مُراغِمًا واَسالَ غَرْبَه

واَجالَنِي في الأفْقِ اَطْوِي شَرْقَهُ واَجُوبُ غَرْبَه

فَبِكُلِّ جَوْ طَلْعَةٌ * في كُلِّ يَوْمٍ لي وغَرْبَه

وكذا المُغَرَّبُ شَخْصُهُ * مُتَغَرِّبٌ ونَواهُ غَرْبَه

ثم وَلّى يَجُرُّ مِطْفَيْه * ويَخْطِرُ بيَدَيه * ونحن بين مُتَلَفِّتٍ اليه * ومُنْهافِتٍ عليه * ثم لم نَلْبَث اَنْ حَلَلْنا الحُبا * وتَفَرَّقْنا اَيادِي سَبا *

المقامة الثامنة عشر السنجارية

حكى الحارث بن همام قال قفلت ذات مرة من الشام * انحو مدينة السلام * فى
ركب من بنى نمير * ورفقة اولى خير ومير * ومعنا ابو زيد السروجى عقلة العجلان *
وسلوة الثكلان * واعجوبة الزمان * والمشار اليه بالبنان فى البيان * فصادف
نزولنا سنجار * ان اولم بها احد التجار * فدعا الى مأدبته الجفلى * من اهل الحضارة
والفلى * حتى سرت دعوته الى القافلة * وجمع فيها بين الفريضة والنافلة * فلما
اجبنا مناديه * وحللنا ناديه * احضر من اطعمة اليد واليدين * ما حلى فى الفم وحلى
بالعين * ثم قدم جاما كانما جمد من الهواء * او جمع من الهباء * او صيغ من
نور الفضاء * او قشر من الدرة البيضاء * وقد اودع لفائف النعيم * وضمخ بالطيب
العميم * وسيق اليه شرب من تسنيم * وسفر من مرأى وسيم * وارج نسيم * فلما
اضطرمت بمحضره الشهوات * وقرمت الى مخبره اللهوات * وشارف ان تشن
على سربه الغارات * وينادى عند نهبه يا للثارات * نشز ابو زيد كالمجنون * وتباعد
عنه تباعد الضب من النون * فراودناه على ان يعود * ولا يكون كقدار فى ثمود * فقال
والذى ينشر الاموات من الرجام * لا عدت دون رفع الجام * فلم نجد بدا من
تألفه * وابرار حلفه * فاسئلناه والعقول معه شائلة * والدموع عليه سائلة * فلما فاء الى
مجمته * وحلص من مأثمه * سألناه لم قام * ولاى معنى استرفع الجام * فقال ان الزجاج نمام *

وانى آليت مذ اعوام * ان لا يضمنى ونموما مقام * فقلنا ما سبب يمينك الصرى * واليتك
الحرى * فقال كان لى جار لسانه يتقرب * وقلبه عقرب * ولفظه شهد ينقع * وخبأة سم
منقع * فملت لمجاورته * الى محاورته * واغتررت بمكاشرته * فى معاشرته * واستهوتنى
خضرة دمنته لمنادمته * واغرتنى خدعة سمنه بمناسمته * فمازجته وعندى انه جار
مكاسر * فبان انه عقاب كاسر * وآنسته على انه حب مؤانس * فوضح انه حباب
موالس * وما احتته ولا اعلم انه عند نقده * ممن يفرح بفقده * وعاقرته ولم ادر انه بعد فره *
ممن يطرب لمفره * وكانت عندى جارية * لا يوجد لها فى الكمال مجارية * ان
سفرت خجل النيران * وصليت القلوب بالنيران * وان بسمت ازرت بالجمان *
وبيع المرجان بالمجان * وان رنت هيجت البلابل * وحققت سحر بابل * وان نطقت
عقلت لب العاقل * واستنزلت العصم من المعاقل * وان قرأت شفت المفؤود * واحييت
الموءود * وخلتها اوتيت من مزامير آل داود * وان غنت ظل معبد لها عبدا * وقيل
سحقا لاسحاق وبعدا * وان زمرت اضحى زنام عندها زنيما * بعد ان كان لجبله زعيما *
وبالاطراب زعيما * وان رقصت امالت العمائم عن الرؤوس * وانستك رقص الحبب
فى الكؤوس * فكنت ازدرى معها حمر النعم * واحلى بتمليها جيد النعم * واحجب مرآها
عن الشمس والقمر * وازود ذكراها عن شرائع السمر * وانا مع ذلك اليح * من ان
تسرى بريا ها ريح * او يكهن بها سطيح * او ينم عليها برق مليح * فاتفق لوشك الحظ

المَبخوس * وَنَكِدِ الطالِعِ المَنحوس * اَنْ اَنطَقَتنِي بوَصفِها حُمَيَّا المُدام * عندَ الجارِ النَّمّام * ثُم ثابَ الفَهْمُ * بعدَ اَن صَرِدَ السَّهْمُ * فاحسَستُ الخَبالَ والوَبالَ * وضَيعَةَ ما اُودِعَ ذٰلِكَ الغِربالَ * بَيدَ اَنّي عاهَدتُه * على كَتْمِ ما لَفَظتُه * وان يَحفَظَ السِرَّ ولو اَحفَظتُه * فزَعَمَ انه يَخزُن الاَسرارَ * كما يَخزُن اللَّئيمُ الدِينارَ * وَاَنَّه لا يَهتِكُ الاَستارَ * ولرُمتُ لان يَلِجَ النارَ * فما غَبَرَ على ذلك الزَّمان * الا يومٌ او يومان * حتى بَدا لِاَميرِ تلكَ المَدَرَة * ووالِيها ذي المَقدُرَة * اَن يَقصِدَ بابَ نَيلِه * مُجَدِّدًا عَرضَ خَيلِه * ومُستَطرِفًا عارِضَ نَيلِه * وارتادَ ان يَصحَبَه تُحفَةً تُلائِمُ هَواه * لِيُقَدِّمَها بينَ يَدَيْ نَجواه * وجَعَلَ يَبذُلُ الجَعائِلَ لِرُوّاده * ويُسنِي المَراغِبَ لِمَن يُظفِرُه بمُرادِه * فاَسَفَّ ذٰلِكَ الجارُ الخَتّارُ الى بَذلِه * وعصى في اِدراعِ العارِ عَذْلَ عَذولِه * فاَتى الوالِيَ ناشِرًا اُذُنَيْه * وَاَبَثَّه ما كنتُ اَسرَرتُه اليه * فمارا عَنِّي الاَنسِيابُ صاغِيَتِه الَيَّ * وانثيالُ حَفَدَتِه عَلَيَّ * يَسُومُني ايثارَه بالدُّرَّةِ اليَتيمة * على اَن اَتَحَكَّمَ عليه في القِيمة * فغَشِيَني من الغَمِّ * ما غَشِيَ فِرعَونَ وجُنودَه من اليَمِّ * ولم اَزَلْ اُدافِعُ عنها ولا يُغنِي الدِفاعُ * واَستَشفِعُ اليه ولا يُجدي الاستشفاعُ * وكُلَّما رَأى مِنّي ازدِيادَ الامتِياضِ * وارتيادَ المَناضِ * تَجَرَّمَ وتَضَرَّمَ * وحَرَقَ عَلَيَّ الاَرَمَ * ونَفسي مع ذٰلِكَ لا تَسمَحُ بمفارَقَةِ بَدرِي * ولا بَاَن اَنزِعَ قَلبي من صَدرِي * حتى آلَ الوعيدُ اِيقاعًا * والتَقريعُ قِراعًا * فقادَني الاِشفاقُ من الحَيْن * الى اَن قِضتُه سَوادَ العَيْن * بصُفرَةِ العَين * ولم يَحظَ الواشي بغَيرِ الاِثمِ والشَين * فعاهَدتُ اللهَ تعالى مُذ ذٰلِكَ العَهدَ *

اَن لا اُحاضِرَ نَمّامًا من بَعدُ * والزُّجاجُ مخصوصٌ بهٰذِهِ الطِباعِ الذَّميمة * وبه يُضرَبُ المَثَلُ في النَميمة * فقد جَرى عليه سَيلُ يميني * ولِذٰلِكُمُ السَبَبِ لم تَمتَدَّ اليه يميني * نظم

فلا تعذِلوني بَعدُ ما قد شَرَحتُه * على اَنَّ حُرِمتُم بي اقتِطافَ القَطائِفِ
فقد بانَ عُذرِي في صَنيعي وانَّني * سَأرتُقُ فَتقي من تَلَدِّي وطارِفي

على اَن ما زَوَّدتُكم من فُكاهَةٍ * اَلَذُّ من الحَلوا لَدى كُلِّ عارِفِ

قال الحارِثُ بن هَمّام فقَبِلْنا اعتذارَه * وقَبِلْنا اِعذارَه * وقُلنا له قَدَمًا وَقَذِتِ النَميمةُ خَيرَ البَشَر * حتى انتَشَرَ عن حَمّالَةِ الحَطَبِ ما انتَشَر * ثم سَأَلْناه عَمّا اَحدَثَ جارُ القَنّات * ودُخّلُه المُقتات * بعدَ اَن راشَ له نَبلَ السِعاية * وجَذَمَ حَبلَ الرِعاية * فقال اَخَذَ في الاستِخذاء والاستِكانة * والاستِشفاعِ الى بَذوِي المَكانة * وكنتُ حَرَجتُ على نَفسي * اَن لا يَسترجِعَه اَنسي * او يَرجِعَ الى اَمسي * فلم يَكُن له مِنّي سِوى الرَدّ * والاِصرارِ على الصَدِّ * وهو لا يَكتَئِبُ من النَكْثِ * ولا يَتَأَثَّبُ من وَقاحَةِ الوَجهِ * بل يُلِظُّ بالوَسائِلِ * ويُلِحُّ في المَسائِلِ * فما اَنقَذَني من اِبرامِه * ولا اَبعَدَ عليه نَيلَ مَرامِه * الا اَبياتٌ نَفَثَ بها الصَدرُ المَوتور * والخاطِرُ المَبتور * فاِنّها كانَتْ مَدحَرَةً لِشَيطانِه * ومَسجَنَةً له في اَوطانِه * وعندَ انتِشارِها بَتَّ طَلاقَ الحُبور * ودَعا بالوَيلِ والثُبور * واَيِسَ من نَشرِ وَصلِيَ المقبور * كما يَئِسَ الكُفّارُ من اَصحابِ القُبور * فناشَدناه اَن يُنشِدَنا اِيّاها * ويُنشِقَنا رَيّاها * فقال اَجَلْ * خُلِقَ الاِنسانُ من عَجَل * ثم اَنشَدَ لا يَزويه خَجَلٌ * ولا يُثنِيهِ وَجَلٌ *

نظم

وندیم مَحَضْتُه صِدْقَ وُدِّی * اذ تَوَهَّمْتُه صَدِیقًا حمیما

ثُم اَوْلَیْتُه قطیعَةَ قالٍ * حینَ اَلْفَیْتُه صدیدًا حمیما

خِلْتُه قَبْلَ اَن یُجَرِّبَ اِلْفًا * ذا ذِمامٍ فبانَ جِلْفًا ذمیما

وتَخَبَّرْتُه کلیمًا فَمَسّی * منه قَلْبِی بما جَناهُ کلیما

وتَظَنَّیْتُه مُعِینًا رحیمًا * فتَبَیَّنْتُه لَعِینًا رجیما

وتَرَاأَیْتُه مُرِیدًا فجَلّی * عنه سَبْکِی له مَرِیدًا لئیما

وتَوَسَّمْتُ ان یَهَبَّ نسیمًا * فَابَی اَن یَهَبَّ الّا سَمُوما

بِتُّ من لَسْعِهِ الَّذی اَعْجَزَ الرّا * قِی سلیمًا وباتَ مِنّی سلیما

وغَدا اَمْرُهُ غَداةَ افْتَرَقْنا * مستقیمًا والجِسْمُ مِنّی سقیما

لم یَکُنْ رائِعًا خَصِیبًا ولٰکِنْ * کان بالشَّرِّ رائِعًا لی خصیما

قلتُ لمّا بَلَوْتُه لَیْتَهُ کا * نَ عَدِیمًا ولم یَکُنْ لی ندیما

بَغَّضَ الصُّبْحَ حینَ نَمَّ الی قَلْبِی لاَنّ الصَّباحَ یُلْفِی نَمُوما

ودَعانِی الی هَوَی اللَّیْلِ اذ کا * نَ سَوادُ الدُّجی رقیبًا کَتُوما

وکَفَی مَن یَشِی ولوفاءَ بالصِّدْ * قِ اَنّا مَا فیما اَتاهُ ولُوما

قال فلما سَمِعَ رَبُّ المَنْزِلِ فَرِیضَهُ وسَجْعَهُ * واستَمْلَحَ تقریضَهُ وسَبْعَهُ * بَوّاهُ مِهادَ کَرامتِهِ * وصَدَّرَهُ علی تکرِمَتِهِ * ثُم استَحْضَرَ مَشْرَ صِحافٍ من العَرَبِ * فیها حَلْواءُ القَنْدِ والضَّرَبِ *

وقال له لایَسْتَوِی اَصْحابُ النارِ واصحابُ الجَنَّةِ * ولایَسَعُ ان یُجْعَلَ البَرِیُّ کذِی الظِّنَّةِ * وهٰذِهِ الآنِیَهُ تَتَنَزَّلُ مَنزِلَةَ الاَبْرارِ * فی صَوْنِ الاَسْرارِ * فلاتُوَلِّها الابْعادَ * ولاتُلْحِقْ هُوَدًا بعادٍ * ثُم اَمَرَ خادِمَهُ بنَقْلِها الی مَثْواهُ * لِیَحْکُمَ فیها بما یَهْواهُ * فَاقْبَلَ علینا ابُوزَیْدٍ وقال اقْرَؤُوا سُورَةَ الفَتْحِ * وابْشِرُوا باندِمالِ القَرْحِ * فقد جَبَرَ اللهُ کُلْکُم * وسَنّی اُکْلُکم * وجَمَعَ فی ظِلِّ الحَلْواءِ شَمْلَکم * وعَسی اَن تَکْرَهُوا شَیْئًا وهو خَیْرٌ لکم * ولَمّا هَمَّ بالانصرافِ * مالَ الی استهداءِ الصِّحافِ * فقال لِلآدِبِ اِنَّ من دَلائِلِ الظَّرْفِ * سَماحَةَ المُهْدِی بالظَّرْفِ * فقال کلاهما والغُلامَ * فَاحْذِفِ الکَلامَ * وانْهَضْ بسَلامٍ * فوَثَبَ فی الجَوابِ * وشَکَرَهُ شُکْرَ الرَّوْضِ لِلسَّحابِ * ثُم اقتادَنا ابوزیدٍ الی حِوائِهِ * وحَکَّمَنا فی حَلْوائِهِ * وجَعَلَ یُقَلِّبُ الاَوانِیَ بیَدِهِ * ویَفُضُّ مَدَدَها علی مَدَدِهِ * ثُم قال لَسْتُ اَدْرِی اَشْکُرُ ذلک النَّمّامَ اَمْ اَکْفُرُ * واَتَناسی فَعْلَتَهُ ام اَذْکُرُ * فانَّهُ وان کانَ اَسْلَفَ الجَرِیمَةَ * ونَمَّمَ النَّمِیمَةَ * فمن غَیْبِهِ اَنْهَلَّتْ هٰذِهِ الدِّیمَةُ * وبسَیْفِهِ انحازَتْ لِی هٰذِهِ الغَنِیمَةُ * وقد خَطَرَ ببالِی * اَن اَرْجِعَ الی اَشْبالِی * واَقْنَعَ بما تَسَنّی لِی * ولا اُتْعِبَ نَفْسِی ولا اَجْمالِی * وانا اُوَدِّعُکم وَداعَ مُحافِظٍ * واَستَوْدِعُکم خَیْرَ حافِظٍ * ثُم استوی علی راحِلَتِهِ * راجِعًا فی حافِرَتِهِ * ولاوِیًا الی زافِرَتِهِ * فغادَرَنا بعدَ اَنْ وَخَدَتْ عَنّا * وزایَلَنا اُنْسُهُ * کَدَمْعٍ غابَ صَدْرُهُ * اولَیْلٍ اَفَلَ بَدْرُهُ *

المقامة التاسعة عشر النصيبية

زوى الحارث بن همام قال اَمْحَل العراقُ ذاتَ العُوَيم * لاخلافِ اَنواء الغَيْم *
وتحدَّث الرَّكْبانُ بريفِ نَصِيبِين * وبُلهْنِية اَهْلِها المُخْصِبين * فاقتعدتُ مَهْرِيًّا * واعتقلتُ
سَمْهَرِيًّا * وسِرتُ تَلْفِظُنى اَرضٌ الى اَرضٍ * ويَجْذِبُنى رَفْعٌ من خَفْضٍ * حتّى بلغتُها
نِقضًا على نِقضٍ * فلمّا انختُ بمَغناها الخصيب * وضربتُ في مَرْعاها بنصيب *
نَوَيتُ ان اُلقِىَ بها جِرانِى * واَتخذَ اَهْلَها جِيرانِى * الى اَن تحيى السَّنَةُ الجَماد *
ويتعهَّدَ اَرضَ قومِىَ العِهاد * فوالله ما تمضمضتْ مُقلتى بنَوْمِها * ولا تمخَّضتْ
لَيلتى من يَوْمِها * اوالْفيتُ ابا زيدٍ السَّروجىَّ يَجُولُ في اَرجاءِ نَصِيبِين * ويَخبِطُ بها
خَبْطَ المُصابين والمُصيبين * وهو يَنثُرُ من فِيهِ الدُّرَر * ويَحتلِبُ بكَفَّيهِ الدِّرَر * فوجدتُ بها
جِهابِذى قد حازَ مَغْنَماً * وقد حِىَ الفَذَّ قد صارَ تَوْأَماً * ولم اَزَلْ اَتبعُ ظِلَّه اَيْنَما انبعَثَ *
واَلتقِطُ لَفْظَه كُلَّما نَفَثَ * الى اَن مَراه مَرَضٌ امتدَّ مَداه * ومَرَقَتْه مُداه * حتّى كادَ
يَسْلُبُه ثوبَ المَحْيا * ويُسْلِمُه الى اَبى يَحْيى * فوجدتُ لفَوْتِ لُقْياه * وانقطاعِ سُقْياه *
ما يَجِدُه المُبْعَدُ من مَرامِه * والمُرْضَعُ عند فِطامِه * ثم اُرجِفَ بَاَنّ رَهْنَه قد غَلِقَ * ومِخْلَبَ
الحِمامِ به قد عَلِق * فنَاقَ صَحْبُه لاِزجافِ المُرجِفين * وانثالُوا الى عَقْوتِه مُوجِفين *

نظم

حَيارى يَمِيدُ بهم شَجْوُهم * كانّهم ارتَضعُوا النَّهْدَرِيسا
اَسالُوا الغُروبَ وعَطُّوا الجُيوبَ * وصَكُّوا الخُدودَ وشَجُّوا الرُّءُوسا

يَوَدُّونَ لوسالَمَتْهُ المَنُونُ * وغالَتْ نَفائِسَهم والنُّفوسا

قال الراوى وكنتُ فيمن التَفَّ باصحابِه * واَخَذَّ الى بابِه * فلمّا انتهَيْنا الى فِنائِه *
وتَصَدَّيْنا لاستنشاءِ اَنبائِه * بَرَزَ الينا فتاهُ * مُفْتَرَّةً شَفَتاهُ * فاستَطْلَعْناه طِلْعَ الشَّيخ في شَكاتِه *
وكُنهِ قُوى حَرَكاتِه * فقال قد كانَ في قَبضةِ المَرْضة * وعِرْكَةِ الوَعْكة * الى اَن شَفَّه الدَّنَفُ *
واستَشَفَّه التَّلَفُ * ثم مَنَّ اللّه بتقويةِ دَمائِه * فَافاقَ من اِغمائِه * فارجِعُوا اَدراجَكُم *
وانْضُوا انزِعاجَكُم * فكانْ قد غَدا وراحَ * وسافاكُمُ الرَّاحَ * فاعْظَمْنا بُشْراه * واقترَحْنا
اَنْ نَراه * فدَخَل مُؤْذِنًا بنا * ثم خَرجَ آذِنًا لنا * فلَقِيْنا منه لَقًى * ولِسانًا طَلْقًا * وجَلَسْنا
مُحْدِقِين بسَرِيرِه * مُحْدِقِين الى اَسارِيرِه * فقَلَّبَ طَرْفَه في الجَماعة * ثم قال اجتَلَوْها
بِنْتَ السّاعة * وانشد *

نظم

عافانِى اللّه وشُكْرًا لَه * من عِلَّةٍ كادَتْ تُعَفِّينِي
ومَنَّ بالبُرْءِ على اَنَّه * لا بُدَّ من حَتْفٍ سَيَرْدِينِى
ما يَتَنَاهانى ولٰكِنَّه * اِلى تَقَضِّى الاُكُلِ يُنْسِئُنِى
اِن حُمَّ لم يُغْنِ حَمِيمٌ ولا * حِمى كُلَيْبٍ منه يَحْمِيْنِى
وما اُبالِى آدَنا يَوْمُه * اَمْ اُخِّرَ الحَيْنُ الى حِيْنِ
فَاىُّ فَخْرٍ فى حَيوةٍ اَرى * فيها البَلا يا ثُمَّ تُبْلِينِى

قال فدَمْدَمْناله بامتدادِ الاَجَل * وارتدادِ الوَجَل * ثم تداعَيْنا الى القِيام * لاتّقاءِ الاِبْرام *

فقال كَلَّا بل البَثُوا بياضَ يَوْمِكم مندِى * لتشفُوا بالمُنَا كِهةِ وَجْدِى * فإنَّ منا جاتكم قُوتُ نَفْسِى * ومَغْناطِيسُ اُنْسِى * فتَحَرَّيْنا مَرْضاتَه * وتحامَيْنا مُعاصاتَه * ثُمَّ اَقْبَلْنا على الحديثِ نَمْخَضُ زُبْدَه * ونُلْغِي زَبَدَه * الى اَنْ حانَ وقتُ المَقِيل * وكَلَّتِ الاَلْسُنُ من القالِ والقِيل * وكانَ يومًا حامِيَ الوَدِيقة * يانِعَ الحَدِيقة * فقال اِنَّ النَّعامَ قد اَمالَ الاَعْناقَ * وراوَدَ الآماقَ * وهو خَصْمٌ الَدُّ * وخِطْبٌ لا يُرَدُّ * فِصلُوا حَبْلَه بالقَيْلولَة * واقْتَدُوا فيه بالآثارِ المنقولَة * قال الرَّاوى فاتَّبَعْنا ما قال * وقِلْنا وقال * فضَرَبَ اللهُ على الآذانِ * وأَفْرَغَ السِّنَةَ فى الاَجْفانِ * حتّى خَرَجْنا من حُكْمِ الوُجود * وصُرِفْنا بالهُجودِ من السُّجودِ * فما استَيْقَظْنا اِلَّا والحَرُّ قد باخَ * واليومُ قد شاخَ * فتَكَرَّمْنا لصلوةِ العَجْماوَيْن * وأَدَّيْنا ما حَلَّ من الدَّيْن * ثُمَّ تَحَنْحَنّا للارتحال * الى مُلْقَى الرِّحال * فالْتَفَتَ ابوزيدٍ الى شِبْلِه * وكانَ على شاكِلَتِهِ وشَكْلِه * وقال اِنِّي لِاَخالُ اباعَمْرَةَ * قد اَضْرَمَ فى اَحْشائِهِم الجَمْرَةَ * فاستَدْعِ اَباجامِعٍ * فاِنَّه يُشْرِى كُلَّ جائِعٍ * وارْدِفْه بابى نُعَيْم * الصّابِرِ على كُلِّ ضَيْم * ثُمَّ عَزِّزْ بابى حبيب * المُحَبَّبِ الى كُلِّ لبيب * المُقلَّبِ بين احراقٍ وتعذيب * واهِبْ بابى ثَقِيفٍ * فحَبَّذا هو من اَلِيفٍ * وهَلُمَّ بابى عَوْنٍ * فما مِثْلُه من عَوْنٍ * ولو استحضَرْتَ اباجميل * فجَمِّلْ اَىَّ تجميلٍ * وحَىَّ هَلْ بامِّ القِرى * المُذَكِّرَةِ بكِسْرى * ولا تَتَناسَ اُمَّ جابِرٍ * فكَمْ لها من ذاكِرٍ * وناداُمَّ الفَرَج * ثُمَّ افْتُكْ بها ولا حَرَج * واخْتِمْ بابى رَزِينٍ * فهو مَسْلاةُ كُلِّ حزينٍ * وان تَقْرِن به اَبَا العَلاء * تَمْسَحْ

اَسْمَكَ من البُخَلاء * واِيَّاكَ واستِدْناءَ المُرْجِفين * قبل استقلالِ حَمولِ البَيْن * واذا نَزَعَ القومُ من المِراس * وصافَحوا اَباإياس * فاَطِفْ عليهم ابا السَّرو * فانَّه عُنْوانُ السَّرو * قال فَفَقَّهَه ابنُه لطائِفَ رُموزِه * بلَطافةِ تَمْيِيزِه * فطافَ علَيْنا بالطَّيِّبات والطِّيب * الى اَنْ دَنَتِ الشَّمْسُ بالمَغِيب * فلمّا اَجْمَعْنا على النَّوْريع * قُلْنا له الم تَرَ الى هٰذا اليومِ البَديع * كيفَ بَدا صُبْحُه قَمْطَرِيرًا * ومُسِيُّه مُسْتَنِيرًا * فسجَدَ حتّى اَطالَ * ثم رَفَعَ راسَه وقال *

نظم

لا تَيْأَسَنْ عند النُّوب * من فَرْجةٍ تَجْلُو الكُرَب
فلكَمْ سُمُومٍ هَبَّ ثُمَّ جرى نَسِيمًا فانْقَلَبْ
وسَحابِ مَكْروهٍ تَنَشَّأَ فاضمَحَلَّ وما سَكَبْ
ودُخانِ خَطْبٍ خِيفَ مِنْهُ فما استبانَ له لَهَبْ
ولطالَما طَلَعَ الاَسى * وعلى تَغِيبَتِه غَرَب
فاصْبِرْ اذا ما نابَ رُوْعٌ فالزَّمانُ ابو العَجَبْ
وتَرَجَّ من رُوحِ الاِلٰه لطائفًا لا تُحْتَسَبْ

قال فاستَمْلَيْنا اَبيانَه الغُرَّ * ووالَيْنا لله تعالى الشُّكْرَ * ووَدَّعْناهُ مَسْرورِيْنَ ببِرِّه * مغمورِيْنَ ببِرِّه *

تفسيرُ ما تضمَّنَتْه هٰذِهِ المقامةُ من اَلْفاظٍ لُغَوِيَّةٍ

وكُنًى طُفَيْلِيَّة وكنايات صُوفِيَّةٍ قولُه

ذاتَ العُوَيْم يعنى به الزّمان المُتقادم * ومِثْلُه ذاتُ الزَّمَيْن * والسَّمْهَرِيَّة الرِّماحُ * في تَسْمِيَتِها بذلك قولان * احدُهما انّها سُمِّيَتْ بهلصَلابَتِها من قولهم اسمهرَّ الشيء اذا اشتدّ * وقيل انّها منسوبةٌ الى سَمْهَر زوج رُدَيْنَة وكانا جميعاً يُقَوِّمان الرِّماحَ فنُسِبَتْ اليهما * وقوله نِقْضًا على نِقْضٍ اى مَهْزُولاً على مهزولٍ * وقوله والجِرانُ باطنُ العُنُق وقيل انّ السِّياطَ تُعْمَل منه * وقوله فضَرَبَ اللّه على الآذانِ اى انامنا ومنه قوله عزّوجلّ فضَرَبْنا على آذانِهم فى الكَهْف اى انَمْناهم وقيل فى تفسيره مَنَعْناهم السَّمْعَ * وقوله تَكَرَّعْنا لصَلوةِ العَجْماوَيْن اى غَسَلْنا آكارِعَنا وهو كِنايةٌ من الوُضوء والعَجْما وانِ صلوةُ الظُّهْر والعَصْر سُمِّيتا بذلك لاِسْرار القراءة فيهما ومنه الحديثُ صلوةُ النَّهارِ عَجْماءُ * وقوله هَلُمِّ اى قُلْ له هَلُمَّ وهى بمعنى هاتِ وبمعنى اقبل * والافصحُ ان يُوَحَّدَ لفظُها مع المذكّر والمونّث والاثنين والجمع وبه نطق القرآن في قوله تعالى والقائلين لاِخوانهم هَلُمَّ الينا * ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هُلَمَّ وللاثنين هلما وللجمع هَلُمّوا وللمونث الواحدة هَلُمّى وللاثنتين هَلُمّا وللجمع هَلُمُمْنَ * وقولُه حَىَّ هَلَ اى عَجِّلْ يُقال حَىَّ هَلْ بفلان بتسكين اللاّم وفتحِها وتنوينِها وباثبات النون معها ومنه قولُ ابن مسعودٍ في عُمَر رَضِىَ اللّهُ عنهما اذا ذُكِرَ الصّالحون فحَىَّ هَلًا بعُمَر وفي حَىَّ هَلَ لُغاتٌ اُخَر اَضْربنا من ذكرها اذ ليس هٰذا موضعَ استيفاءِ شَرْحِها فهٰذا تفسيرُ الفاظِ اللغويّة واما تفسيرُ الكُنى الطُّفَيْلِيّة والكناياتِ الصوفيّة فابو يحيى كنيةُ مَلَكِ الموت * وابو مَمْرة كنيةُ الجُوع ويُكْنى ايضاً ابا مالكٍ * وابو جامع

النحوانُ * وابو نُعَيْم الخُبْزُ الحُوّارى * وابو حبيبٍ الجَدْىُ * وابو نَقِيفٍ الخَلُّ * و ابو عَوْنٍ المِلْحُ * وابو جَمِيلٍ البَقْلُ * واُمُّ القِرى السِّكْباجُ * واُمُّ جابِرٍ الهَرِيسةُ * واُمُّ الفَرَجِ الجُوْذابةُ * وابو رَزِينٍ الخَبِيصُ * وابو العَلاءِ الفالوذَج * وابو ايّاسٍ الغَسول * والمُرْجِفان الطَّسْتُ والاَبْرِيقُ * وابو السَّرْوالبَخورُ *

المقامة العشرون الميافارقينية

حكى الحارثُ بن همام قال يَمَّمْتُ مَيَّافارِقِين * مع رُفْقةٍ مُوافِقِين * لا يُمارُوْن فى المُناجاة * ولا يُدارُون ماطَعْمُ المُداجاة * فكنتُ بهم كمَنْ لم يَرِمْ من وِجارِه * ولا ظَعَنَ من اليفه وجارِه * فلمّا انَخْنا بها مَطايَا التَّسيارِ * وانتَقَلْنا من الاَكْوارِ الى الاَوْكارِ * تواصَيْنا بتَذْكارِ الصُّحْبة وتَناهَيْنا من التقاطُعِ فى الغُرْبة * واتَّخَذْنا نادِيًا نَعْتَمِرُه طَرَفَىِ النَّهارِ * ونَتَهادى فيه طُرَفَ الاَخبارِ * فبَيْنا نحنُ فيه فى بعض الاَيّام * وقد اِنْتَظَمْنا في سِلْكِ التيام * وَقَفَ علينا ذو مِقْوَلٍ جَرِيٍّ * وجَرْسٍ جُهْوَرِيٍّ * فحَيّى تَحِيَّةَ نَقّاشٍ فى العُقَد * قَنّاصٍ للاَسَد والنَقَد * ثُم قال *

نظم

عندِىْ يا قومِ حديثٌ عجيبْ * فيه اعتبارٌ لِلَّبيب الاَرِيبْ
رَأَيْتُ فى رَيْعانِ عُمْرِى اَخا * بأسٍ له حَدُّ الحُسامِ القَضِيبْ
يُقْدِم فى المَعْرَكِ اِقْدامَ مَنْ * يُوقِن بالفَتْك ولا يَسْتريبْ
فَيَفْرِجُ الضِّيقَ بكَرّاتِهِ * حتى يَرى ماكانَ ضَنْكًا رَحِيبْ

ما با رز الاقران الا انثنى * من موقف الطعن برمح خضيب

ولا سما يفتح مستصعبا * مستغلق الباب منيعا مهيب

الا ونودي حين يسمو له * نصر من الله وفتح قريب

هذا وكم من ليلة باتها * يميس في برد الشباب القشيب

يرتشف الغيد ويرشفنه * وهو لدى الكل المفدى الحبيب

فلم يزل ينتره دهره * ما فيه من بطش ومود صليب

حتى اصارته للياليّ لقى * يعافه من كان منه قريب

قد اعجز الراقي تحليل ما * به من الداء واعيى الطبيب

وصار رم البيض وصار منه * من بعد ما كان المجاب المجيب

وآض كالمنكوس في خلقه * ومن يعش يلق دواهي المشيب

وها هو اليوم مسجى فمن * يرغب في تكفين ميت غريب

ثم اعلن بالنحيب * وبكى بكاء المحب على الحبيب * ولما رقأت دمعته * وانقشعت لوعته * قال يا نجعة الرواد * وقدوة الاجواد * والله ما نقت بيهتان * ولا اخبرتكم الا عن عيان * ولو كان في عصاي سير * ولغيمي مطير * لاستاثرت بما دموتكم اليه * ولما وقفت موقف الدال عليه * ولكن كيف الطيران بلا جناح * وهل على من لا يجد من جناح * قال الراوي فطفق القوم يأتمرون فيما يأمرون * ويتخافتون فيما يأتون * فتوهم

انهم على صرفه بحرمان * او مطالبته ببرهان * فقرط منه ان قال يا يلامع القاع ويرامع البقاع * ما هذا الارتياء * الذي يا باه الحياء * حتى كانكم كلفتم مشقة لا شقة * او استوهبتم بلدة لا بردة * او هززتم لكسوة البيت * لا لتكفين الميت * اف لمن لا تندى صفاته * ولا ترشح حصاته * فلما بصرت الجماعة بذلاقته * ومرارة مذاقته * رفأه كل بنيله * واحتمل طله خوف سيله * قال الحارث بن همام وكان هذا السائل واقفا خلفي * ومحتجبا بظهري من طرفي * فلما ارضاه القوم بسيبهم * وحق على الناسي بهم * خلجت خاتمي من خنصري * ولفت اليه بصري * فاذا هو شيخنا السروجي بلا فرية * ولا مرية * فايقنت انها اكذوبة تكذب بها * واحبولة نصبها * الا انني طويته على غره * وصنت شغاه من فره * فحصبته بالخاتم * وقلت ارصده لنفقة المأتم * فقال واها لك * فما اضرم شغلتك * واكرم فعلتك * ثم انطلق يسعى قدما * ويهرول هرولته قدما * فنزعت الى مرفان ميته * وامتحان دعوى حميته * فقرعت طنبوبي * والهبت الهوبي * حتى ادركته على خلوة * واجتليته في خلوة * فاخذت بمجمع ازدانه * وقمته من سنن ميدانه * وقلت والله مالك مني ملجأ ولا منجا * او ترييني ميتك المسجى * نكشف عن سراويله * واشار الى غرموله * فقلت له فاتلك الله فما اتعبك بالنهي * واحيلك على اللهي * ثم عدت الى اصحابي عود الزائد الذي لا يكذب اهله * ولا يبرقش قوله * واخبرتهم بالذي رأيت * وما وريت ولا رأيت * فقهقهوا من كيت وكيت * ولعنوا ذا لك الميت *

المقامة الحادية والعشرون الرازية

حكى الحارث بن همام * قال عُنِيتُ مُذْ أحكمتُ تدبيرى * وعرفتُ قبيلى من دبيرى *
بأن أُصغى الى العِظات * وألغى الكلِمَ المُحفِظات * لأتحلّى بمحاسِن الأخلاق *
وأتحلّى مِمّا يسِمُ بالإخلاق * وما زلتُ آخذ بهذا الأدب * وأُخمِدُ به جمرةَ الغضب *
حتّى صار التطبّع فيه طباعا * والتكلّف له هوًى مُطاعا * فلما خَلَلْتُ بالرّيّ * وقد خَلَلْتُ
حمأة الغيّ * وعرفتُ الحَيّ من اللّيّ * رأيتُ بها ذاتَ بُكرة * زُمرةً اثرزُمرة * وهَم
مُنتشرون انتشارَ الجراد * ومُستنّون استنانَ الجياد * ومُتواصِفون واعظًا يقصدونه *
ويُحلّون ابنَ شمعون دونه * فلم يتكاءدني لاستماع المواعظ * واختيارِ الواعظ * أن أُقاسِيَ
اللّاغطَ * وأحتمِلَ الضاغطَ * فأصحبتُ أصحابَ المطوامة * وانخرطتُ في سِلكِ الجماعة *
حتّى أفضينا الى نادٍ جمعَ الأمير والمأمور * وحشدَ النّبيهَ والمغمور * وفي وسطها لتِه *
ووسطِ أهلتِه * شيخٌ قد تقوّس واقعنسس * وتقلنس وتطلّس * وهو يصدعُ بوعظٍ يشفي
الصدور * ويُلين الصخور * فسمعتُه يقول * وقد افتتنت به العقول * ابنَ آدم ما أغراك
بما يغرّك * وأضراك بما يضرّك * وألهجك بما يُطغيك * وأبهجك بمن يُطريك * تعنّى
بما يُعنّيك * وتُهمِل ما يُغنيك * وتنزع في قوسِ تعدّيك * وترتدي الحِرصَ الذي يُردّيك *
لا بالكفاف تقتنع * ولا من الحرام تمتنع * ولا للعِظاتِ تستمع * ولا بالوعيدِ ترتدع *
دأبُك أن تتقلّب مع الأهواء * وتخبط خبطَ العشواء * وهمّك أن تدأبَ في الاحتراث *

وتجمع التراث للوُرّاث * يُعجبك التكاثرُ بما لديك * ولا تذكرُ ما بين يديك * وتسعى
لأبد العاريك * ولا تبالي لكَ أم عليك * أتظنّ أن ستُترَكُ سُدًى * وأن لا تُحاسَبَ غدًا *
أم تحسبُ أنّ الموتَ يقبل الرّشا * أو يميّز بين الأسد والرّشا * كلّا واللهِ لن يدفعَ المنونَ * مالٌ ولا
بنون * ولا ينفعُ أهلَ القبور * سوى العملِ المبرور * فطوبى لمن سمعَ ووعى * وحقّق
ما ادّعى * ونهى النفسَ عن الهوى * وعلِمَ أنّ الفائزَ من ارعوى * وأن ليس للانسانِ
إلّا ما سعى * وأنّ سعيَه سوف يُرى * ثم انشدَ انشادَ وجِلٍ * بصوتٍ زجِلٍ *

نظم

لعمرُك ما تُغني المَغاني ولا الغِنى * اذا سكنَ المُثرى الثّرى وثوى به
فجِدّ في مَراضي اللهِ بالمالِ راضياً * بما تقتني من أجرِه وثوابِه
وبادِر به صَرفَ الزّمان فإنّهُ * بمِخلَبِه الأشقى يَغُول ونابِه
ولا تأمَنِ الدّهرَ الخؤونَ ومَكرَهُ * فكم حامِلٍ أخنى عليه ونابِه
وعاصِ هوى النفسِ الذي ما أطاعَهُ * أخو ضلّةٍ إلّا هوى من عُقابِه
وحافِظ على تقوى الإله وخوفِه * لتنجو ممّا يُتّقى من عِقابِه
ولا تلهُ عن تذكارِ ذنبِك وابكِه * بدمعٍ يُضاهي الوبلَ حالَ مَصابِه
ومثّل لعينيك الحِمامَ ووقعَهُ * ورَوعةَ ملقاهُ ومَطعَمَ صابِه
وأنّ قُصارى مَسكنِ الحيّ حفرةٌ * سينزِلُها مُستنزِلاً من قِبابِه
فواهًا لعبدٍ ساءَ سوءُ فعلِه * وأبدى التلافي قبلَ إغلاقِ بابِه

قال فظلّ القومُ بين عَبْرةٍ يُذرُونها * وتَوْبةٍ يُظهِرونها * حتّى كادتِ الشّمْسُ تَزُولُ *
والفريضةُ تَعُولُ * فلمّا خَشَعتِ الاَصْواتُ * والتَأَمَ الإنصاتُ * واستكَنّتِ العَبَراتُ *
والعِباراتُ * استصرخَ مُستصرِخٌ بالاميرالحاضِر * وجَعَل يَجأَرُ اليه من عامِلة الجائِر * والاميرُ
صاغٍ الى خَصْمِه * لاهٍ عن كَشْفِ ظُلْمِه * فلمّا اَيِسَ من رَوْحِه * استَنهَض الواعِظَ لنَصيحه *
فنَهَض نَهْضةَ الشِّمِّيرِ * وانشدَ مُعَرِّضًا بالامير *

نظم

عَجَبًا لراجٍ اَن يَنالَ وِلايةً * حتّى اذا ما نالَ بِغْيَتَه بَغَى
يُشْدِى ويُلْحِم فى المَظالِم والِغًا * فى وِرْدِها طَوْرًا وطورًا مُوْلِغا
ما ان يُبالِى حين يَتَّبِعُ الهَوى * فيها اَصَلَحَ دِيْنَه ام اَوْتَغا
يا وَيْحَه لو كان يوقِنُ اَنّه * ما حالَه اِلّا تَحُولُ لَمَا طَغا
اَولو تبيَّنَ ما نداميَةً مَنْ صَغا * سَمْعًا الى اِفكِ الوُشاةِ لَمَا صَغا
فانْقَدْ لمن اَضحى الزِّمامُ بكَفِّه * وتغاضَ اِنْ اَلْفَى الرِّعايةَ اولَغا
وارْعَ المَرارَ اذا دَعاكَ لرَعْيِه * وردِ الاُجاجَ اذا حَماكَ السَّيْفَا
واحْمِلْ اَذاهُ ولو اَمَضَّكَ مَسُّه * واَسالَ غَرْبَ الدَّمْعِ منك وأَفْرَغا
فَلَيُضْحِكَنَّكَ الدَّهْرُ منه اذا نَبا * عَنْه وشَبَّ لكَيْدِه نارَ الوَغى
ولَيُنْزِلَنَّ به الشَّماتَ اذا بَدا * مُتَخَلِّبًا من شُغْلِه مُتَفَرِّغا
ولَنا وَيَنَّ له اذا ما خَدَّه * اَضحى على تُرْبِ الهَوانِ مُمَرَّغا

هذا له ولسرفَ يُوقَفُ مَوْقِفًا * فيه يُرى رَبُّ الفَصاحةِ اَلْثَغا
ولَيُحْشَرَنَّ اَذَلَّ من فَقْعِ القَلا * ويُحاسَبَنَّ على النَّقِيصةِ والشَّغا
ويُؤاخَذَنَّ بما اجْتَنى وبما اجْتَبى * ويُطالَبَنَّ بما احتَسى وبما ارتَغى
ويُناقَشَنَّ على الدَّقائِقِ مثلَ ما * قد كانَ يَفْعَل بالوَرى بل اَبْلَغا
حتّى يَعَضَّ على الوِلايةِ كَفَّه * ويَوَدَّ لو لم يَبْغِ منها ما بَغى

ثم قال ايُّها المُتوشِّحُ بالوِلاية * المُترشِّحُ للرِّعاية * دَعِ الإدْلالَ بدَوْلَتِك * والاغترار بصَوْلَتِك * فان الدَّولةَ رِيحٌ قُلَّبٌ * والقُدرةَ بَرْقٌ خُلَّبٌ * وانّ اَسْعدَ الرُّعاةِ مَن سَعِدتْ به رَعِيَّتُه * واَشْقاهُمْ فى الدّارَين من ساءَتْ رِعايَتُه * فلا تُكَ ممّن يَذَرُ الآخِرةَ ويُلْغِيها * ويُحِبُّ العاجلةَ ويَبْتَغِيها * ويَظْلِمُ الرَّعِيَّةَ ويُوبِيها * واذا تَوَلّى سعى فى الارض ليُفْسِدَ فيها * فوالله ما يَغْفُلُ الدَّيّانُ * ولا تُهْمِلُ يا انسانُ * ولا يُلْغَى الإساءةُ والإحْسانُ * بل سيُوضَعُ لك الميزانُ * وكما تَدِينُ تُدانُ * قال فوَجَمَ الوالى لِلمَسمَع * وامتُقِعَ لونُه وانتُقِع * وجَعَل يَتأَنَّفُ من الأُمْرة * ويُرْدِفُ الزَّمْرةَ بالزَّفْرة * ثم عَمَدَ الى الشّاكى فاَشْكاه * والى المَشْكُوِّ فاَشْجاه * واَلْطَفَ الواعِظَ وحَباه * وعَزَم عليه اَنْ يَغْشاه * فانْقَلَب منه المظلومُ منصورًا * والظالمُ محصورًا * وبَرَزَ الواعِظُ يتهادى بين رُفَقائِه * ويَتباهى بفَوْزِ صَفْقَتِه * واَمْعَنَ فيه اَخْطُو مُتَقاصِرًا * واُرِيه لَحْظًا باصِرًا * فلمّا استَشَفَّ ما اُخْفِيه * وفَطِن لتَقَلُّبِ وَجْهِى فيه * قال خيرُ دَلِيلِك من اَرْشَدَ * ثم اقتربَ منّى واَنْشَدَ *

نظم

أَنا الَّذى تَعْرِفُهُ ياحارِثُ * حِدْثُ مُلوكٍ فَكُّهُ مُنافِثُ

أُطْرِبُ ما لا تُطْرِبُ المَثالِثُ * طورًا اَخوجِدٍوطَورًا عابِثُ

ما غَيَّرَتْنى بَعْدَكَ الحوادِثُ * ولا اَلْتَحى مُوْدِى خَطْبٌ كارِثُ

ولا تَرى نابِى حَدٌّ فارِثُ * بل مِخْلَبِى بكل صَيْدٍ ضابِثُ

وكُلُّ سَرْحٍ فيه نِيْبِى عائِثُ * حتى كانّى للانام وارِثُ

* سامُهم وحامُهم ويافِثُ *

قال الحارث بن همام * فقلتُ تاللهِ انّك لابوزيدٍ * ولقد قُمْتَ للهِ ولا عَمْرو بن عُبَيْدٍ *

فَتَهَلَّلَ تهلُّلَ الكريم اذا أُمَّ * وقال اسمَعْ يا ابْنَ أُمّ *

نظم

عليك بالصِّدْقِ ولوأنّه * اَحرقك الصدقُ بنار الوعيد

وابْغِ رِضا اللهِ فاَغْبَى الوَرى * مَن اَسْخط المولى وارْضَى العَبِيْد

ثُم انّهُ وَدَّعَ اَخْدانَه * وانْطَلَقَ يَسْحَبُ اَرْدانَه * فَطَلَبْناهُ مِن بَعْدُ بالرِّىّ * واستَبْشَرْنا

خَبَرهُ من مَدارِجِ الطَّىّ * فما نِمْنا من عَرَفَ قَرارَه * ولا دَرى اىَّ الجَرادِ مارَه *

المقامة الثانية والعشرون الفراتية

حكى الحارثُ بن همام قال اَوَيْتُ فى بَعْضِ الفَتَرات * الى سِقْىِ الفُرات * فلَقِيتُ بها

كُتّابًا اَبْرَع من بَنى الفُرات * واَعْذَبَ اَخْلاقًا من الماءِ الفُرات * فاَطَفْتُ بهم لِتَهذِّبِهم *

لا لِذَهْبِهم * وكاَثْرَتهم لاَدَبِهم * لا لمآدِبِهم * فجالَسْتُ منهم اَضْرابَ القَعْقاعِ بن شَوْر *

ووَصَلتُ بهم الى الكَوْر بعدَ الحَوْر * حتّى انّهم اَشْرَكُونى فى المَرْتَع والمَرْبَع * واَحَلُّونى مَحَلَّ

الآنُملة من الاِصْبَع * واتّخذونى ابنَ اُنْسِهم عَهْدَ الوِلاية والعَزْل * وخانَ سِرُّهم فى

الجِدّ والهَزْل * فاتّفَقَ اَن نُدِبُوا فى بَعْضِ الاَوْقات * لاِستِقراءِ مَزارِعِ الرُّزْدافات *

فاختارُوا من الجَوارِى المُنْشِيات * جارِيةً حالِكَةَ الشِّيات * تَحْسَبُها جامدةً وهى تَمُرُّ

مَرَّ السَّحاب * وتَنْسابُ فى الحَبابِ كالحُباب * ثم دَعَوْنى الى المُوافَقة * واستدعُوْنى

للمُرافَقة * فلمّا تورَّكْنا على المَطِيّة الدَّهْماء * وتَبَطَّنّا الوالِيَةَ الماشِيَةَ على الماء * اَلْفَيْنا بها شيخًا

عليه سَحْقُ سِرْبالٍ * وسِبُّ بالٍ * فعافَتِ الجَماعةُ مَحْضَرَه * وصَنَفَتْ من اَحْضَرَه *

وهَمَمْتُ بِاَبْرازِه من السَّفِينة * لولا ما ثابَ اليها من السَّكِينة * فلمّا لَمَحَ مِنّا استثقالَ ظِلِّه *

واستبرادَ طَلَّه * تَعَرَّضَ للمُنافَثةِ فصُمِّت * وحَمْدَلَ بعد اَن مَطَس فما شُمِّت * فاَخَذَ

يَنْظُرُ فيما آلَتْ حالُه اليه * ويَنتظِرُ نُصْرةَ المَبْغِىِّ عليه * وجُلْنا نحنُ فى شُجونٍ * من جِدٍّ

ومُجونٍ * الى اَن اعترَضَ ذِكْرُ الكِتابَتَيْن وفَضْلِهما * وتِبْيانِ اَفْضَلِهما * فقال قائلٌ اِنّ

كَتَبَةَ الاِنشاءِ اَنْبَلُ الكُتّاب * ومالَ مائِلٌ الى تفضيلِ الحُسّاب * واحتَدَّ الحِجاجُ *

واعتَدَّ اللَّجاجُ * واشتَدَّ الضِّجاجُ * حتّى اذا لم يَبْقَ للجِدال مَطْرَحٌ * ولا للمِراء مَسْرَحٌ *

قال الشيخُ لقد اَكْثَرتُم ياقَوْمِ اللَّغَطَ * واثرتُم الصَّوابَ والغَلَطَ * واِنّ جَلِيّةَ الحُكْمِ عندِى *

فارْتَضُوا بنَقْدِى * ولا تَسْتَفْتُوا اَحَدًا بَعْدِى * اِعْلَموا اَنّ صناعةَ الانشاءِ اَرْفَع * وصِناعةَ

الحِساب اَنْفَع * وقَلَمُ المُكاتبة خاطِبٌ * وقَلَمُ المحاسبة حاطِبٌ * واَساطِيرُ البَلاغاتِ تُنْسَخُ

لتُدْرَس * ودَساتيرُ الحُسْبانات تُنْسَخ وتُدْرَس * والمُنْشِي عُجْهَيْنَةُ الاَخبار * وحَقِيبَةُ الاَسرار * ونَجِيّ العُظَماء * وكبيرُ النُدَماء * وقَلَمُه لِسانُ الدَّوْلة * وفارِسُ الجَوْلة * ولُقْمانُ الحِكْمة * وترجُمانُ الهِمَّة * وهو البشيرُ والنذيرُ * والشفيعُ والسفيرُ * به تُسْتَخلَص الصَّياصِي * وتَمْلَك النَّواصِي * ويُقْتادُ العاصِي * ويُستدنَى القاصِي * صاحبُه بريءٌ من التَّبِعات * آمِنٌ كَيْدَ السُّعاة * مُقَرَّظٌ بين الجَماعات * غيرُ مُعَرَّضٍ لنظم الجُماعات * فلمّا انتهى في الفَضْل * الى هٰذا الفَصْل * لَحَظ من لَمَحاتِ القوم انه ازدَرَع حُبًّا وبُغْضًا * وارضى بَعْضًا واَحْفَظ بَعْضًا * فعَقَّب كلامَه بأن قال اِلّا اَنَّ صِناعةَ الحِساب موضوعةٌ على التَّحقيق * وصِناعةَ الانشاء مَبْنِيَّةٌ على التَّلفيق * وقَلَمُ الحاسِبِ ضابِطٌ * وقَلَمُ المُنْشِيءِ خابِطٌ * وبين اِتاوَة توظيفِ المُعامَلات * وتِلاوَةِ طوامير السِّجِلّات * بُونٌ لا يُدْرِكه قياسٌ * ولا يعتورُه التباسٌ * اذا الاِتاوةُ تَملأُ الاَكْياسَ * والتِلاوةُ تُفَرِّغُ الرَّاسَ * وخَراجُ الاَوارِجِ يُعْنِي الناظِرَ * واستخراجُ المَدارِجِ يُعْنِي الناظِرَ * ثم اِنْ الحَسَبَةَ حَفَظَةُ الاَمْوال * وحَمَلَةُ الاَثْقال * والنَّقَلَةُ الاَثْباتُ * والسَّفَرَةُ الثِّقاتُ * واَعْلامُ الاِنْصاف والانتصاف * والشُّهودُ المَقانِعُ في الاَخْلاف * عند اشتجارِ الرِّجال * واشتغارِ الجِدال * ومنهم المُستوفي الذي هو يَدُ السُّلطان * وقُطْبُ الدِّيوان * وقُسْطاسُ الاَعمال * والمُهَيْمِنُ على العُمّال * واليه المآبُ في السِلْم والهَرْج * وعليه المَدارُ في الدَّخْل والخَرْج * وبه مناطُ الضَرِّ والنَّفْع * وفي يَده رِباطُ الاِعْطاءِ والمَنْع * ولولا قَلَمُ الحِسابِ * لَاَوْدَتْ ثَمَرةُ الاكتساب * ولَا تَصلَ النَّعابُن

الى يومِ الحِساب * ولكانَ نِظامُ المُعامَلات محلولًا * وجُرْحُ الظُّلاماتِ مطلولًا * وجِيدُ التَناصُفِ مغلولًا * وسَيْفُ النظالُمِ مسلولًا * على اَنَّ يَراعَ الاِنْشاءِ مُتَقَوِّلٌ * ويَراعَ الحِساب مُتاوِّل * والمُحاسِبُ مُناقِش * والمُنْشِئُ ابو بَراقِش * ولكليهما حَمَةٌ حين يَرْقى * الى اَنْ يُلْقى ويُرْقى * واِمعاتٌ فيما يُنْشِي * حتى يُغْشِي ويُرْشِي * الّا الَّذين آمنوا وعَمِلُوا الصالِحاتِ وقليلٌ ماهم * قال الحارثُ بن هَمّام فلمّا اَمْنَع الاَسْماعَ * بما راقَ ويَراعَ * استَنْسَبْناه فاستَرابَ * وأَبَى الانتسابَ * ولو وَجَدَ مُنْسابًا لانْسابَ * فحَصَلْتُ من لَبْسِه على غُمَّة * حتى اَدْكَرْتُ بعد اُمَّة * فقلتُ والَّذي سَخَّر الفَلَكَ الدَوّارَ * والفُلْكَ السَّيّارَ * اِنّي لَاَجِدُ رِيحَ ابي زيدٍ * وان كنتُ اَعْهَدُه ذا رُواءٍ وأَيْدٍ * فتَبَسَّم ضاحِكًا من قَوْلي * وقال اَنا هو على استحالةِ حالي وحَوْلي * فقلتُ لاَصْحابي هٰذا الذي لا يُفْرى فَرِيَّه * ولا يُبارَى عَبْقَرِيَّه * فخَطَبوا منه الوُدَّ * وبَذَلوا له الوُجْدَ * فرَضِبَ من الاُلْفة * ولم يَرْغَبْ في التُّحفة * وقال اَمّا بعدَ اَنْ سَحَقْتم حَقّي * لاَجْلِ سَحْقي * وكَسَفْتُم بالي * لاِخْلاقِ سِرْبالي * فما اَراكم الّا بالعَيْنِ السَّخِينة * ولا لَكُم مِنّي الّا صُحْبةُ السَّفِينة * ثم اَنْشَدَ *

نظم

اِسْمَعْ اُخَيَّ وصِيَّةً من ناصِحٍ * ما شابَ مَحْضَ النُّصْحِ منه بِغِشِّهِ
لا تَعْجَلَنْ بقَضِيَّةٍ مبتوتةٍ * في مَدْحِ من لم تَبْلُه او خَدْشِهِ
وقِفِ القَضِيَّةَ فيه حتى تَجْتَلي * وَضَفِيه في حالَيْ رِضاهُ وبَطْشِهِ

وعُورًا لم تُدمِنها الخُطا * ولا اهتدتْ اليه القَطا * حتّى وَرَدتْ حِمَى الخِلافة * والحَرَمَ العاصِمَ من المَخافة * فسَرَوْتُ إيجاسَ الرَّوع واستشعارَه * وتسربلْتُ لِباسَ الأمنِ وشِعارَه * وقصرتُ هَمّي على لَذّة آجْتِنائها * ومُلْحة آجْتِلائها * فبرزتُ يومًا الى الحريم * لأروضَ طِرْفي * وأجيلَ في طُرَفه طَرْفي * فاذا فُرسانٌ مُتقالُون * ورِجالٌ مُنْثالُون * وشيخٌ طويلُ اللِّسان * قصيرُ الطَّيْلَسان * قد لَبَّبَ فَتًى جديدَ الشَّباب * خَلَقَ الجِلْباب * فرَكَضْتُ إليهم النَّظارة * حتّى وافَيْنا بابَ الإمارة * وهُناك صاحِبُ المَعُونة مُتربِّعًا في دَسْته * ومُروِّعًا بسَمْته * فقال له الشيخ أعزَّ اللهُ الوالي * وجعَلَ كَعْبَه العالي * إنّي كَفَلْتُ هذا الغُلامَ فطيمًا * ورَبَّيْتُه يتيمًا * ثُمّ لَمّا آلَه تعليمًا * فلمّا مَهَرَ وبَهَرَ * جَرَّدَ سَيْفَ العُدْوان وشَهَرَ * ولم أخَلْه يلْتوي عليّ ويَنْفَح * حين يَرْتوي مِنّي ويَلْتقِح * فقال له الغلام ملامَ عَمَرْتَ منّي * حتّى تَنْشُرَ هذا الخِزْيَ عَنّي * فوالله ما سَتَرْتَ وَجْهَ بِرِّك * ولا هَتَكْتَ حِجابَ سِرِّك * ولا شَقَقْتَ عَصا أمْرِك * ولا ألْغيتَ تِلاوةَ شُكْرِك * فقال له الشيخ وَيْلَك * وأيّ رَيْبٍ أخْزى من رَيْبِك * وهل عَيْبٌ أفْحشُ من عَيْبِك * وقد دَمَّيْتَ سِحْرِي واستَلْحَقْتَه * وانتحلتَ شِعْري واسترَقْتَه * واسترَقْتَ الشِّعْرَ عندَ الشُّعَراء * أفْظَعُ من سَرِقَة البَيْضاء والصَّفْراء * وغَيْرتُهم على بَناتِ الأفكار * كغَيْرتِهم على البَنات الأبْكار * فقال الوالي للشيخ وهل حِينَ سَرَقَ سَلَخ * أم مَسَخ أم نَسَخ * فقال والّذي جعَلَ الشِّعْرَ دِيوانَ العَرَب * وتَرْجمانَ الأدَب * ما أحْدثَ سِوى أن بَتَرَ شَمْلَ شَرْحِه * وأغارَ على نُلْتَى

ويَبْيَنَ حُلَّبُ بَرْقِه من صِدْقِه * للشّائِمِين وبَلْهُ من طَشِمِه
فهُناك إنْ تَرَ ما يَشِينُ فوارِهٍ * كَرَمًا وإنْ تَرَما يَزِينُ فَاشِمِه
ومن استَحقّ الارتقاءَ فَرَقِّه * ومن استَحَطَّ فحُطَّه في حَشِمِه
واعلَمْ بأنّ التِّبْرَ في عِرْقِ الثَّرى * خافٍ الى أن يُستثارَ بنَبْشِمِه
وفضيلةُ الدِّينا رَيَظْهَرِ سِرُّها * من حُكْمِه لا من مَلاحةِ نَقْشِمِه
ومِنَ الغباوةِ أن تُعظِّمَ جاهِلًا * لصِقالِ مَلْبَسِه ورَوْنَقِ رَقْشِمِه
أو أن تُهِينَ مُهذَّبًا في نَفْسِه * لدُروسِ يِزَّتِه ورَثّةِ فَرْشِمِه
ولكُمْ أخي طِمْرَيْنِ هِبْتَ لِفَضْلِه * ومُفَوَّفِ البُرْدَيْنِ عِبْتَ لِفُحْشِمِه
وإذا الفتى لم يَغْشَ عارًا لم تَكُنْ * أسماؤُه الأمَراقِيَ مَرْشِمِه
ما إنْ يَضُرُّ العَضْبَ كونُ قِرابِه * خَلَقًا ولا البازِيَ حَفارةُ عُشِّمِه
ثم ما عَتَمَ أن استوقَفَ المَلّاحَ * وصَعِدَ من السَّفِينةِ وساحَ * فندِمَ كُلٌّ منّا على ما فَرَّطَ في ذاتِه * وأغضى جَفْنَه على قَذاتِه * وتعاهَدْنا على أن لا نَحْتَقِرَ شَخْصًا لِرَثاثةِ بُرْدِه * وأن لا نَزْدَرِيَ سَيْفًا مَحْبُوًّا في غِمْدِه *

المقامة الثالثة والعشرون البغدادية بالشِّعريه

حكى الحارثُ بن هَمّام قالَ نَبابِي مَألَفُ الوَطَن * في شَرْخِ الزَّمَن * لخَطْبٍ خُشِيَ * وخَوْفٍ فَشِيَ * فارَقْتُ كاسَ الكَرى * ونَصَصْتُ رِكابَ السُّرى * وجُبْتُ في سَرْيِ

شرحه * فقال انشدْ ابياتك برمتها * ليضح ما اختاره من جملتها * فانشد * نظم

يا خاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار

دار متى ما اضحكت في يومها * ابكت غدا بعدا لها من دار

واذا اظل سحابها لم ينتفع * منه صدا الجهامه الغرار

غاراتها ما تنقضي واميرها * لا يفتدى بجلائل الاخطار

كم مزدهى بغرورها حتى بدا * منمردا متجاوزا المقدار

قلبت له ظهر المجن واولغت * فيه المدى ونزت لاخذ الثار

فارب بالعمرك ان يمر مضيعا * فيها سدى من فيرما استظهار

وافطع علائق حبها وطلابها * تلق الهدى ورفاهة الاسرار

وارقب اذا ما سالمت من كيدها * حرب العدى وتوثب الغدار

واعلم بان خطوبها تفجأ ولو * طال المدى وونت مرى الاقدار

فقال له الوالى ثم ماذا * صنع هذا * قال اقدم للؤمه فى الجزاء * على ابياتى الصدامية الاجزاء * فحذف منها جزئين * ونقص من اوزانها وزنين * حتى صار الرزء فيها رزئين * فقال بين ما اخذ * ومن اين فلذ * فقال ارضنى سمعك * واخل للتفهم عنى ذرعك * حتى تتبين كيف اصلت على * وتقدر قدر اجترامه الى * ثم انشد * وانفاسه تتصعد *

نظم

يا خاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردا

دار متى ما اضحكت * في يومها ابكت غدا

واذا اظل سحابها * لم ينتفع منه صدا

غاراتها ما تنقضي * واميرها لا يفتدى

كم مزدهى بغروره * حتى بدا متمردا

قلبت له ظهر المجن * واولغت فيه المدى

فارب بالعمر ان يمر * مضيعا فيها سدا

وافطع علائق حبها * وطلابها تلق الهدى

وارقب اذا ما سالمت * من كيدها حرب العدا

واعلم بان خطوبها * تفجأ ولو طال المدا

فالتفت الوالى الى الغلام * وقال تبا لك من خريج مارق * وتلميذ سارق * فقال الفتى برئت من الادب وبنيه * ولحقت بمن يناويه * ويقوض مبانيه * ان كانت ابياتى نمت الى علمى * قبل ان الفت نظمى * وانما اتفق توارد الخواطر * كما قد يقع الحافر على الحافر * قال فكان الوالى جوز صدق زعمه * فندم على بادرة ذمه * وظل يفكر فيما يكشف له من الحقائق * ويميز به الفائق من المائق * فلم ير الا اخذهما بالمناضلة * ولزهما في قرن المساجلة * فقال لهما ان اردتما افتضاح العاطل * واتضاح الحق من الباطل *

فتراسلا فى النظم وتباريا * وتجاولا فى حلبة الاجازة وتجاريا * ليهلك من هلك من بينة *
ويحيى من حى من بينة * فقال له بلسان واحد * وجواب متوارد * قد رضينا بسبرك *
فمرنا بامرك * فقال انى مولع من انواع البلاغة بالتجنيس * واراه لها كالرئيس *
فانظما الآن عشرة ابيات تلحمانها بوشيه * وترصعانها بحليه * وضمنا ها شرح حالى * مع
الفى لى بديع الصفة * المى الشفة * مليح التثنى * كثير التيه والتجنى * مغرى بتناسى
العهد * واطالة الصد * واخلاف الوعد * وانا له كالعبد * قال فبرز الشيخ مجليا * وتلاه
الفتى مصليا * ونجاريا بيتا فبيتا على هذا النسق * الى ان كمل نظم الابيات وانسق * وهى *

نظم

واخوى حوى رقى برقة لفظه * وفاد رنى الف السهاد بغدره
تصدى لقتلى بالصدود وانثنى * لفى اسره مذ حاز قلبى باسره
اصدق منه الزور خوف ازوراره * وارضى استماع الهجر خشية هجره
واستعذب التعذيب منه وكلما * اجد مذابى جد بى حب بره
تناسى ذمامى والتناسى مذمة * واحفظ قلبى وهو حافظ سره
واعجب ما فيه التباهى بعجبه * واكبره عن ان افوه بكبره
له منى المدح الذى طاب نشره * ولى منه طى الود من بعد نشره
ولو كان عدلا ما تجنى وندجنى * على وغيرى يجتنى رشف ثغره

ولولا تمليه ثنيت اعنتى * بدارا الى من اجتلى نور بدره
وانى على تصريف امرى وامره * ارى المرحلوا فى انقيادى لامره

فلما انشدها الوالى مترا سلين * بهت لذكائهما المتعادلين * وقال اشهد بالله انكما فرقد
اسماء * وكزندين فى وعاء * وان هذا الحدث لينفق مما آتاه الله * ويستغنى بوجده
عمن سواه * فتب ايها الشيخ من اتهامه * وتب الى اكرامه * فقال الشيخ هيهات
ان تراجعه مقتى * اوتعلق به ثقتى * وقد بلوت كفرانه للصنيع * ومنيت منه بالعقوق
الشنيع * فاعترضه الفتى وقال يا هذا ان اللجاج شؤم * والحنق لؤم * وتحقيق الظنة اثم *
واعنات البرىء ظلم * وهبنى اقترفت جريرة * اواجترحت كبيرة * اما تذكر اذ
انشدتنى لنفسك * فى ابان انسك *

نظم

سامح اخاك اذا خلط * منه الاصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه * ان زاغ يوما او قسط
واحفظ صنيعك عنده * شكر الصنيعة ام غمط
واطعه ان عاصى وهن * ان عز وادن اذا شحط
واقن الوفاء ولو اخل * بما اشترطت وما اشترط
واعلم بانك ان طلبت * مهذبا رمت الشطط
من ذا الذى ما ساء قط * ومن له الحسنى فقط

اَوَما تَرى المحبوبَ والمكروهَ لُزّا في نَمَطْ
كالشوكِ يَبْدو في الغُصونِ مع الجَنِيِّ المُلْتَقَطْ
ولَذاذةُ العُمرِ الطويلِ يشوبُها نَغَصُ الشَمَطْ
ولَوِ انتقدتَ بَنِي الزَمانِ وَجَدتَ اَكثَرَهم سَقَطْ

قال فجعَلَ الشيخُ يَنْضَنِضُ نَضْنَضةَ الصِلّ * ويُحامِلُ حَمْلَقةَ البازي المُطِلّ * ثم قال والذي زَيَّنَ السماءَ بالشُهُبِ * وأنزلَ الماءَ من السُحُبِ * ما رَوِضَ من الاصطلاحِ * الا لِتوفّي الافتضاحِ * فانَّ هذا الفتى اعتادَ اَن اَموتَه * واراعيَ شُؤونَه * وقد كانَ الدَهْرُ يُسمِّحُ فلم اكُنْ اَشِحُّ * فاَمّا الآنَ فالوقتُ عَبوسٌ * وحَشْوُ العَيشِ بُؤسٌ * حتّى اَنَّ بِزَّتي هذه مارَةٌ * وبَيْنِي لا تَطُوريه فارَةٌ * قال فَرِقَّ لِقائِهما قَلْبُ الوالي * وأوى لهما من غِيرِ اللَيالي * وصَبا الى اختصاصِهما بالاِسعافِ * وأمَرَ النُظّارةَ بالانصرافِ * قال الرّاوي وكنتُ مُنشوفًا الى مَرْأى الشيخِ لعَلّي اَعْلَمُ عِلْمَه * اذا عاينتُ وَسْمَه * ولم يكُنِ الزِحامُ يَسْفِرُ عنه * ولا يَفْرُجُ لي فاَدْنو منه * فلما تَقوّضتِ الصُفوفُ * واَجْفَلَ الوُقوفُ * توسَّمْتُه * فاذا هو ابو زيد والفتى فَتاه * فعَرَفْتُ حينئذٍ مَغْزاه فيما اَتاه * وكِدتُ اَنْقَضُّ عليه * لاَسْتعرِفَ اليه * فزَجَرَني بإيماضِ طَرْفِه * واستوقَفَني بإيماءِ كَفِّه * فلَزِمْتُ مَوْقِفي * واَخَرْتُ مُنْصَرَفي * فقال الوالي ما مَرامُك * ولاَيِّما سَبَبٍ مُقامُك * فابْتَدَرَه الشيخُ وقال انّه اَنيسي * وصاحِبُ ملبوسي * فتَسَمَّحَ عند هذا القولِ بتانيسي *

ورَخَّصَ في جُلوسي * ثم اَفاضَ عليهما خِلْعَتَيْن * ووَصَلَهما بنِصابٍ من العَيْن * واستَعْهَدَهما ان يَتعاشَرا بالمعروف * الى اِظْلالِ اليَوْمِ المَخُوف * فنَهَضا من نادِيه * مُشيدَيْن بشُكْرِ اَياديه * وتَبِعْتُهما لاَعْرِفَ مَثْواهُما * واَتزوَّدَ من نَجْواهُما * فلمّا اَجَزْنا حِمَى الوالي * واَفْضَينا الى الفَضاءِ الخالي * اَدْرَكَني اَحَدُ جَلاوِزَتِه * مُهِيبًا الى حَوْزَتِه * فقلتُ لابي زيدٍ ما اَظُنُّه استَحْضَرَني * الاّ ليَسْتَخْبِرَني * فماذا اَقول * وفي اَيِّ وادٍ معه اَجول * فقال بَيِّنْ له فَباوةَ قَلْبِه * وتَلَعابي بلُبِّه * ليَعْلَمَ اَنَّ رِبْحَه لاَتَمُّ اِمْصارًا * وجَدْوَلَه صادِقُ تَيّارًا * فقلتُ اَخافُ ان يَتَقَدَ غَضَبُه * فيَلْفَحَكَ لَهَبُه * اويَشْتَرِيَ طَيْشُه * فيَسْرِيَ اليكَ بَطْشُه * فقال انّي اَرْحَلُ الآنَ الى الرُها * واَنّى يَلْتَقي سُهَيْلٌ والسُها * فلمّا حَضَرْتُ الوالي وقد خَلا مَجْلِسُه * وانجلى تَعَبُّسُه * اَخَذْتُ في صِفَةِ ابي زيدٍ وفَضْلِه * ويَذُمُّ الدَهْرَ له * ثم قال نَشَدتُكَ اللهَ اَلَسْتَ الذي اَعارَه الدَسْتَ * فقلتُ لا والذي اَجْلَسَكَ في هذا الدَسْتِ * ما اَنا بصاحِبِ ذلك الدَسْتِ * بل اَنتَ الذي تَمَّ عليه الدَسْتُ * فازوَرَّتْ مُقْلَتاه * واحمَرَّتْ وَجْنَتاه * وقال واللهِ ما اَعْزَني قَطُّ فَضْحُ مُرِيبٍ * ولا تكشيفُ مَعيبٍ * ولكنْ ما سَمِعتُ بانَّ شَخْصًا دَلَّسَ * بعدَ ما تَطَلَّسَ * فبهذا تَمَّ له ان لَبَّسَ * فما كُنيةُ ذلك القُرَيْدِ * فقلتُ ابو زيد * فقال انه بابي كَيْدٍ * اَلْيَقُ منه بابي زيد * اَفَتَدْري اَيْنَ سَكَعَ * ذلك اللُكَعُ * قلتُ اَشْفَقَ منك لنعدّي طَوْرِه * فظَعَنَ من بغدادَ من فَوْرِه * فقال لا قَرَّبَ اللهُ له نَوى * ولا كَلاَ اَيْنَ ثَوى * فما زالَتْ اَشَدَّ من نُكْرِه * ولا ذُقتُ اَمَرَّ من مَكْرِه * ولولا حُرْمَةُ اَدَبِه * لاَوْغَلْتُ في طَلَبِه * الى

أن يقع فاوقع به * وانى لاكره ان تشيع فعلته * بمدينة السلام * فاتضح بين الانام * وتحط مكانتى عند الامام * واصير ضحكة الخاص والعام * فعاهدنى على ان لا اتفوه بما اعتمد * ما دمت حلا بهذا البلد * قال الحارث بن همام فعاهدته معاهدة من لا يتأول * ووفيت له كما وفى السموأل *

المقامة الرابعة والعشرون القطيعية

حكى الحارث بن همام قال عاشرت بقطيعة الربيع * في ابان الزبيع * فتية وجوههم ابلج من انواره * واخلاقهم ابهج من ازهاره * والفاظهم ارق من نسيم اسحاره * فاجتليت منهم ما يزرى على الربيع الزاهر * ويغنى عن رنات المزاهر * وكنا تقاسمنا على حفظ الوداد * وحظر الاستبداد * وان لا ينفرد احدنا بالتذاذ * ولا يستأثر ولو بمراد * فاجمعنا في يوم سماد جنه * ونماحسنه * وحكم بالاصطباح مؤذنه * على ان نلتهى بالخروج * الى بعض المروج * لنسرح النواظر * في الرياض النواضر * ونصقل الخواطر * بنسيم المواطر * فبرزنا ونحن كالشهور عدة * وكتدماني جذيمة مودة * الى حديقة اخذت زخرفها وازينت * وتنوعت ازاهيرها وتلونت * ومعنا الكميت السموس * والسقاة الشموس * والشادي الذي يطرب السامع ويلهيه * ويقرى كل سمع ما يشتهيه * فلما اطمأن بنا الجلوس * ودارت علينا الكؤس * وغل علينا ذمر * عليه طمر * فتجهمناه تجهم الغيد الشيب * ووجدنا صفو يومنا قد شيب * الا انه سلم تسليم

اولى الفهم * وجلس يفض لطائم النثر والنظم * ونحن نتنزوى من انبساطه * وتنبرى لطى بساطه * الى ان غنى شادينا المغرب * ومغردنا المطرب *

نظم

الا يا سعاد لا تصلين حبلى * ولا تاوين لى مما الاقى
صبرت عليك حتى عيل صبرى * وكادت تبلغ الروح التراقى
وها انا قد مزمت على انتصاف * اساقى فيه خلى ما يساقى
فان وصلا الذ به فوصل * وان صرما فصرم كالطلاق

قال فاستفهمنا العابث بالمثانى * لم نصب الوصل الاول ورفع الثانى * فاقسم بتربة ابويه * لقد نطق بما اختارة سيبويه * فتشعبت حينئذ آراء الجمع * في تجويز النصب والرفع * فقالت فرقة رفعهما هو الصواب * وقالت طائفة لا يجوز فيهما الا الانتصاب * واستبهم على آخرين الجواب * واستعر بينهم الاصطحاب * وذلك الواغل يبدى ابتسام ذى معرفة * وان لم يفه ببنت شفة * حتى اذا سكنت الزماجر * وصمت المزجور والزاجر * قال يا قوم انا انبئكم بتاويله * وامير صحيح القول من عليله * انه يجوز رفع الوصلين ونصبهما * والمغايرة في الاعراب بينهما * وذلكم بحسب اختلاف الاضمار * والتقدير المحذوف في هذا المضمار * قال فقرط من الجماعة افراط في مماراته * وانخراط الى مباراته * فقال اما اذا دعوتم نزال * وتلببتم للنضال * فما كلمة هي ان شئتم حرف محبوب * او اسم لما فيه حرف حلوب * واى اسم يتردد بين فرد حازم * وجمع ملازم * وايه ماء اذا

التحقت اماطت الثقل * واطلقت المعتقل * واين تدخل السين تعزل العامل * من
غير ان تجامل * وما منصوب ابدا على الظرف * لا يخفضه سوى حرف * واى مضاف
اخل من عرى الاضافة بعروة * واختلف حكمه بين مساء وغدوة * وما العامل الذى
يتصل آخره باوله * ويعمل معكوسه مثل عمله * واى عامل نائبه ارحب منه وكرا *
واعظم مكرا * واكثر لله تعالى ذكرا * وفي اى موطن يلبس الذكران * برافع النسوان *
وتبرز ربات الحجال * بعمائم الرجال * واين يجب حفظ المراتب * على المضروب
والضارب * واما اسم لا يفهم الا باستضافة كلمتين * او الاقتصار منه على حرفين * وفي
وضعه الاول التزام * وفي الثاني الزام * وما وصف اذا أردف بالنون * نقص صاحبه
في العيون * وقوم بالدون * وخرج من الزبون * وتعرض للهون * فهذه ثمانيا عشرة مسئلة
ونيق عددكم * وزنة لددكم * ولو زدتم زدنا * وان مددتم مددنا * قال المخبر بهذه الحكاية
فورد علينا من احاجيه اللاتى هالت لما انهالت * ما حارت له الانكار وحالت * فلما
اعجزنا القوم في بحره * واستسلمت تمائمنا لسحره * عدلنا من استنزال الرؤية له الى
استنزال الرواية عنه * ومن بغي التبرم به الى ابتغاء التعلم منه * فقال والذى نزل
النحو في الكلام * منزلة الملح في الطعام * وحجب مطالعه من بصائر الطعام * لا انلتكم
مراما * ولا شفيت لكم غراما * او تخولنى كل يد * ويختصنى كل منكم بيد * فلم يبق
في الجماعة الا من ان من لحكمه * ونبذ اليه خبأ ذكمه * فلما حصله تحت وكائه * اضرم

شعلة ذكائه * فكشف حينئذ من اسرار الغازه * وبدائع اعجازه * ما جلا به صدأ الاذهان *
وجلى مطلعه بنور البرهان * قال الراوى فهمنا * حين فهمنا * وعجبنا * اذ اجبنا *
ونذمنا * على ما ندمنا * واخذنا نعتذر اليه اعتذار الاكياس * ونعرض عليه ارتضاع
الكأس * فقال ما رب لا حفاوة * ومشرب لم يبق له عندى حلاوة * ثم شمخ بانفه
صلفا * ونأى بجانبه انفا * وانشد *

نظم

نهانى الشيب مما فيه افراحى * فكيف اجمع بين الراح والراح
وهل يجوز اصطباحى من معتقة * وقد انا رمشيب الراس اصباحى
ابيت لا خامرتنى الخمر ما ملقت * روحي بجسمي والفاظي بافصاحى
ولا اكتست لى بكالسات السلاف يد * ولا اجلت قداحي بين اقداح
ولا صرفت الى صرف مشعشعة * همي ولا رحت مرتاحا الى راح
ولا نظمت على مشمولة ابدا * شملى ولا اخترت ندمانا سوى الصاح
ما المشيب مراحى حين حط على * راسى فابغض به من كاتب ماح
ولا يلحى على جرى العنان الى * ملهى فسحقا له من لائح لاح
ولو لهوت وقودى شائب لعبا * بين المصابيح من غسان مصباحى
قوم سجا يا هم توقير ضيفهم * والشيب ضيف له التوقير ياصاح

ثم انه انساب انسياب الاديم * واجتلى اجفال الغيم * فعلمت انه سراج سروج * وبدر

الأدب الذى يجتنب البروج * وكان قصارا نا التحرق لبعده * والتفرق من بعده *

تفسير ما أودع هذه المقامة من النكت العربية والاحاجي النحوية

اما صدر البيت الاخير من الأغنية الذى هو ان وصلا الذبه فوصل فانه نظير قولهم المرء مجزى بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر * وهذه المسئلة اودعها سيبويه كتابه وجوز في اعرابها اربعة اوجه * احدها وهو اجودها ان تنصب خبر ان الاول وترفع الثانى * وتنصب شر ان الاول وترفع الثانى * ويكون تقديره ان كان عمله خيرا فجزاءه خير * وان كان عمله شرا فجزاءه شر * فينتصب الاول على انه خبر كان ويرتفع الثانى على انه خبر مبتدأ محذوف وقد حذفت في هذا الوجه كان واسمها لدلالة حرف الشرط الذى هو ان على تقديرهما وحذفت ايضا المبتدأ لدلالة الفاء التى هى جواب الشرط عليه لانه كثيرا ما يقع بعدها * والوجه الثانى ان تنصبهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان عمله خيرا فهو يجزى خيرا وان كان عمله شرا فهو يجزى شرا فينتصب الاول على انه خبر كان وينتصب الثانى انتصاب المفعول به * والوجه الثالث ان ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان في عمله خير فجزاءه خير فيرتفع خبر ان الاول على انه اسم كان ويرتفع خبر ان الثانى لانه خبر مبتدأ محذوف على ما بين في شرح الوجه الاول وقد يجوز ان يرتفع خبر الاول على انه فاعل كان وتجعل كان المقدرة هنا هى التامة التى تأتى بمعنى حدث ووقع فلا تحتاج الى خبر كقوله تعالى وان كان ذو عسرة *

ويكون التقدير في المسئلة ان كان خير فجزاءه خير * اى ان حدث خير فجزاءه خير * والوجه الرابع وهو اضعفها ان ترفع الاول على ما تقدم شرحه في الوجه الثالث وتنصب الثانى على ما بين ذكره في الوجه الثاني ويكون التقدير ان كان في عمله خير فهو يجزى خيرا وعلى حسب هذا التفسير والمقدرات المحذوفات فيه يجرى اعراب البيت الذى غنى به ومما ينتظم في هذا السلك قولهم المرء مقتول بما قتل به ان سيفا فسيف وان خنجرا فخنجر * واما الكلمة التى هى حرف محبوب * واسم لما فيه حرف حلوب * فهى نعم ان اردت بها تصديق الاخبار او العدة عند السؤال فهى حرف * وان عنيت بها الابل فهى اسم * والنعم تذكر وتؤنث وتنطلق على الابل وعلى كل ماشية فيها ابل * وفى الابل الحرف وهى الناقة الصامرة * سميت حرفا تشبيها لها بحرف السيف * وقيل انها الضخمة تشبيها لها بحرف الجبل * واما الاسم المتردد بين فرد حازم وجمع ملازم فهو سراويل * قال بعضهم هو واحد جمعه سراويلات فعلى هذا القول هو فرد وكنى من ضمه الحصر بانه حازم * وقال آخرون بل هو جمع وواحده سروال مثل شملال وشمليل فهو على هذا القول جمع ومعنى قوله ملازم اى لا ينصرف وانما لم ينصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثه الف بعدها حرف مشدد او حرفان او ثلثة اوسطها ساكن لثقله وتفرده دون غيره من الجموع بان لا نظير له في الاسماء الآحاد * وقد كنى في هذه الاحجية

عمّا لا ينصرفُ بالمُلازِم * واما الهاءُ التى اذا التحقتْ اماطتِ الثِّقل واطلفتِ المُعتقل فهى الهاءُ اللاحقةُ بالجمع المُقدَّم ذِكرُه مثل صَيارِفةٍ وصَيارِقلةٍ فينصرفُ هذا الجمعُ عند التحاق الهاءِ به لانّها فداصارَته الى مِثالِ الآحاد نحو رَاهِبَةٍ وكراهِيةٍ فخفّ بهذا السَّبب وصُرِفَ لهذهِ العلّة * وقد كنّى فى هذهِ الأُخيّة عما لا ينصرف بالمُعتقل كما كنّى فى التى قبلها عمّا لا ينصرف بالمُلازِم * واما السينُ التى تَعزِلُ العامِلَ من غير ان تُجامِلَ * فهى التّى اذا دخلَتْ على الفعل المستقبل وفصلَتْ بينه وبين انِ التى كانت قبل دخولِها من اَدواتِ النَّصب فيرتفعُ حِينئذٍ الفعلُ ويَنتقلُ اَن من كونها النلصبةَ للفعل الى اَن تَصيرَ المُخفَّفةَ من الثقيلة * وذلك كقوله سبحانه * عَلِمَ اَن سيَكونَ مِنكم مَرضى وتقديرُه عَلِمَ اَنّه سَيكونُ * واما المنصوبُ على الظَّرف الّذى لا يَنخفِضُه سوى حرف فهو عند اذ لا يَجُرُّه غيرُ مِن خاصّة * وقولُ العامّةِ ذَهبتُ الى عِندِه لحنٌ * واما المضاف الذى اَخَلَّ من عُرى الاضافة بعُروةٍ * واختلَفَ حكمُه بين مَساءٍ وغُدوةٍ * فهو لَدُن * ولَدُن من الاسماءِ المُلازمةِ للاضافة وكل ما ياتى بعدَها فمجرورٌ بها الأُغدوةً فان العربَ تَصبِتُها بلَدُن لكَثْرةِ استعمالهم اِيّاها فى الكلام ثم نَوَّنتها ايضًا لِتُبيِّن بذلك اَنّها منصوبة لا اَنّها من نوع المجرورات التى لا تنصرِفُ * وعند بعض النحويين اَنَّ لَدُن بمعنى عِند والصّحيحُ انّ بينهما فرقًا لطيفًا وهو اَنّ عندَ يَشتَمِلُ معناها على ما هو فى مُلكِك ومُكنَتِك مما دنا منك وبَعُدَ عنك ولَدُن يَختصُّ معناها بما حَضَرك وقَرُبَ منك * واما

العامل الذى يتصل آخِرُه باوله ويعمَلُ معكوسُه مثل صِلِه فهو يا ومعكوسُها اَى وِلْنا هُما من حُروفِ النِّداء ومَعمُلهما فى الاسم المُنادى سيّان وان كانَتْ يا اَجوَلَ فى الكلام واَكثرَ فى الاستعمال وقد اختار بعضُهم اَن يُنادى بأى القريبُ فقط كالهمزة * واما العامِلُ الذى نائبُه اَرحَبُ منه وكرًا واَعظَمُ مكرًا واَكثرُ لله تعالى ذِكرًا فهو باءُ القَسَم * وهذهِ الباءُ هى اَصلُ حُروفِ القَسَم بدَلالةِ استعمالها مع ظُهورِ فِعلِ القَسَم فى قولك اُقسِمُ بالله ولدُخولِها ايضًا على المُضمَر فى قولك بك لاَفعَلَنَّ ثم قد اُبدِلت الواوُ منها فى القَسَم لانّهما جميعًا من حُروفِ الشَّفَة ثم لتناسُبِ معنَيَيهما لانَّ الواو تُفيدُ الجَمعَ والباءَ تفيد الالصاقَ والمعنيانِ مُتقارِبانِ ثم صارت الواوُ المُبدَلةُ من الباءِ اَدوَرَ فى الكلام واَعلَقَ بالاقسام ولهذا الفَرَبانّها اكثرُ لله تعالى ذِكرًا نم اِنَّ الواو اَكثرُ مَوطِنًا من الباء لانَّ الباءَ لا تَدخُل الا على الاسم ولا تَعمَلُ غيرَ الجَرِّ والواوَ تدخُل على الاسم والفعلِ والحرفِ وتَجُرُّ تارةً بالقَسَم وتارةً باِضمارِ رُبَّ وتنتظِمُ ايضًا مع نَواصِبِ الفعل واَدواتِ العَطف فلهذا وصَفَها بِرُحبِ الوكرِ وعِظَمِ المكرِ * واَمّا المَوطِنُ الّذى فيه يلتبِسُ الذَّكرانُ بَراقِعَ النِّسوان وتبرُزُ رَبّاتُ الحِجال بعمائم الرِّجال فهو اَوَّلُ مراتبِ العَدَدِ المُضاف وذلك ما بَينَ الثّلثة الى العَشرة فانّه يكونُ مع المُذكّر بالهاء ومع المؤنّث بحذفها كقوله تعالى سَخَّرها عليهم سَبعَ لَيالٍ وثمانيةَ اَيّامٍ حُسومًا * والهاءُ فى غير هذا المَوطِنِ من خَصائصِ المؤنّث مثل قائم وقائمة وعالِم وعالمة فقد رَأَيتَ كيف انعكسَ فى هذا الموطِن

حكمُ المذكّر والمؤنث حتى انقلبَ كلُّ منهما في ضدّ قالبه * وبرزَ في بزّة صاحبه * واما الموضعُ
الذي يجبُ فيه حفظُ المراتب على المضروب والضارب فهو حيث ينتبهُ الفاعلُ بالمفعول
لتعذّر ظهورِ علامة الاعراب فيهما او في احدهما * وذلك اذا كانا مقصورين مثلَ
موسى وعيسى او من اسماء الاشارة نحو ذاك وهذا فيجبُ حينئذٍ لإزالة اللبس
اقرارُ كلٍّ منهما في رتبته ليُعرف الفاعلُ منها بتقدمه والمفعولُ بتاخّره * واما الاسمُ الذي لا يفهم
الا باستضافة كلمتين او الاقتصار منه على حرفين فهو مهما وفيها قولان احدهما انها مركبة
من مَهْ التي بمعنى اكْفُفْ ومِنْ ما والقولُ الثاني وهو الصحيحُ انّ الاصلَ فيها
ما فزيدتْ عليها ما اخرى كما تُزادُ على ان فصار لفظها ما ما فثقُل عليهم توالي كلمتين بلفظٍ
واحدٍ فابدلوا من الالف الاولى هاء فصارتا مهما * ومهما من ادواتِ الشرط والجزاء ومتى
لفظتَ بها لم يتمّ الكلامُ ولا عُقل المعنى الا باراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعلْ افعلْ
وتكون حينئذٍ مُلتزما للفعل وان اقتصرتَ منها على حرفين وهما مَهْ التي بمعنى اكْفُفْ
فُهم المعنى وكنتَ مُلزما مَنْ خاطبتَه ان يكُفّ * واما الوصفُ الذي اذا رُدف بالنون
نقص صاحبُه في العُيون وقُوّم بالدون وخرج من الزبون وتعرّض للهون فهو ضيفٌ *
اذ الحقته النونُ استحالَ الى ضَيْفِنٍ وهو الذي يتبعُ الضيفَ * وينتزلُ في النقد منزلةَ الزيف *

المقامة الخامسة والعشرون الكرجية

حكى الحارثُ بن همّام قال شَنَوْتُ بالكرج لدَيْنٍ اقتضيْه * وارب اقضيْه * فبلوتُ من

شِنائها الكالح * وصِرّها النافح * ما عرّفني جَهْدَ البلاء * وعكّف بي على الاصطلاء *
فلم اكُنْ ازايلُ وجاري * ومُستوقَدناري * الّا لضرورة ادْفَعُ اليها * او اقامةِ جماعةٍ احافظُ
عليها * فاضطُررتُ في يومٍ جَوْنٍ مُزمهرٍّ * ودجنةٍ مُكفهرّة * الى ان برزتُ من كناني * إلهُم عناني *
فاذا شيخٌ عاري الجلدة * باديَ الجُردة * وقد اعتمّ ببرطلةٍ * واستتر بفويطةٍ * وحوالَيْه
جَمْعٌ كثيفُ الحواشي * وهو يُنشدُ ولا يُحاشي *

نظم

يا قومِ لا يُنيمكُم من فقري * اصدقُ من مُربي اوانَ القُرِّ
فامتبروا بما بدا من ضُرّي * باطنَ حالي وخفيَّ امري
وحاذروا انقلابَ سِلْمِ الدهرِ * فانّني كنتُ نبيهَ القدرِ
آوي الى وفرٍ وحيدٍ يفري * تُفيدُ صُفري وتُبيدُ سُمري
وتشتكي كُومي غداةَ اقري * فجرّدَ الدهرُ سيوفَ الغدرِ
وشنّ غاراتِ الرزايا الغُبرِ * ولم يزلْ يسحنني ويبري
حتى عفتْ داري وغاضَ دَرّي * وبارَ سِعْري في الورى وشِعري
وصرتُ نِضوَ فاقةٍ وعُسرِ * عاري المطا مُجرّدا من قِشري
كانّني المُعزلُ في التعرّي * لا دِفءَ لي في الصِّنّ والصِّنبرِ
غيرُ التضيّي واصطلاءِ الجمرِ * فهل خِضمٌّ ذو رداءٍ غمرِ
يسترني بمُطرفٍ او طِمرِ * طِلابَ وجهِ اللهِ لا لشُكري

ثم قال يا أرباب الثراء * الرافلين في الفراء * من أوتي خيرا فليتفق * ومن استطاع أن يرفق فليرفق * فإن الدنيا غدور * والدهر مثور * والمكنة زور وطيف * والفرصة حزنة صيف * وإني والله لطالما تلقيت الشتاء بكاتته * وأعددت الأهب له قبل صوافاته * وها أنا اليوم يا سادتي * ساعدي وسادتي * وجلدتي * بردتي * وحفنتي * جفنتي * فليعتبر العاقل بحالي * وليبادر صرف الليالي * فإن السعيد من اتعظ بسواه * واستعد لمسراه * فقيل له قد جلوت علينا أدبك * فاجل لنا نسبك * فقال نبأ لمفتخر * بمعظم نجر * إنما الفخر بالتقى * والأدب المنتقى * ثم انشد *

نظم

لعمرك ما الانسان إلا ابن يومه * على ما تجلى يومه لابن أمسه

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما * فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

ثم إنه جلس محققا * واجرنتم مقفقا * وقال اللهم يا من ضمر بنراله * وامر بسؤاله * صل على محمد وآله * وامنني على البرد وأهواله * وابح لي حرا يوتر من خصاصة * ويواسي ولو بقصاصة * قال الراوي فلما جلى عن النفس العصاصة * والملح الأصمعية * جعلت ملامح عيني تعجمه * ومرامي لحظي ترجمه * حتى استبنت أنه ابو زيد * وأن تعريه أحبولة لصيد * ولمح هو أن مرفاني قد أدركه * ولم يا من ان يهتكه * فقال أقسم بالسمر * والقمر * والزهر * والزهر * إنه لن يستترني إلا من طاب خيمه * واشرب ماء المروة اديمه * فعقلت ما عناه * وإن لم يدر القوم معناه * وساءني ما يعانيه من

الرمدة * واقشعرار الجلدة * فعمدت لقروة هي بالنهار رياشي * وفي الليل فراشي * فنضوتها عني * وقلت له اقبلها مني * فما كذب أن افتراها * وعيني تراها * ثم انشد *

نظم

لله من ألبسني فروة * أضحت من الرمدة لي جنة

ألبسنيها واقيا مهجتي * وقي شر الانس والجنة

سيلبس اليوم ثنائي وفي * غد سيكسى سندس الجنة

قال فلما فتن قلوب الجماعة * بافتنانه في البراعة * ألقوا عليه من الفراء المغشاة * والجباب الموشاة * ما آده ثقله * ولم يكد يقله * فانطلق مستبشرا بالفرج * مستسقيا للكرج * وتبعته الى حيث ارتفعت التقية * وبدت السماء نقية * فقلت له لشد ما قرسك البرد * فلا تتعرض من بعد * فقال ويك ليس من العدل * سرعة العذل * فلا تعجلن بلوم هو ظلم * ولا تقف ما ليس لك به علم * فوالذي نور الشيبة * وطيب تربة طيبة * لولم أتعرلرحت بالخيبة * وصفرا العيبة * ثم نزع الى الفرار * وتبرقع بالاكفهرار * وقال أما تعلم ان شنشنتي الانتقال من صيد الى صيد * والانعطاف من عمرو الى زيد * وأراك قد فتنني * ومقتني * وأفتني * أضعاف ما أفدتني * فاعفني عافاك الله من لغوك * واسدد دوني باب جدك ولهوك * فجبذته * جبذ التلعابة * وجعجعت به للدعابة * وقلت له والله لولم أوارك * وأغط على مواراك * لما وصلت الى صلة * ولا انقلبت أكسى من بصلة * فجازني عن احساني

اليك * وسترى لك وعليك * بان تسمح لى بردّ الفروة * او تعرّفنى كافات الشّتوة * فنظر
الىّ نظر المتعجّب * وازمهرّ ازمهرار المتغضّب * ثم قال اما ردّ الفروة فابعد من رد
امس الدابر * والميت الغابر * واما كافات الشّتوة فسبحان من طبع على ذهنك *
واوهى وعاء خزنك * حتّى انسيت ما انشدتك بالدّسكرة * لابن سكّرة * نظم

جاء الشتاء ومندى من حوائجه * سبع اذا الفطر من حاجاتنا حبسا
كنّ وكيس وكانون وكاس طلا * بعد الكباب وكسّ نامم وكسا

ثم قال لجواب يشفى * خبرّ من جلباب يدفئ * فاكتفى * بما وعيت والكفى * ففارقته
وقد ذهبت فروتى لشقوتى * وحصلت على الرمدة طول شتوتى *

المقامة السادسة والعشرون وتعرف بالرقطاء

حدث الحارث بن همّام قال حللت سوق الاهواز * لابسا حلة الامواز * فلبثت فيها
مدّة * اكابد شدّة * وازجى ايّاما مسودّة * الى ان رأيت تمادى المقام * من موادى
الانتقام * فرمقتها بعين القالى * وفارقتها مفارقة الطلل البالى * وظعنت من وشلها
كميش الازار * راكضا منها الى المياد الغزار * حتّى اذا سرت منها مرحلتين * وبعدت
سرى ليلتين * ترا أت لى خيمة مضروبة * ونار مشبوبة * فقلت آتيها لعلّى انقع
صدى * او اجد على النار هدى * فلمّا انتهيت الى ظلّ الخيمة * رأيت غلمة روقة * وشارة
مرموقة * وشيخا عليه بزّة سنيّة * ولديه فاكهة جنيّة * فحيّيته * ثم تحاميته * فضحك الىّ

واحسن الردّ علىّ * وقال الا تجلس الى من تروق فاكهته * وتشوق مفاكهته * فجلست
لاغتنام محاضرته * لا لالتقام ما بحضرته * فحين سفر من آدابه * وكشر عن انيابه *
عرفت انه ابو زيد بحسن ملحه * وقبح قلحه * فتعارفنا حينئذ * وحفّت بى فرحتان
سانحتان * ولم ادر بايّهما انا اصفى فرحا * واوفى مرحا * ابا شفاره * من دجنّة اسفاره *
ام بخضب رحاله * بعد امحاله * وتاقت نفسى الى ان اقصّ ختم سرّه * وابطن داهية
يسره * فقلت له من اين ايابك * والى اين انسيابك * وبم امتلأت عيابك * فقال
اما المقدم فمن طوس * واما المقصد فالى السوس * واما الجدة التى اصبتها * فمن
رسالة اقتضبتها * نسألنه ان يفرشنى دخلته * ويسرّد على رسالته * فقال دون مرامك
حرب البسوس * او تصحبنى الى السوس * فصاحبته اليها قهرا * وعكفت بها عليه شهرا *
وهو يعلّلنى كأسات التعليل * ويجرّنى امنة التأميل * حتّى اذا حرج صدرى * وعبل
صبرى * قلت له انه لم يبق لك علّة * ولا لى تعلّة * وفى قد ازجرّ غراب البين * وارحل
عنك بخفّى حنين * فقال حاش لله ان اخلفك * او اخالفك * وما ارجأت ان احدثك *
الّا لأثبتك * واذا كنت قد استربت بعدتى * واقراك ظنّ السوء بمباعدتى * فاصغ لقصص
سيرتى الممتدّة * واصغها الى اخبار الفرج بعد الشدّة * فقلت هات فما اطول طيلك * واهول
حيلك * فقال اعلم انّ الدهر العبوس * القانى الى طوس * والنا يومئذ فقير وفير *
لا فتيل لى ولا نقير * فالجأنى صغر اليدين * الى التطوّق بالدين * فادّنت لسوء

الآفاق * مِمَّن هو عَسِرُ الأخلاق * وتوهَّمتُ تَسَنِّي النِّفاق * فتوسَّعتُ في الإنفاق *
فما أفقتُ حتّى بهظَني دَيْنٌ لَزِمَني حِقْبَةً * ولازَمَني مُستَحِقُّه * يحرِقُ في أمْري * واطَّلعتُ
غَريمي على عُسْري * فلم يَصدِّق إملاقي * ولا نَزَع من إرْهاقي * بل جَدَّ في التقاضي *
وألَحَّ في اقتيادي الى القاضي * وكُلَّما خضَعْتُ له بالكلام * واستَنزَلْتُ منه رِفْقَ الكِرام *
ورغَّبتُه في أنْ يَنظُرَ لي بمُيَسِّرة * او يُنظِرَني الى مَيْسَرة * فال لا تَطْمَعْ في الإنظار *
واحتجانِ النِّضار * فوحَقِّك ما تَرى مَسالِك الخَلاص * او تَرَيَنّي سَبائِكَ الخِلاص *
فلمّا رأيتُ اجتداد دَدِه * وأنْ لا مَناصَ لي من يَدِه * شاغَبْتُه * ثم واثَبْتُه * لبوادِقِني
الى والي الجرائم * لا الى الحاكِم في المَظالِم * لِما بلَغَني من اتِّصال الوالي وفَضْلِه * وتشدُّدِ
القاضي وبُخْلِه * فلمّا حَضَرْنا بابَ اميرِطُوس * آنَسْتُ أنْ لا باسَ ولا بُؤْسَ *
فاستدعيتُ دواةً وقِطًا * وانْشأتُ اليه رِسالةً رَطْبا * وهي أخلاقُ سَيِّدِنا تُحَبُّ * وبعَقْوتِه
يُلَبُّ * وقُربُه تُحَفُّ * ونَأْيُه تَلَفٌ * وخُلَّتُه نَسَبٌ * وقَطِيعَتُه نَصَبٌ * وقُربُه ذَلِق *
وشُهْبُه تَأْتَلِق * وظَلُّه زانَ * وقَويمُ نَهْجِه بانَ * ونِدُّه فَلَّ وجَرَّبَ * ونَعْتُه شَرَّقَ وغَرَّبَ *

نظم

سَيِّدٌ قَلْبُه مَبُوقٌ مُبِرٌّ * فَطِنٌ مُغْرِبٌ عَزُوفٌ مَيُوفُ
مُخْلِفٌ مُتْلِفٌ اَغَرُّ فَرِيدٌ * نابِهٌ فاضِلٌ ذَكِيٌّ أنُوفُ
مُفْلِقٌ إنْ أبانَ طَبَّ اذا نا * بَ هِياجٌ وجَلَّ خَطْبٌ مَخُوفُ

مَناطِمُ شَرَفِه تَأْتَلِفُ * وشُؤُبُوبُ حِبائِه يَكِفُ * ونائِلُ يَدَيْه فاضَ * وشُحُّ قَلْبِه غاضَ *
وخِلْفُ سَجائِه يُحْتَلَبُ * ومَذْهَبُ مِيالِه يُحْتَرَبُ * من لَفَّ لِفَّه فَلَحَ وغَلَبَ * وتاجَرَ بابِه
جَلَبَ وخَلَبَ * كَفَّ من هَضْمِ بَرِيٍّ * وبَرِئَ من دَنَسِ غَوِيٍّ * وقَرَنَ لِيانَه بعِزٍّ * ونَكَّبَ
عن مَذْهَبِ كَزٍّ * ليس بوَتَّابٍ عِنْدَ نُهْزَةِ شَرٍّ * بل يَعِفُّ عِفَّةَ بَرٍّ *

نظم

فلذا يُحَبُّ ويُستَحَقُّ مَفاتُه * شَغَفًا به قُلُبا به خَلَّابُ
أخلاقُه غُرٌّ تَرِفُّ وفُوقُه * فُوقٌ اذا انا ضَلْتَه غَلَّابُ
سَجْحٌ يَهِشُّ وذُو تَلافٍ إنْ هَفا * خِلٌّ فليس بحَقِّه يُرْتابُ
لا باخِلٌ بل باذِلٌ خِرْقٌ اذا * يَعْتَرُّ بَرْزٌ لا يَلِيه بابُ
إنْ مَضَّ أزَلُّ فَلَّ غَرْبَ مَضاضِه * بمَنابِه فانحَتَّ منه نابُ

وجَدِيرُ بمَنْ لَبَّ وفَطَنَ * وقَرُبَ وشَطَنَ * أنْ أذْمَنَ لقَريعِ زَمَنٍ * وجابِرِ زَمِنٍ *
مُذْرِضَعِ نَدَى لِيانِه * خُصَّ بافاضةِ تَهْتانِه * نَعَشَ وفَرَّجَ * وضافَرَفَا بهَجَ * ونافَرَفازَه *
وفاءَ بحَقِّ ابلَجَ * أتْعَبَ مَنْ سَيِلَى * رَفْرَفًا ذا هُزُوبِلَى * وتَوَّجَ صِفاتِه * بحُبِّ مُفاتِه *

نظم

فَلا خَلا ذا بَهْجَةٍ * يَمْتَدُّ ظِلُّ خِصْبِه
فانَّه بَرٌّ بمَنْ * آنَسَ ضَوْءَ شُهْبِه
زانَ مَزايا ظَرْفِه * بِلُبْسِ خَوْفِ رَبِّه

فَلْيَهْنِ سَيِّدَنا فَوْزُهُ * بِمَفاخِرَ نَالَتْ * وَجَلَّتْ * وَفَوْتُهُ بِصَنائِعَ تَمَّتْ * وَنَمَّتْ * وَيُلائِمُ
قُرْبَ حَضْرَتِهِ * فَوْتُ رِفْدِهِ بِحَظٍّ مِنْ حُظْوَتِهِ * فَإِنَّهُ تَلِيدُ نَدْبٍ * وَشَرِيدُ جَذْبٍ * وَجَرِيحُ
نُوَبٍ أَثَّرَتْ * وَنَاظِمُ فَلَائِدَ تَسَيَّرَتْ * إِذا جاشَ بِخُطْبَةٍ فَلا يُوجَدُ قائِلٌ * ثُمَّ قُسَّ ثُمَّ بانِلٌ *
فَإِنْ خَبَرْتَ لَتَ حِبَرٌ نُمْنِمَتْ * وَخِلْتَ رِياضًا قَدْ نَمَتْ * هٰذا ثَمْرُهُ بَرْضٌ * وَقُوتُهُ
قَرَضٌ * وَفَلَقُهُ فَسَقٌ * وَجِلْبابُهُ خَلَقٌ * وَقَدْ فَلَقَ لِتَوَفُّرِ غَرِيمٍ غاشِمٍ * يَسْتَحِقُّهُ بِحَقٍّ لازِمٍ *
فَإِنْ مَنَّ سَيِّدُنا بِكَفِّهِ * بِهِباتٍ كَفَّهُ * تَوَشَّحَ بِمَجْدٍ فائِقٍ * وَباهَى جَرْفَكَى مِنْ وَنائِقٍ *
لا خَلَتْ سَجايا خُلُقِهِ * تَرْفُدُ شائِمَ بَرْقِهِ * بِمَنِّ رَبٍّ أَزَلِيٍّ * حَيِّ أَبَدِيٍّ * قالَ فَلَمَّا اسْتَشَفَّ
الأَمِيرُ لآلِيَها * وَلَمَحَ السِّرَّ الْمُودَعَ فِيهِا * أَوْمَزَ فِي الْحالِ بِقَضاءِ دَيْنِي * وَفَصْلِ ما بَيْنَ
خَصْمِي وَبَيْنِي * ثُمَّ اسْتَخْلَصَنِي لِمُكاثَرَتِهِ * وَاخْتَصَّنِي بِأَثَرَتِهِ * فَلَبِثْتُ بِضْعَ سِنِينَ أَنْعَمُ
فِي ضِيافَتِهِ * وَأَرْتَعُ فِي رِيفِ رافِدَتِهِ * حَتَّى إِذا غَمَرَتْنِي مَواهِبُهُ * وَأَطالَ ذَيْلِي ذَهَبُهُ *
تَلَطَّفْتُ فِي الِارْتِحالِ * عَلَى ما تَرَى مِنْ حُسْنِ الْحالِ * قالَ فَقُلْتُ لَهُ شُكْرًا لِمَنْ أَتاحَ لَكَ
لُقْيانَ السَّمْحِ الْكَرِيمِ * وَانْتَقَدَكَ بِهِ مِنْ ضُغْطَةِ الْغَرِيمِ * فَقالَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى سَعادَةِ الْجَدِّ *
وَالْحُلُوصِ مِنَ الْخَصْمِ الْأَلَدِّ * ثُمَّ قالَ أَيُّما أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أُحْذِيَكَ مِنَ الْعَطاءِ *
أَمْ أُتْحِفَكَ بِالرِّسالَةِ الرِّقْطاءِ * فَقُلْتُ إِمْلاءُ الرِّسالَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ * فَقالَ وَهُوَ وَحَفٌّ
أَخَفُّ عَلَيَّ * فَإِنَّ نِحْلَةَ ما يَلِجُ فِي الْآذانِ * أَهْوَنُ مِنْ نِحْلَةِ ما يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْدانِ *
ثُمَّ كَأَنَّهُ أَنِفَ وَاسْتَحْيا * فَجَمَعَ لِي بَيْنَ الرِّسالَةِ وَالْحُذْيا * فَفُزْتُ مِنْهُ بِسَهْمَيْنِ * وَفَصَلْتُ

مِنْهُ بِغُنْمَيْنِ * وَأُبْتُ إِلَى وَطَنِي قَرِيرَ الْعَيْنِ * بِما حُزْتُ مِنَ الرِّسالَةِ وَالْعَيْنِ *

المقامة السابعة والعشرون البدوية

حَكَى الْحارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قالَ مِلْتُ فِي رِبْقِ زَمانِي الَّذِي غَبَرَهُ إِلَى مُجاوَرَةِ أَهْلِ الْوَبَرِ *
لِأَخُذَ نُفُوسَهُمُ الْأَبِيَّةَ * وَأَلْسِنَتَهُمُ الْعَرَبِيَّةَ * فَشَمَّرْتُ تَشْمِيرَ مَنْ لا يَالُ وُجْهَدًا * وَجَعَلْتُ
أَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ غَوْرًا وَنَجْدًا * إِلَى أَنِ اقْتَنَيْتُ هَجْمَةً مِنَ الرَّاغِيَةِ * وَثُلَّةً مِنَ الثَّاغِيَةِ *
ثُمَّ أَوَيْتُ إِلَى عَرَبٍ أَرْدافِ أَقْيالٍ * وَأَبْناءِ أَفْوالٍ * فَأَوْطَنُونِي مَنْبَعَ جَنابٍ * وَفَلَّوا
مِنِّي حَدَّ كُلِّ نابٍ * فَما تَأَوَّبَنِي عِنْدَهُمْ هَمٌّ * وَلا قَرَعَ صَفاتِي سَهْمٌ * إِلَى أَنِ اضْطُلِعْتُ فِي لَيْلَةٍ
مُنِيرَةِ الْبَدْرِ * لِقُحَةً غَزِيرَةَ الدَّرِّ * فَلَمْ أَطِبْ نَفْسًا بِإِلْغاءِ طَلَبِها * وَإِلْقاءِ حَبْلِها عَلَى غارِبِها *
فَتَدَثَّرْتُ فَرَسًا مِخْضارًا * وَامْتَقَلْتُ لَدْنًا خَطَّارًا * وَسَرَيْتُ لَيْلِي جَمْعاءَ * أَجُوبُ الْبَيْداءَ *
وَأَقْتَرِي كُلَّ شَجْراءَ وَمَرْداءَ * إِلَى أَنْ نَشَرَ الصُّبْحُ رايَاتِهِ * وَحَبْعَلَ الدَّاعِي إِلَى
صَلَوَاتِهِ * فَنَزَلْتُ مِنْ مَتْنِ الرَّكُوبَةِ * لِأَداءِ الْمَكْتُوبَةِ * ثُمَّ جُلْتُ فِي صَهْوَتِها * وَفَرَرْتُ
مِنْ شَحْوَتِها * وَسِرْتُ لا أَرَى أَثَرًا إِلَّا قَفَوْتُهُ * وَلا نَشَزًا إِلَّا عَلَوْتُهُ * وَلا وادِيًا إِلَّا جُزْتُهُ *
وَلا راكِبًا إِلَّا اسْتَطْلَعْتُهُ * وَجِدِّي مَعَ ذٰلِكَ يَذْهَبُ هَدَرًا * وَلا يَجِدُ وِرْدُهُ صَدَرًا * إِلَى أَنْ حانَتْ
صُكَّةُ مُمَيٍّ * وَلَفْحُ هَجِيرٍ يُذْهِلُ فَيْلانَ عَنْ مَيِّ * وَكانَ يَوْمًا أَطْوَلَ مِنْ ظِلِّ الْقَناةِ * وَأَحَرَّ مِنْ
دَمْعِ الْمُقْلاتِ * فَأَيْقَنْتُ أَنِّي إِنْ لَمْ أَسْتَكِنَّ مِنَ الْوَقْدَةِ * وَأَسْتَجِمَّ بِالرَّقْدَةِ * أَدْنَفَنِي اللُّغُوبُ *
وَمَلَقَتْ بِي شَعُوبُ * فَعُجْتُ إِلَى سَرْحَةٍ كَثِيفَةِ الْأَغْصانِ * وَرِيقَةِ الْأَفْنانِ * لا أُغَرِّرُ

تحتها الى المغيربان * فوالله ما استروح نفسي * ولا استراح فرسي * حتى نظرت
الى سانح * في هيئة سائح * وهو ينتجع نجعتي * ويشتد الى بقعتي * فكرهت انعياجه
الى معاجي * واستعذت بالله من شر كل مغاجي * ثم ترجيت ان ينصدي منشدا *
او يتبدى مرشدا * فلما اقترب من سرحتي * وكاد يحل بساحتي * القيته شيخنا
السروجي منتشحا بجرابه * ومضطغنا اهبة تجوابه * فآنسني اذ ورد * وانساني ما شرد *
ثم استوضحته من اين اثره * وكيف عجره وبجره * فانشد بديها * ولم يقل ايها * نظم

قل لمستطلع دخيلة امري * لك عندي كرامة وعزازه
انا ما بين جوب ارض فارض * وسري في مفازة فمفازه
زادي الصيد والمطية نعلي * وجهازي الجراب والعكازه
فاذا ما هبطت مصرا فبيتي * غرفة الخان والنديم جزازه
ليس لي ما اساء ان فات او اخزن ان حاول الزمان ابتزازه
غير اني ابيت خلوا من الهم وتفسي من الاسى منعازه
ارقد الليل ملأ جفني وقلبي * بارد من حرارة وحزازه
لا ابالي من اي كأس تعوقت ولا حلاوة من مرازه
لا ولا استجيز ان اجعل الذل مجازا الى تسني اجازه
واذا مطلب كساحلة العا * رفبعد المنى يروم نجازه

ومتى اهتز للدناءة نكس * عاف طبعي طباعه واهتزازه
فالمنايا ولا الدنايا وخير * من ركوب الخنا ركوب الجنازه
ثم رفع الى طرفه * وقال لامر ما جدع قصير انفه * فاخبرته خبر ناقتي السارحة * وما عاينته
في يومي والبارحة * فقال دع الالتفات * الى ما فات * * والطماح * الى ما طاح * ولا تأس
على ما ذهب * ولو انه وادٍ من ذهب * ولا تستهل من مال من ريحك * واضرم نار
تبار يحك * ولو كان ابن بوحك * او شقيق روحك * ثم قال هل لك في ان تقيل * وتتحامى
القال والقيل * فان الابدان انضاء تعب * والهاجرة ذات لهب * ولن يصقل الخاطر *
وينشط الفاتر * كقائلة الهواجر * وخصوصا في شهري ناجر * فقلت ذاك اليك * و
ما اريد ان اشق عليك * فافترش الترب واضطجع * واظهر ان قد هجع * وارتقبت على ان
احرس * ولا انعس * فاخذتني السنة * لما زمت الالسنة * فلم افق الا والليل قد تولج * والنجم
قد تبلج * ولا السروجي ولا المسرج * فبت بليلة نابغية * واحزان يعقوبية * اساور الوجوم *
واساهر النجوم * افكر تارة في رحلتي * واخرى في رجعتي * الى ان وضح لي عند افترار
ثغر الضوء في وجه الجو * راكب يخد في الدو * فالمعت اليه بثوبي * ورجوت
ان يعرج الى صوبي * فلم يعبأ بالمامي * ولا اوى لالتياعي * بل سار على هينته *
واضماني بسهم اهانته * فاوفضت اليه لاسترده * واحتمل تغطرفه * فلما ادركته بعد
الاين * واجلت فيه مسرح العين * وجدت ناقتي مطينه * وضالتي لقطته * فما كذبت

اَنْ اَذْرِيتُه من سَنامِها * وجادَتْه طَرْف زِمامِها * وقلتُ اَنا صاحِبُها ومُضِلُّها * ولِي
رِسْلُها ونَسْلُها * فلا تكُنْ كاشْعَبَ * فتُتْعِبَ وتَتْعَبَ * فاَخَذَ يَدْفَعُ ويَصْمِي * ويَنْفُخُ ولا يَسْتَحْمِي *
وبَيْنا هو يَمْزُو ويَلِيْنُ * ويَسْتاسِدُ ويَسْتَكِيْنُ * اذ غَشِيَنا ابو زيدٍ لابِسًا جِلْدَ النَّمِرِ * وهاجِمًا
هُجومَ السَّيْلِ المُنْهَمِرِ * فخِفْتُ واللّٰهِ اَنْ يكونَ يومُه كامِسَه * وبَدْرُه مِثْلَ شَمْسِه * فالْحَقَ
بالغارِظَيْنِ * واَصيرَ خَبَرًا بعدَ عَيْنٍ * فلم اَرَ لِي اَنْ اَذْكُرَتُه العُهودَ المَنْسِيَّةَ * والفَعْلَةَ
الاَمْسِيَّةَ * وناشَدْتُه اللّٰهَ اَوافِي اليومَ لِلتِّلافِي * ام لِما فيه اِتْلافِي * فقال معاذَ اللّٰهِ اَنْ اُجْهِزَ
على مَكْلُومِي * اواَصِلَ حَرُورِي بسَمُومِي * بل وافَيْتُك لاَخْبِرَكَ انَّه حالِك * واكونَ
يمينًا لِشِمالِك * فسَكَنَ مِنْ ذٰلِك جاشِي * وانجابَ استِيحاشِي * واَطْلَعْتُه طِلْعَ اللَّفْحَةِ *
وتَبَرْقَعَ صاحِبِي بالقِحَةِ * فنظَرَ اليه نَظَرَ لَيْثِ العَرِيسَه * الى الفَرِيسَه * ثم اَشْرَعَ قِبَلَه
الرُّمْحَ * واَقْسَمَ له بِمَنْ اَنارَ الصُّبْحَ * لَئِن لم يَنْجُ مَنْجا الذِّئاب * ويَرِضَ من الغنيمةِ
بالاِياب * لَيُوِرِدَنَّ سِنانَه وَرِيدَه * ولَيُعْجِمَنَّ به وَلِيدَه ووَدِيدَه * فنَبَذَ زِمامَ النّاقة
وحاصَ * وآفَلَتَ وله حُصاص * فقال لي ابو زيدٍ تَسَلَّمْها وتَسَنَّمْها * فاِنَّها اِحْدى
الحُسْنَيَيْنِ * ووَيْلٌ اَهْوَنُ من وَيْلَيْنِ * قال الحارث بن همام فجِئْتُ بين لَوْمِ ابي زيدٍ
وشُكْرِه * وزِنَةِ نَفْعِه بضُرِّه * فكانَّه نُوجِيَ بذاتِ صَدْرِي * اوتَكَهَّنَ ما خامَرَ سِرِّي *
فقابَلَنِي بوَجْهٍ طَلِقٍ * وانْشَدَ بلِسانٍ ذَلِقٍ *

نظم

يا اَخِي الحامِلَ ضَيْمِي * دُوْنَ اِخْوانِي وقَوْمِي

اِنْ يَكُنْ ساءَكَ اَمْسِي * فلقَدْ سَرَّكَ يَوْمِي

فاغْتَفِرْ ذاكَ لِهٰذا * واطَّرِحْ شُكْرِي ولَوْمِي

ثُم قال اناتِقٌ * وانْتَ مَتِقٌ * فكيفَ نَتَّفِقُ * ثُم وَلّى يَفْرِي اَدِيمَ الاَرْضِ * ويَرْكُضُ
طِرْفَه اَيَّما رَكْضٍ * فما مَدَدْتُ اَنِ اقْتَعَدتُّ مَطِيَّتِي * ومُدَّتْ لِطِيَّتِي * حتّى وَصَلْتُ
الى حِلَّتِي * بعدَ اللَّتَيَّا والَّتِي *

تفسيرُ ما اُودِعَ هٰذه المَقامَةَ من الاَلْفاظِ اللُّغَوِيَّةِ والاَمْثالِ العَرَبِيَّةِ

قوله * رَيِّقِ زمانِي يعنى اَوَّلَه ورايِقَه وقد يُخَفَّفُ فيقال رَيْقٌ * قوله * لَآخُذَنَّ نُفوسَهم الاَبِيَّةَ
يعنى اَقْتَدِي بِهم يقال منه اَخَذَ اِخْذَه واَخْذَه بكسر الهَمْزة وفَتْحِها * والهَجْمَةُ نَحْوُ المائَةِ
من الاِبِل * والثُّلَّةُ القَطِيعُ من الغَنَم * والراغِيَةُ الاِبِلُ والثاغِيَةُ الشاءُ ومنه قولُهم مالَه
راغِيَةٌ ولا ثاغِيَةٌ اى لا ناقةٌ ولا شاةٌ * وقوله * اَرْدافُ اَقْيالٍ اى يَخْلُفون المُلوكَ اذا
غابُوا * وقولُه اَبْناءُ اَقْوالٍ اى فُصَحاءُ يقال لِلمِنْطِيقِ اِنَّه ابنُ اَقْوالٍ * وقوله فتَدَثَّرْتُ
فرَسًا مِحْضارًا التَّدَثُّرُ الوُثوبُ على ظَهْرِ الفَرَسِ * والمِحْضارُ والمِحْضيرُ الشَّدِيدُ العَدْوِ
ماخوذٌ من الحُضْرِ * وقولُه اَقْتَرِي كُلَّ شَجْراءَ ومَرْداءَ الاقتِراءُ تَتَبُّعُ الارضِ * والشَّجْراءُ
ذاتُ الشَّجَرِ * والمَرْداءُ الخالِيَةُ من النَّباتِ ومنه اشتِقاقُ الاَمْرَدِ لِخُلُوِّ وَجْهِه من
الشَّعْرِ * وقولُه حَيْعَلَ الدّاعِي الى صَلواتِه يَعْنِي به قولَ المُؤَذِّنِ حَيَّ على الصَّلٰوةِ وحَيَّ
على الفَلاحِ والمصدرُ منه الحَيْعَلَةُ * ومِثْلُه من المَصادِرِ الهَيْلَلَةُ * والحَوْلَقَةُ * والبَسْمَلَةُ *

والحَسْبَلَةُ * والسَّبْحَلَةُ * والجَعْلفَةُ * والحَمْدَلَةُ * فالهَيْلَلَةُ حكايةُ قولِ لا إلهَ إلا اللّه *
والحَوْلقةُ حكايةُ قولِ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللّه * والبَسْمَلَةُ حكايةُ قولِ بِسْمِ اللّه *
والحَسْبَلَةُ حكايةُ قولِ حَسْبُنا اللّه * والسَّبْحَلَةُ حكايةُ قولِ سُبْحانَ اللّه * والجَعْلفَةُ حكايةُ
قولِهم جُعِلْتُ فِداك * والحَمْدَلَةُ حكايةُ قَوْلِ الحمدُ للّه * وقوله فنزَلْتُ من مَتْنِ
الرَّكُوبة يعنى المركوبةَ يقال ناقةٌ رَكُوبٌ ورَكوبةٌ وحَلوبٌ وحَلوبةٌ وقد تُرِكَ فمنها رَكوبَتُهم *
والصَّهْوةُ مَقْعَدُ الفارِس * والشَّحْوةُ الحَظْوةُ * والجَزْعُ قَطْعُ الوادى عَرْضًا * وقولُه *
صَكَّهُ عُمَيٌّ يعنى به قائمَ الظَّهيرة وقد اختُلِفَ فى أصله فقيل كان عُمَىٌّ رَجُلًا مِغْوارًا ففَزِعَ قومًا
عند قائم الظَّهيرة وصَكَّهم صَكَّةً شديدةً فصار مَثَلًا لكُلِّ مَنْ جاءَ ذلكَ الوقتَ * وقيل
المُرادُ به الظَّبْىُ لأنَّه يصدُرُ فى الهواجِرِ فيَصْطكُّ بما يَسْتَقْبِلُه كاصطكاكِ الأعمى ثم صُغِّرَ
الأعمى تصغيرَ الترخيم فقيل عُمَىٌّ كما صَغَّروا أسودَ وأزهرَ فقالوا سُوَيْدٌ وزُهَيْرٌ * وقولُه *
وكان يومًا أطولَ من ظِلِّ القَناةِ يُوصَفُ اليومُ الطَّويلُ بظِلِّ القَناةِ كما يُوصَفُ اليومُ
القصيرُ بأنه مِقدارُ قِطاةٍ * والعَرَبُ تَزْعُمُ أنَّ ظِلَّ الرُّمْحِ أطولُ ظِلٍّ ومنه قولُ الشاعر *

نظم

ويومٍ كظِلِّ الرُّمْحِ قَصَّرْتُ طُولَه * دَمُ الزِّقِّ عَنَّا واصطفاقُ المَزاهِرِ

قولُه * وآخَرَ من دَمْعِ المُقلاتِ وهى التى لا يَعِيشُ لها ولَدٌ فدَمْعُها أبدًا حارٌّ لحُزْنِها لأنَّه
يقالُ إنَّ دَمْعَةَ الحُزْنِ حارَّةٌ ودَمْعَةَ السُّرورِ باردةٌ ولهذا قيل للمدعُوِّ له أقَرَّ اللّهُ عَيْنَه

ماخوذٌ من القُرِّ وهو البَرْدُ وقيل للمدعُوِّ عليه أسخَنَ اللّهُ عَيْنَه ماخوذٌ من السُّخْنةِ
وهى الحرارة * وقيل إنَّ إقرارَ العَيْنِ ماخوذٌ من القَرارِ فكأنَّه دعا له ان يُرْزَقَ ما يُقِرُّ
عَيْنَه حتى لا تَطْمَحَ الى ما لَغَيْرِه وكانتِ الجاهليَّةُ تَزْعُمُ أنَّ المِقْلاتَ اذا وَطِئَتْ على فتيلِ
شريفٍ عاشَ ولَدُها والى هذا أشارَ بِشْرُ بن أبى حازِمٍ فى قوله *

نظم

تَظَلُّ مقاليتُ النِّساءِ يَطَأْنَه * يَقُلْنَ الا يُلْقَى على المَرْءِ مِيْزَرُ

وقولُه عَلِقَتْ بى شُعوب يعنى المَنِيَّةَ ولا تَدْخُلُ هذا الاسمَ أداةُ التعريف مثل دَجْلَةَ
وعَرَفَةَ * وقولُه لأُغَوِّرَنَّ تحتَها الى المُغَيْرِبان التغويرُ النُّزولُ للقائلة كما أنَّ التعريسَ
النُّزولُ آخرَ الليل للتهويم والاستراحةِ والمغيربان تصغيرُ المَغْرِب وكان قياسُ تصغيرِه
المُغَيْرِبَ الّا أنَّ العربَ ألحقَتْ آخرَه ألفًا ونونًا على طريقِ الشُّذوذ * وقولُه مُضْطَغِنًا
أهْبَةَ تَجْوابِه الاضطِغانُ أنْ يَحْمِلَ الشَّيْءَ تحتَ حِضْنِه والاضطِبانُ أن يَجْعَلَه تحتَ
ضِبْنِه والضِّبْنُ ما بَيْنَ الإبْطِ والكَشْحِ وكلاهما مُتقاربٌ وأوَّلُ مَراتِبِ الحَمْلِ الإبْطُ
ثم الضِّبْنُ وهو أسفَلُ الإبْطِ ثم الحِضْنُ وهو عند الجَنْبِ والتَّجْوابُ مصدرُ جابَ وجميعُ
المَصادِرِ التى جاءَتْ على تَفْعالٍ هى بفَتْحِ التاءِ الا قولَهم تِبيانٌ وتِلْقاءٌ لا غَيْرُ وقال
بعضُهم وتِنْضالٌ ايضا * وقولُه مُجْرِى وبُجْرِى يُريدُ به جميعَ أمرى الظَّاهرِ والباطن
وأصْلُ العُجَرِ العُقَدُ النابيةُ فى العصَبِ والبُجَرِ العُقَدُ النابيةُ فى البَطْنِ * وقولُه لم يَقُلْ
إيْهًا اى لم يأمُرْنى بالكَفِّ يقال للمُسْتَزادِ إيْهِ ولِمَنْ يَسْتَكِفُّ إيْهًا * وقولُه لأمرٍ ما جَدَعَ

قصيرًا انفه قصيرٌ هذا هو مولى جذيمة الابرش وكان جدع انفه بيده حين قتلت الزبّاء مولاه ثم اتاها واوهمها ان عمرو بن عدي بن اخت جذيمة هو الذى جدع انفه اتهامًا له بانه غشّ خاله جذيمة اذ اشار عليه بقصدها فحظى قصير بهذا القول عندها حتى جهزته مرارًا الى العراق فكان ياتيها بالطرف منه الى ان استصحب في آخر نوبة الرجال في الصناديق وتوصل الى قتلها والاخذ بثار مولاه منها وقصتها مشهورة * وقوله ولو كان ابن بوحك يعني ولد الصلب اشارة الى انه ولد في باحة الدار وهي عرصتها وجمعها بوح * وقيل البوح من اسماء الذكر ايضًا * وقوله في شهري ناجرهما شهرا الحر وقيل انهما حزيران وتموز وانكر ابو بكر بن دريد هذا القول وقال هما طلوع نجمين *

وقوله فبتّ بليلة نابغية اوما به الى قول النابغة *

نظم

فبتّ كأنّي سا ورتني ضئيلة * من الرّئش في انيابها السّم ناقع

وقوله المعت اليه يثوبي يعني اشرت يقال منه لمع والمع بمعنى واحد * قوله يلدغ ويصئي هذا مثل يضرب لمن يظلم ويشكو يقال صأت العقرب تصئي صئيًا بفتح الصاد وكسرها اذا صوّتت * وكذلك الفرخ وما احسن قول ابن الرومي في هذا المعنى *

نظم

تشكي المحبّ وتشكو وهي ظالمة * كالقوس تصمي الرّمايا وهي رنّان

وقوله ينزو ويلين هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يذلّ ويقال ان اصله الجدي ينزو

وهو صغير فاذا كبر لان * وقوله لا يسا جلد النمر هذا المثل يضرب للمتمنّع الجري لان النمر اجرأ سبع واقله احتمالًا للضيم ومن هذا اشتقاق قولهم تنمّر اى صار مثل النمر * وقوله فالحق بالقارظين الاصل في القارظ انه الذى يجني القرظ وهو النبات المدبوغ به والقارظان المشار اليهما احدهما من عنزة والآخر من النمر بن قاسط وكانا خرجا يجنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر فضرب به المثل لكل غائب لا يرجى ايابه واليهما اشار ابو ذؤيب في قوله *

نظم

وحتى يؤوب القارظان كلاهما * وينشر في القتلى كليب لوائل

وقوله اصل حروري بسموم الحرور الريح الحارة ليلًا والسموم الريح الحارة نهارًا وقد تقام احدهما مقام الاخرى مجازًا * وقوله ليث العريسة يعني به ماوى السبع يقال فيه مريس ومريسة باثبات الهاء وحذفها كما يقال غاب وغابة وعرين وعرينة فاما الغيل والخيس فلم يلحقوا بهما الهاء * وقوله افلت وله خصاص هذا المثل يضرب لمن نجا من هلكة اشفى عليها بعد ما كاد يهوي فيها والخصاص العدو * وقيل انه الضراط فكأنه لفزعه يعدو ويضرط * وقوله ويل امه من ويلين هذا المثل يضرب تسلية لمن نالته بعض المكروه ومثله قول الشاعر

نظم

ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشرّ اهون من بعض

وقوله انا تئقّ وانت مئقّ فكيف تتفق هذا المثل يضرب للمتنافيين في الخلق فان التئق

هو المُمتلِئ غَيْظًا ماخوذٌ من قولهم اَتأَفَّتُ الاِناءَ اذا ملأْتَه والمِقُّ هو الباكِي فكانَّ التَّقِيَّ ينْزِعُ الى الشَّرِ لغَيْظِه والمِقُّ يَضِيقُ ذَرْعًا باحتمالِه ومِثْلُه قولُ الآخر انا كَلِفٌ وانت صَلِفٌ فكيف نأْتَلِفُ * وقولُه لطِيَّنِي يَعْنِي لقَصْدِي ووِجْهَتِي وقد يُقال فيه طِيَةٌ بالتخفيف * وقولُه بعدَ اللَّتيَّا والَّتِي اللَّتيَّا تصغيرُ الَّتِي وهو على غَيْرِ قِياسِ التصغيرِ المُطَّرِدِ لان القِياسَ ان يُضَمَّ اَوَّلُ الاِسْمِ اذا صُغِّرَ وقد اُقِرَّ هذا الاسمُ على فَتْحِه الاَصْلِيَّةِ عندَ تصغيرِه الا اَنَّ العَرَبَ عَوَّضَتْه من ضَمِّ اَوَّلِه بَاَنْ زادَتْ اَلِفًا في آخِرِه وقد اَجْرَتْ اَسْماءَ الاشارةِ عند تصغيرِها على حُكْمِه فقالَتْ في تصغيرِ الَّذي والَّتِي اللَّذَيَّا واللَّتيَّا وفي تصغيرِ ذا وذاك ذَيَّا وذَيَّاك وقد اخْتُلِفَ في معنى قولِهم بعد اللَّتيَّا والَّتي فقِيلَ هما من اَسْماءِ الدَّاهِيةِ وقِيلَ المرادُ بهما بعد صغيرِا لمكروهِ وكبيرِه *

المقامة الثامنة والعشرون السمرقندية

اخبر الحارثُ بن هَمّام قال استَبْضَعْتُ في بعض اَسْفارِي القَنْدَ * وقَصَدْتُ به سَمَرْقَنْدَ * وكُنْتُ يَوْمَئِذٍ قويَّ النَّشاط * جمومَ النِّشاط * اَرْمِي عن قَوْسِ المِراح * الى غَرَضِ الاَفْراح * واَسْتَعِينُ بماءِ الشَّباب * على مَلامِحِ السَّراب * فوافَيْتُها بُكْرَةً مَرْوَبَةَ * بعدَ اَنْ كابَدْتُ الصَّعُوبةَ * فسَعَيْتُ وما وَنَيْتُ * الى ان حصَلْتُ البَيْتَ * فلمّا نَقَلْتُ اليه تَنْدِي * وملَكْتُ قولَ عندِي * عُجْتُ الى الحَمّامِ على الاَثَرِ * فاَمَطْتُ عَنِّي وَعْثاءَ السَّفَرِ * واَخَذْتُ في غُسْلِ الجُمُعةِ بالاَثَرِ * ثم بادَرْتُ في هَيْئَةِ الخاشِعِ * الى

مَسْجِدِها الجامِعِ * لاَلْحَقَ بمَنْ يَقْرُبُ من الاِمامِ * ويُقَرِّبُ اَفْضَلَ الاَنامِ * فحَظِيتُ بان جَلَسْتُ في الحَلْبةِ * وتَخَيَّرْتُ المركَزَ لاستماعِ الخُطْبَةِ * ولم يَزَلِ النَّاسُ يدخُلون في دِينِ اللّهِ اَفْواجًا * ويَرِدُونَ فُرادى واَزْواجًا * حتّى اذا اكْتَظَّ الجامِعُ بحَفْلِه * واَظَلَّ تساوِي الشَّخْصِ وظِلِّه * بَرَزَ الخطيبُ في اُهْبَتِه * مُتَهادِيًا خَلْفَ مُصْبَتِه * فارتقى في مِنْبَرِ الدَّعْوةِ * الى اَنْ مَثَلَ بالذِّرْوةِ * فسَلَّمَ مُشيرًا باليمين * ثم جَلَسَ حتّى خُتِمَ نَظْمُ التَّاذِين * ثم قامَ وقال * الحمدُ للّهِ الممدوحِ الاَسْماء * المحمودِ الآلاء * الواسِعِ العَطاء * المَدْعُوِّ لحَسْمِ اللَّأْواء * مالِكِ الاُمَمِ * ومُصَوِّرِ الرِّمَمِ * ومُكْرِمِ اَهْلِ السَّماحِ والكَرَمِ * ومُهْلِكِ عادٍ وارَمَ * اَدْرَكَ كُلَّ سِرٍّ عِلْمُه * ووَسِعَ كُلَّ مُصِرٍّ حِلْمُه * وعَمَّ كُلَّ ما لَمَّ طَوْلُه * وهَدَّ كُلَّ ما رامَ حَوْلُه * اَحْمَدُه حَمْدَ مُوَحِّدٍ مُسْلِمٍ * واَدْعُوه دُعاءَ مُؤَمِّلٍ مُسَلِّمٍ * وهو اللّهُ لا اِلهَ الاّ هو الواحِدُ الاَحَدُ * العادِلُ الصَّمَدُ * لا وَلَدَ له ولا والِدَ * ولا رِدْءَ معَه ولا مُساعِدَ * اَرْسَلَ مُحَمَّدًا للاِسْلامِ مُمَهِّدًا * وللمِلَّةِ مُوَطِّدًا * ولاَدِلَّةِ الرُّسُلِ مُؤَكِّدًا * وللاَسْوَدِ والاَحْمَرِ مُسَدِّدًا * وَصَلَ الاَرْحامَ * وعَلَّمَ الاَحْكامَ * ووَسَمَ الحَلالَ والحَرامَ * ورَسَمَ الاِحْلالَ والاِحْرامَ * كَرَّمَ اللّهُ مَحَلَّه * وكَمَّلَ الصَّلوٰةَ والسَّلامَ له * ورَحِمَ آلَهُ الكُرَماءَ * واَهْلَه الرُّحَماءَ * ما هَمَرْكَمٌ * وهَدَرَ حَمامٌ * وسَرَحَ سَوامٌ * وسَطَا حُسامٌ * اِعْمَلُوا رَحِمَكُمُ اللّهُ عَمَلَ الصُّلَحاءِ * واكْدَحُوا لِمَعادِكُم كَدْحَ الاَصِحّاءِ * وارْدَعُوا اَهْواءَكُم رَدْعَ الاَعْداءِ * واَعِدُّوا للرِّحْلةِ اِعْدادَ السُّعَداءِ * وادَّرِعُوا حُلَلَ الوَرَعِ *

وداوُوا عِلَلَ الطَّمَعِ * وسَوْوا اَوَدَ العَمَلِ * وعاصُوا وَساوِسَ الاَمَلِ * وصَوِّرُوا الاَوْهامَكم
حُؤُولَ الاَحْوالِ * وحُلولَ الاَهْوالِ * ومُساوَرَةَ الاَعْلالِ * ومُصارَعَةَ المالِ والآلِ * واَكْثِروا
الحِمامَ وسَكْرَةَ مَصْرَعِهِ * والرَّمْسَ وهَوْلَ مُطَّلَعِهِ * واللَّحْدَ ووَحْدَةَ مُودَعِهِ * والمَلَكَ
ورَوْعَةَ سُؤالِهِ ومَطْلَعِهِ * وانْمِحُوا الدَّهْرَ ولُؤْمَ كَرِّهِ * وسُوءَ مِحالِهِ ومَكْرِهِ * كَمْ طَمَسَ
مَعْلَمًا * وامَرَّ مَطْعَمًا * وطَحْطَحَ عَرَمْرَمًا * ودَمَّرَ مِلَكًا مُكَرَّمًا * دَمْدَمَ سَكَّ المَسامِعِ * وسَحَّ
المَدامِعِ * وأكْداءُ المَطامِعِ * وارْداءُ المُسْمِعِ والسَّامِعِ * عَمَّ حُكْمُهُ المُلوكَ والرَّعاعَ *
والمَسُودَ والمُطاعَ * والمَحْسودَ والحُسَّادَ * والاَساوِدَ والآسادَ * ما مَوَّلَ الاَمالَ * ومَكَّسَ
الآمالَ * ولا وَصَلَ الاَّ وصالَ * وكَلَمَ الاَوْصالَ * ولا سَرَّ الاَّ وساءَ * ولُؤْمَ واساءَ * ولا اَصَحَّ
الاَّ وَلَدَ الدّاءَ * ورَوَّعَ الاَوْداءَ * اللّٰهَ اللّٰهَ * رَعاكُمُ اللّٰهُ * الا مَ مُداوَمَةُ اللَّهْوِ * ومُواصَلَةُ
السَّهْوِ * وطُوَلُ الاِصْرارِ * وحَمْلُ الاَصارِ * واطِّراحُ كَلامِ الحُكَماءِ * ومُعاصاةُ اِلٰهِ السَّماءِ *
اَما الهَرَمُ حِصادُكم * والمَدَرُ مِهادُكم * اَما الحِمامُ مُدْرِكُكم * والصِّراطُ مَمْلَكُكم * اَما السّاعَةُ
مَوْعِدُكم * والسّاهِرَةُ مَوْرِدُكم * اَما اَهْوالُ الطّامَّةِ لَكُم مُوْصَدَةٌ * اَما دارُ الغُصاصَةِ الحُطَمَةُ
المُوْصَدَةُ * حارِسُهم مالِكٌ * ورُواءُهم حالِكٌ * وطَعامُهم السَّمومُ * وهَواءُهم السَّمومُ *
لا مالَ اَسْعَدَهم ولا وَلَدَ * ولا عَدَدَ حَماهم ولا عُدَدَ * اَلا رَحِمَ اللّٰهُ امْرَأً مَلَكَ هَواهُ * وأَمَّ
مَسالِكَ هُداهُ * واَحْكَمَ طاعَةَ مَوْلاهُ * وكَدَحَ لِرَوْحِ ماواهُ * وعَمِلَ ما دامَ العُمْرُ مُطاوِعًا *
والدَّهْرُ مُوادِعًا * والصِّحَّةُ كامِلَةٌ * والسَّلامَةُ حاصِلَةٌ * والاَّ دهى عَدَمُ المَرامِ * وحَصَرُ

الكلامِ * والمامُ الآلامِ * وحُمومُ الحِمامِ * وهُدُّ الحَواسِّ * ومِراسُ الاَرْماسِ * آهًا لها
حَسْرَةً لَها مُؤَكَّدٌ * وأَمَدُها سَرْمَدٌ * ومُمارِسُها مُكْمَدٌ * ما لِوَلِيِّهِ حاسِمٌ * ولا لِسَدَمِهِ راحِمٌ *
الا لَهُ مِمّا عَراهُ عاصِمٌ * اَلْهَمَكُمُ اللّٰهُ اَحْمَدَ الاِلْهامِ * ورَدَّ بِكُم رِداءَ الاِكْرامِ * واَحَلَّكم دارَ
السَّلامِ * واَسْاَلُهُ الرَّحْمَةَ لَكم ولِاَهْلِ مِلَّةِ الاِسْلامِ * وهو اَسْمَحُ الكِرامِ * والمُسَلِّمُ والسَّلامُ *
قال الحارثُ بن هَمّامٍ فلمّا رَأَيْتُ الخُطْبَةَ نُخْبَةً بلا سَقَطٍ * ومَرْوًا بغيرِ نُقَطٍ * دَعانِي
الإعْجابُ بنَمَطِها العَجيبِ * الى اسْتِجْلاءِ وَجْهِ الخَطيبِ * فاَخَذْتُ اَتَوَسَّمُهُ جِدًّا *
واُقَلِّبُ الطَّرْفَ فيهِ مُجِدًّا * الى اَنْ وَضَحَ لِي بِصِدْقِ العَلاماتِ * اَنَّهُ شَيْخُنا ذُو المَقاماتِ *
ولم يكن بُدٌّ من الصَّمْتِ * في ذلك الوقتِ * فاَمْسَكْتُ حتّى تَحَلَّلَ من النَّفْلِ والفَرْضِ *
وحَلَّ الانتشارُ في الاَرْضِ * ثُم واجَهْتُ تِلْقاءَهُ * وابْتَدَرْتُ لِقاءَهُ * فلمّا لَحَظَنِي خَفَّ
في القِيامِ * واَحْفى في الاِكْرامِ * ثُم اسْتَصْحَبَنِي الى دارِهِ * واَوْدَعَنِي خَصائِصَ اَسْرارِهِ *
وحِينَ انْتَشَرَ جَناحُ الظَّلامِ * وحانَ مِيقاتُ المَنامِ * اَحْضَرَ اَبارِيقَ المُدامِ * مَعْكومَةً
بالِغْدامِ * فقلتُ اَتَحْسُوها اَمامَ النَّوْمِ * وانتَ اِمامُ القَوْمِ * فقال مَهْ اَنا بالنَّهارِ
خَطيبٌ * وفي اللَّيْلِ اَطْيَبُ * فقلتُ واللهِ ما اَدْرِي اَعْجَبُ من تَسَلُّبِكَ من اُناسِكَ *
ومَسْقِطِ راسِكَ * اَمْ مِن خِطابَتِكَ مع اَدْناسِكَ * ومَدارِكاسِكَ * فاَشاحَ بِوَجْهِهِ
عَنِّي * ثُم قال اسْمَعْ مِنِّي *

نظم

لا تَبْكِ اِلْفًا نَأى ولا دارًا * ودُرْمِعِ الدَّهْرِ كَيْفَما دارا

واتخِذ النَّاسَ كلَّهم سكنًا * ومَثِّلِ الأرْضَ كُلَّها دارا

واصْبِرْ على خُلُقِ مَنْ تُعاشِرُهُ * ودارِهِ فاللَّبيبُ مَنْ دارا

ولا تُضِعْ فُرْصةَ السُّرورِ فما * تَدْرِي أيَوْمًا تَعِيشُ أمْ دارا

واعْلَمْ بأنَّ المَنُونَ جائِلةٌ * وقدْ أدارَتْ على الوَرَى دارا

واقْسَمْتُ لا تَزالُ قانِصةً * ماكَرَّ مَصْرُ المَحْيا وما دارا

فكيفَ تُرْجَى النَّجاةُ من شَرَكٍ * لم يَنْجُ منه كِسْرَى ولا دارا

قال فلمَّا اعْنَوَرَتْنا الكُؤُسُ * وطَرِبَتِ النُّفُوسُ * جَرَّعَنِي اليَمِينُ الغَمُوسَ * على انْ أحْفَظَ عليه النَّامُوسَ * فاتَّبعتُ مَرامَهُ * ورَعَيْتُ ذِمامَهُ * ونَزَّلْتُه بين المَلَا مَنْزِلةَ الفَضْلِ * وسَدَلْتُ الذَّيْلَ على مَخازِي اللَّيْلِ * ولم يَزَلْ ذلك دأْبَهُ ودَأْبِي * الى انْ تَهَيَّأَ إيابِي * فودَّعْتُهُ وهو مُصِرٌّ على التدليس * ومُسِرٌّ حَسْوَ الخَنْدَرِيس *

المقامة التاسعة والعشرون الواسطية

حكى الحارثُ بن هَمَّام * قال الجَانِي حُكْمُ دَهْرٍ فارِطٍ * الى انْ انْتَجَعَ أرْضَ واسِطٍ * تقَصَّدتُها وانا لا أعْرِفُ بها سَكَنًا * ولا أمْلِكُ فيها مَسْكَنًا * ولمَّا حَلَلْتُها حُلولَ الحُوتِ بالبَيْداء * والشَّعْرةِ البَيْضاء * في اللِّمَّةِ السَّوْداء * قادَنِي الحَظُّ الناقِصُ * والجَدُّ الناكِصُ * الى خانٍ يَنْزِلُهُ شُذَّاذُ الآفاقِ * وأخْلاطُ الرِّفاقِ * وهو لَنَظافةِ مَكانِه * وظَرافةِ سُكَّانِه * يُرَغِّبُ الغريبَ في إبْطانِه * ويُنْسِيهِ هَوَى أوْطانِه * فاسْتَغْرَبْتُ منه بحُجْرةٍ * ولم أُنَاقِشْ في أجْرةٍ * فما كان الا كَلَمْحِ طَرْفٍ * اوخَطْفِ

حَرْفٍ * حتَّى سَمِعتُ جارِيَ بَيْتَ بَيْتَ * يقولُ لنَزِيلِه في البَيْتِ * قُمْ يابُنَيَّ لا قَعَدَ جَدُّك * ولا قامَ ضِدُّكَ * واسْتَصْحِبْ ذا الوَجْهِ البَدْرِيِّ * واللَّوْنِ الدُّرِّيِّ * والأصْلِ النَّقِيِّ * والجِسْمِ الشَّقِيِّ * الَّذي قُبِضَ ونُشِرَ * وسُجِنَ وشُهِرَ * وسُقِيَ وفُطِمَ * وأُدْخِلَ النَّارَ بَعْدَ ما أُطْعِمَ * ثُمَّ ارْكُضْ الى السُّوقِ * رَكْضَ المَشُوقِ * فقَايِضْ به اللَّاقِحَ المُلْقِحَ * المُفْسِدَ المُصْلِحَ * المُكْمِدَ المُفْرِحَ * المُعْنِيَ المُرَوِّحَ * ذا الزَّفِيرِ المُحْرِقِ * والجَبِينِ المُشْرِقِ * واللَّفْظِ المُقْنِعِ * والنَّيْلِ المُمْتِعِ * الَّذي اذا طَرَقَ * رَعَدَ وبَرَقَ * وباحَ بالحُرَقِ * ونَفَثَ في الخِرَقِ * قال فلمَّا قَرَّتْ شَقْشِقةُ الهادِرِ * ولم يَبْقَ الا صَدْرُ الصادِرِ * نَزَوَتَنِي يَمِينُ * وما مَعَهُ أنِيسُ * فرأيتُها مُضِلَّةً تَلْعَبُ بالعُقولِ * وتُغْرِي بالدُّخولِ في الفُضولِ * فانطلقتُ في إثْرِ الغُلامِ * لأخْبُرَ فَحْوَى الكلامِ * فلم يَزَلْ يَسْعَى سَعْيَ العَفارِيتِ * ويَتَفَقَّدُ نَضائِدَ الحَوانِيتِ * حتَّى انتهى عندَ الرَّواحِ * الى حِجارةِ القَدَّاحِ * فتناوَلَ بائِعَها رَغِيفًا * وتَناوَلَ منه حَجَرًا لَطِيفًا * فعَجِبْتُ من فَطانةِ المُرْسِلِ والمُرْسَلِ * وعلِمْتُ أنَّها سَرَوِجِيَّةٌ وإنْ لم أسْئَلْ * وما كَذَبْتُ أنْ بادَرْتُ الى الخانِ * مُنْطَلِقَ العِنانِ * لا نَظْرُكُنَّهُ فَهْمِي * وهَلْ قَرْطَسَ في التَّكَهُّنِ سَهْمِي * فإذا انا في الفِراسةِ فارِسٌ * وأبُو زَيْدٍ بوَصِيدِ الخانِ جالِسٌ * فتَهادَيْنا بُشْرَى الالتقاءِ * وتَقارَضْنا تَحِيَّةَ الأصْدِقاءِ * ثُمَّ قال ما الَّذي نابَكَ * حتَّى زايَلَتْ جَنابَكَ * فقلتُ دَهْرٌ هاضَ * وجَوْرٌ فاضَ * فقال والَّذي أنْزَلَ المَطَرَ من الغَمامِ * وأخْرَجَ النَّمَرَ من الأكْمامِ * لقَدْ فَسَدَ الزَّمانُ * وعَمَّ العُدْوانُ * وعُدِمَ المِعْوانُ * واللَّهُ المُسْتَعانُ *

فكيف اَفلتّ * وعلى اَيّ وَصْفَيْكَ اَجفَلْتَ * فقُلْتُ اتّخذتُ اللّيلَ قَمِيصًا * واَدلَجْتُ
فيه خَمِيصًا * فاَطْرَقَ يَنْكُتُ فى الاَرض * ويُفكِّرُ فى ارتيادِ القَرض والقَرض * ثم اهتَزّهزّةَ من
اَكْتَبَه قَنَصٌ * اوبَدَتْ له فُرَصٌ * وقال قد عَلِقَ بقَلْبى اَن تُصاهِرَ من يا سُوجِراحَك * ويَرِيشُ
جَناحَك * فقلتُ وكيف اَجْمَعُ بين غُلٍّ وقُلّ * ومَنِ الّذى يَرْغَبُ فى ضُلِّ ابنِ ضُلٍّ * فقال
انا المُشِيرُ بك واليك * والوكيلُ لك وعليك * مع اَنّ دِيْنَ القومِ جَبْرُ الكسير * وفَكّ الاسير *
واحترامُ العشير * واستنصاحُ المُشير * الّا اَنّهم لو خطَبَ اليهم ابراهيمُ بنُ اَدْهَم * اوجَبلةُ
بنُ الاَيْهَم * لما زَوّجوه الاّ على خَمْسِ مائةِ دِرْهَم * اقتداءً بما مهَرَ الرسولُ صلعم زوجاته *
ومقدبه اَنْكِحَةَ بناته * على اَنّك لن تُطالَبَ بصداقٍ * ولن تُلجَاَ الى طَلاقٍ * ثم انّى
سَاَخْطُبُ فى مَوْقِفِ مَقْدِك * ومَجْمَعِ حَشْدِك * خُطْبةً لم تَفْتُقْ رَتْقَ سَمْعٍ * ولا خُطِبَ
بِمِثْلِها فى جَمْعٍ * قال الحارثُ بن همّام * فازْدَهانى بوَصْفِ الخُطْبةِ المَنْلُوّة * دُونَ الخطْبةِ
المَجْلُوّة * حتى قلتُ له قد وكّلْتُ اليك هٰذا الخَطْبَ * فدَبِّرْه تدبيرَ من طَبَّ لِمَنْ حَبَّ *
فنَهَضَ مُهَرْوِلًا * ثم عادَ مُتَهَلِّلًا * وقال اَبْشِرْ باِعْتابِ الدّهْرِ * واحتلابِ الدّرّ * فقد وُلِّيتُ
العَقْد * واُكْفِلْتُ النَّقد * وكانْ قَدْ * ثم اَخَذَ فى مُواعَدةِ اَهْلِ الخان * واِعْدادِ حَلْواءِ
الخِوان * فلمّا مَدّا لليلُ اَطْنابَه * واَغْلَقَ كُلَّ ذى بابٍ بابَه * اَذّنَ فى الجماعة *
اَلا اَحْضُرُوا فى هٰذهِ السّاعة * فلم يَبْقَ فيهم الّا من لَبّى صَوْتَه * وحضَرَ بَيْتَه * فلمّا اَطْقَوا
لَدَيْه * واجتمَعَ الشّاهِدُ والمشهودُ عليه * جعَلَ يَرْفَعُ الاَسْطُرْلابَ ويَضَعُه * ويَلْحَظُ

التقويمَ ويَدَعُه * الى اَنْ نَعَسَ القومُ * وغَشِىَ النومُ * فقلتُ له يا هٰذا ضَيَّعَ الفَاسَ
فى الراس * وخَلِّصِ الناسَ * فنَظَرَ نَظْرةً فى النّجوم * ثم انتَشَطَ من عُقْلةِ الوُجوم * واَقسَمَ
بالطّور * والكتابِ المسطور * لَيَنْكَشِفَنّ سِرُّ هٰذا الاَمْرِ المستور * ولَيَنْتَشِرَنّ ذِكْرُه الى
يومِ النّشور * ثم اِنّه جَثَى على رُكْبَتِه * واستَرْعَى الاَسْماعَ لخُطْبَتِه * وقال الحمدُ للّٰهِ المَلِكِ
المحمود * المالكِ الوَدود * مُصَوِّرِ كُلِّ مولودٍ * ومَآلِ كُلِّ مطرودٍ * ماطِحِ المِهاد *
ومُوَطِّدِ الاَطواد * ومُرْسِلِ الاَمْطار * ومُسَهِّلِ الاَوْطار * عالِمِ الاَسْرار ومُدْرِكِها * ومُدَمِّرِ
الاَملاكِ ومُهْلِكِها * ومُكَوِّرِ الدّهورِ ومُكَرِّرِها * ومُوْرِدِ الاُمورِ ومُصْدِرِها * عَمَّ سَماحُه وكَمَلَ *
وهَطَلَ رُكامُه وهَمَلَ * وطاوَعَ السّوْلَ والاَمَل * واَوْسَعَ المُرْمِلَ والاَرْمَل * اَحْمَدُه حَمْدَ امْمدودًا
مَداه * واُوَحِّدُه كما وَحَّدَه الاَوّاه * وهو اللّٰهُ لا اِلٰهَ للاُمَمِ سِواه * ولاصانِعَ لما مَدَّلَه وسَوّاه * اَرْسَلَ
مُحَمَّدًا عَلَمًا للاِسْلام * واِمامًا للحُكّام * ومُسَدِّدًا للرّعاع * ومُعَطِّلًا اَحْكامَ وُدٍّ وسُواع *
اَعْلَمَ وعَلَّمَ * وحَكَّمَ واَحْكَمَ * واَصّلَ الاُصولَ ومَهَّدَ * واَكّدَ الوُعودَ واَوْعَدَ * واَصْلَى اللّٰهُ له
الاِكْرامَ * واَوْدَعَ رُوحَه دارَ السّلام * ورَحِمَ آلَه واَهْلَه الكِرامَ * ما لَمَعَ آلٌ * ومَلَعَ رَألٌ *
وطَلَعَ هِلالٌ * وسَمِعَ واهِلٌ اِعْمَلوا رَعاكُمُ اللّٰهُ اَصْلَحَ الاَعْمال * واسْلُكوا مَسالِكَ الحَلال * واطّرِحوا
الحَرامَ ودَعُوه * واسْمَعُوا اَمْرَ اللّٰهِ ووَعْوُه * وصِلُوا الاَرحامَ ورَاعُوها * وعاصُوا الاَهْواءَ وارْدَعُوها *
وصَاهِرُوا الكُمَ الصّلاحِ والوَرَع * وصارِمُوا رَهْطَ اللّهْوِ والطَّمَع * ومُصاهِرُكم اَطْهَرُ الاَحْرارِ
مَوْلِدًا * واَسْراهم سُؤْدَدًا * واَحْلاهم مَوْرِدًا * واَصَحّهم مَوْعِدًا * وهاهُوَ اَمَمُكم * وحَلَّ

حَرَمكم * مُمْلِكَا مروسكم المُكَرَّمه * وما هِرًا لها كما مهَرَ الرَّسولُ اُمَّ سَلَمَة * وهو اكرم صِهْرٍ
اُودِعَ الاَوْلاَد * ومُلِّكَ ما اراد * وماسَها مُمْلِكُـه ولا وُهِمَ * ولا وُكِسَ مُلاحِمُه ولا وُصِمَ *
اَسْأَلُ اللّٰهَ لكم اِحْمادَ وِصالِه * ودَوامَ اِسْعادِه * واَلْهَمَ كُلًّا اِصْلاحَ حالِه * والاِمْدادَ لمَعادِه *
وله الحَمْدُ السَّرْمَد * والمَدْحُ لرَسُوْلِه مُحَمَّد * فلمّا فرَغَ من خُطْبَتِه البديعةِ النِّظام * العَرِيَّةِ
من الاِعْجام * عَقَدَ العَقْدَ على الخَمْسِ المِئِيْن * وقال بالرِّفاء والبَنِيْن * ثم اَحْضَرَ الحَلْواءَ
الَّتِي كان اَعَدَّها * وَاَبْدَى الآيِدَةَ عندها * فاَقْبلتُ اِقْبالَ الجَماعةِ عليها * وكِدتُّ اَهْوِي بيَدِي
اليها * فزجَرَنِي عن المُواكَلَة * وَاَنْهَضَنِي للمُناوَلَة * فوالله ما كان باَسْرَعَ من تصافُحِ
الاَجْفان * حَتَّى خَرَّ القومُ للاَذْقان * فلمّا رأَيتُهم كَاَعْجازِ نَخْلٍ خاوِيَةٍ * اوصَرْمَى بِنْتٍ
خابِيَةٍ * عَلِمْتُ اَنَّها اِحْدَى الكُبَر * واُمُّ الغَبَـر * فقلتُ له يا مُدَّى نَفْسِه * ومُبِيدَ فَلْسِه *
اَاَمْدَدتَّ للقَوْم حَلْوى * اَمْ بَلْوى * فقال لم اُعِدَّ الا خَبِيْصَ البَنِج * في صِحافِ الخَلَنْج *
فقلتُ اُقْسِمُ بمَنْ اَطْلَعَهـا زَهْرًا * وهَدَى بها السَّارِيْنَ طُرًّا * لقد جِئْتَ شَيْأً نُكْرًا * وَاَبْقَيْتَ
لك فى المُخْزِياتِ ذِكْرًا * ثم جِرْتُ فِكْرَةً في صَيُّوْرَامْرِه * وخِيفَةً من عَدْوَى مَرِّه * حتَّى
طارَتْ نَفْسِي شَعَاعًا * واُرْعِدَتْ فَرائِصِي ارتياعًا * فلمّا رأَى اسْتِطارَةَ قَرَقِي * واسْتِشاطَةَ
قَلَقِي * قال ماهٰذا الفِكْرُ المُرْمِض * والرَّوْعُ المُوْمِض * فاِنْ يَكُنْ فِكْرُك فى اَجْلِي * من اَجْلِي *
فانا الآنَ اَرْتَعُ وَاَطْفِرُ * واُفْوِي مِنِّي هٰذِهِ البُقْعَةَ واُقْفِرُ * وكم مِثْلِها فارقتُها وهي تَصْفِرُ * واِنْ يَكُن
نَظَرًا لنَفْسِك * وحَذَرًا من حَبْسِك * فتَنَاوَلْ فُضالةَ الخَبِيْص * وطِبْ نَفْسًا من القَمِيْص *

حتى تَأْمَنَ المُسْتَعْدِيَ والمُعْدِي * ويَتَمَهَّدَ لك المُقامُ بَعْدِي * والاَّ فالمَفَرُّ المَفَرُّ * قَبْلَ ان تُسْحَبَ
وتُجَرَّ * ثم مَدَّ لا ستخراج ما فى البُيوب * من الاَكْياسِ والتُّخوتُ * وجعَلَ يَسْتَخْلِصُ
خالِصَةَ كُلِّ مخزونٍ * ونُخْبَةَ كُلِّ مذروعٍ وموزونٍ * حَتَّى غادَرَ ما الغاهُ فَجَّه * كعَظْمٍ اسْتُخْرِجَ
مُخُّه * فلمَّا هَمَّ ما اصطفاهُ وَرَزَمَ * وشَمَّرَ عن ذِراعَيْه وتَحَزَّمَ * اَقْبَلَ على اِقْبالَ مَنْ لَبِسَ
الصَّفاقَة * وخَلَعَ الصَّداقَة * وقال هَلْ لك فى المُصاحَبَةِ الى البَطِيْحَة * لاَصِلَك باُخْرَى
مَلِيْحَة * فاَقْسَمتُ له بالَّذى جَعَلَه مُبارَكًا اَيْنَما كان * ولم يَجْعَلْه مِمَّنْ خانَ في خان *
اِنَّه لا قِبَلَ لِي بنِكاحِ حُرَّتَيْن * ومُعاشَرةِ ضَرَّتَيْن * ثم قُلْتُ له قَـوْلَ المُنْطَبِعِ بطِباعِه *
الكائِلِ له بِصاعِه * قد كَفَتْنِي الاُولى فَخْرًا * فاَطْلُبْ آخَرَ لاُخْرى * فتَبَسَّمَ من كَلامِي *
ودَلَفَ لالتزامِي * فلَوَيْتُ عنه عِذارِي * واَبْدَيتُ له ازْوِرارِي * فلمَّا بَصُرَ
بانقباضِي * وتجلَّى له اِعْراضِي * اَنْشَدَ *

نظم

يا صارِفًا عَنِّي المَوَدَّةَ والزمانُ له صُرُوفْ
ومُعَنِّفِي فى فَضْحِ مَنْ * جاوَرْتُ تعنيفَ العَسُوفْ
لا تَلْحَنِي فيما اَتَيْتُ فاِنَّنِي بِهِمُ عَرُوفْ
ولقد نَزَلْتُ بهِمْ فلَمْ * اَرَهُمْ يُراعُوْنَ الضُّيُوفْ
وبَلَوْتُهم فوَجَدتُّهُمْ * لمَّا سَبَكْتُهُمُ زُيُوفْ
ما فِيْهِمُ اِلَّا مُخِيْفٌ اِنْ تَمَكَّنَ او مَخُوفْ

لا بالصفي ولا الوفي ولا الحفي ولا العطوف

فوثبت فيهم وثبة الذئب الضري على الخروف

وتركتهم صرعى كأنهم سقوا كاس الحتوف

وتحكمت فيما اقتنوه يدي وهم رغم الانوف

ثم انثنيت بمغنم * حلو المجاني والقطوف

ولطالما خلفت مكلوم * م الحشا خلفي يطوف

وتركت ارباب الارائك والدرانك والسجوف

ولكم بلغت بحيلتي * ما ليس يبلغ بالسيوف

ووقفت في هول تراع الاسد فيه من الوقوف

ولكم سفكت ولكم فتكت ولكم هتكت حمى انوف

وكم ارتكاض موبق * لي في الذنوب وكم خفوف

لكنني اعددت حسن الظن بالمولى الرؤوف

قال فلما انتهى الى هذا البيت لج في الاستبار * والظ بالاستغفار * حتى استمال رضا قلبي المنحرف * ورجوت له ما يرجى للمقترف المعترف * ثم انه غيض دمعه المنهل * وتأبط جرابه وانسل * وقال لابنه احتمل الباقي * والله الواقي * قال المخبر بهذه الحكاية * فلما رأيت انسياب الحية والحية * وانتهاء الداء الى الكية *

علمت ان تربثي بالخان * مجلبة للهوان * فضممت رحيلي * وجمعت للرحلة ذيلي *

وبت ليلتي اسري الى الطنب * واحتسب الله على الخطيب *

المقامة الثلثون الصورية

حكى الحارث بن همام قال ارتحلت من مدينة المنصور * الى بلدة صور * فلما حصلت بها ذا رفعة وخفض * ومالك رفع وخفض * تقت الى مصر توقان السقيم الى الاساة * والكريم الى المواساة * فرفضت علائق الاستقامة * ونفضت موائق الاقامة * واعروريت ظهر ابن النعامة * واجفلت نحوها اجفال النعامة * فلما دخلتها بعد معاناة الاين * ومداناة الحنين * كلفت بها كلف النشوان بالاصطباح * والحيران بتنفس الصباح * فبينما انا يوما بها اطوف * وتحتي فرس قطوف * اذ رأيت على جرد من من الخيل * مصبة كمصابيح الليل * فسألت لانتجاع النزهة * من العصبة والوجهة * فقيل اما القوم فشهود * واما المقصد فاملاك مشهود * فحدثني ميعة النشاط * على ان سرت مع القراط * لافوز بحلاوة اللقاط * واحوز حلواء السماط * فافضينا بعد مكابدة العناء * الى دار رفيعة البناء * وسيعة الفناء * تشهد لبانيها بالثراء والسناء * فلما نزلنا من صهوات الخيول * قدمنا الاقدام للدخول * رأيت دهليزها مجللا باطمار مخرقة * ومكللا بمحارف معلقة * وهناك شخص على قطيفة * فوق دكة لطيفة * فرابني عنوان الصحيفة * ومرأى هذه الطريقة * ودعاني النظير بتلك المناحس *

الى اَنْ عَمَدتُ لذلك الجالِس * فعزَمْتُ عليه بمُصَرِّفِ الاَقدار * لِيُعَرِّفَنِي مَنْ رَبُّ
هٰذه الدَّار * فقال ما لها مالِكٌ مُعَيَّنٌ * ولا صاحِبٌ مُبَيَّنٌ * انما هو مِصْطَبَةُ المُقِيمِين *
والمَدْرُوزِين * ووليجةُ المُشْقِيمِين * والمُجْلُوزِين * فقُلْتُ في نَفْسِي اِنَّا لِلّٰه على ضِلَّةِ المَسْعى *
واِمْحالِ المَرْعى * وهَمَمْتُ في الحال بالرُّجْعى * لكِنِّي استَهْجَنتُ العَوْدَ من فَوْرِي *
والقَهْقَرةَ دُونَ غَيْرِي * فولَجْتُ الدَّارَ مُتَحَرِّعًا الغُصَصَ * كما يَلِجُ العُصْفُورُ القَفَصَ *
فاذا فيها اَرائِكُ منقوشةٌ * وطَنافِسُ مفروشةٌ * ونَمارِقُ مصفوفةٌ * وسُجُوفٌ مرصوفةٌ *
وقد اَقبَلَ المَلِكُ يَمِيسُ في بُرْدَتِه * ويَتَهَنَّسُ بين حَفَدَتِه * فحين جَلَسَ كانَّه ابنُ
ماءِ السَّماءِ * نادى مُنادٍ من قِبَلِ الاَحْماءِ * وحُرْمةِ ساسانَ اُسْتاذِ الاُسْتاذِين *
وقُدوةِ الشَّحّازِين * لاعقدَ هٰذا العَقْدَ المُبَجَّل * في هٰذا اليَوْمِ الاَغَرِّ المُحَجَّل * الّا الَّذي
جالَ وجابَ * وشَبَّ في الكُدْية وشابَ * فاَعْجَبَ رَهْطَ الصِّهْرِ ما اَشارُوا اليه * وآذَنوا
في اِحْضارِ المنصوص عليه * فبَرَزَ حينئذٍ شيخٌ قد اَمالَ المَلَوان قامَتَه * ونَوَّرَ الفَتَيان
ثِغامَتَه * فتباشَرتِ الجماعةُ باقْبالِه * وتبادَرَتْ الى استقبالِه * فلمّا جلَسَ على زِرْبِيَّتِه *
وسكَنَتِ الضَّوْضاءُ لهَيْبَتِه * ازدَلَفَ الى مَسْنَدِه * ومسَحَ سَبَلَتَهُ بيَدِه * ثُمَّ قال الحَمْدُ للهِ
المُبْتَدِي بالاِفْضال * المُبْتَدِعِ للنَّوال * المُتَقَرِّبِ اليه بالسُّؤال * المؤَمِّلِ لتحقيقِ الآمال *
الذي شرعَ الزَّكوٰةَ في الاَمْوال * وزَجَرَ من نَهرِ السَّوال * وندَبَ الى مُواساةِ المُضْطَرّ *
وآمَرَ باطْعامِ القانِعِ والمُعْتَرّ * ووصَفَ عِبادَه المُقَرَّبِين * في كِتابِه المُبِين * فقال وهو اَصْدَقُ

القائِلِين * والَّذِين في اَمْوالِهم حَقٌّ معلوم * للسَّائِلِ والمحروم * اَحْمَدُه على ما رزَقَ من طُعْمةٍ
هَنِيَّة * واَعُوذُ به من استماعِ دَعْوةٍ بلانِيَّة * واَشْهَدُ اَن لا اِلٰهَ اِلّا اللهُ وَحْدَه * لا شريكَ له *
اِلٰهٌ يَجْزِي المُتَصَدِّقِين والمُتَصَدِّقات * ويَمْحَقُ الرِّبْوٰا ويُرْبِي الصَّدَقات * واَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُه الرحيم * ورَسولُه الكريم * اِبْتَعَثَه لِيَنْسَخَ الظُّلْمَةَ بالضِّياء * ويَنْتَصِفَ للفُقَراءِ من
الاَغْنِياء * فرفَقَ صلى اللهُ عليه وسلَّم بالمِسْكين * وخَفَضَ جَناحَه للمُسْتَكِين * وفَرَضَ الحُقوقَ
في اَمْوالِ المُثْرِين * وبَيَّنَ ما يَجِبُ للمُقِلِّين على المُكْثِرِين * صلَّى اللهُ عليه صلوةً تُحْظِيه
بالزُّلْفَة * وعلى اَصْفِيائِه اَهْلِ الصُّفَّة * اما بعدُ فاِنَّ اللهَ تعالى شرَعَ النِّكاحَ لِتَعَفَّفُوا * وسَنَّ
التَّناسُلَ لكَيْ تَتَضامَفُوا * فقال سُبْحانَه لِتَعْرِفُوه * يا اَيُّها النّاسُ اِنّا خَلَقْناكم مِنْ ذَكَرٍ واُنْثى *
وجَعَلْناكم شُعُوبًا وقَبائِلَ لِتَعارَفُوا * وهٰذا اَبُو الدَّرّاج * ولّاجُ بنُ خَرّاج * ذُو الوَجْهِ الوَقاح *
والاِفْكِ الصُّراح * والهِرِيرِ والصِّياح * والاِبْرامِ والاِلْحاح * يَخْطُبُ سَلِيطةَ اَهْلِها * وشَرِيطةَ
بَعْلِها * قُنْبَس * بِنْتَ اَبي العَنْبَس * لِما بَلَغَه من التحافِها بالحافِها * واِسْرافِها في اِسْفافِها *
وانكماشِها على مَعاشِها * وانتعاشِها عند هَراشِها * وقد بَذَلَ لها من الصَّداق شَلّاً قاوُعَكّازًا *
وصِقاعًا وكُرّازًا * فانْكِحُوه اِنْكاحَ مِثْلِه * وصِلُوا حَبْلَكم بحَبْلِه * واِنْ خِفْتُم عَيْلَةً فسَوْفَ
يُغْنِيكُمُ اللهُ من فَضْلِه * اَقُولُ قَوْلِي هٰذا واَسْتَغْفِرُ اللهَ العظيمَ لِي ولكم * واَسْاَلُه اَن يُكْثِرَ
في المَصاطِبِ نَسْلَكم * ويَحْرُسَ من المَعاطِبِ شَمْلَكم * فلمّا فرَغَ الشيخُ من خُطْبَتِه * وابْرَمَ
للخَتْنِ عَقْدَ خِطْبَتِه * تساقَطَ من النُّثار * ما استَغْرَقَ حَدَّ الاِكْثار * واَغْرى الشحيحَ بالاِيثار *

ثم نهض الشيخ يسحب ذلاذله * ويقدم اراذله * قال الحارث بن همام فتبعته لانظر
عرجة القوم * واكمل بهجة اليوم * فعاج بهم الى سماط زينته طهاته * وتناصفت
فى الحسن جهاته * فحين ربع كل شخص فى ربضه * وطفق يرتع فى روضته * انسللت
من الصف * وفررت من الزحف * فحانت من الشيخ لفتة الى * ونظرة هجم بها طرفه
على * فقال الى اين يا برم * هلا عاشرت معاشرة من فيه كرم * فقلت والذى خلقها طباقا *
وطبقها اشراقا * لا ذقت لماقا * ولا لمست رقاقا * او تخبرنى اين مذب صباك * ومن
اين مهب صباك * فتنفس الصعداء مرارا * وارسل البكاء مدرارا * حتى اذا
استنزف الدمع * واستنصت الجمع * قال لى ارعنى السمع *

نظم

مسقط الراس سروج * وبها كنت اموج
بلدة يوجد فيها * كل شئ ويروج
ورد ها من سلسبيل * وصحاريها مروج
وبنوها ومغانيهم نجوم وبروج
حبذا نفحة ريا * ها ومرآها البهيج
وازاهير ربا ها * حين تنجاب الثلوج
من رآها قال مرسى * جنة الدنيا سروج
ولمن ينزاح عنها * زفرات ونشيج

مثل ما لاقيت مذ زخزحنى منها العلوج
عبرة تهمى وشجو * كلما قر يهيج
وهموم كل يوم * خطبها خطب مريج
ومساع فى الترجى * فاصرات الخطو موج
ليت يومى حم لما * حم لى منها الخروج

قال فلما بين بلده * ووعيت ما انشده * ايقنت انه علا متنا ابو زيد *
وان كان الهرم قد اوثقه بقيد * فبادرت الى مصافحته * واغتنمت
مواكلته من صحفته * وظلت مدة مقامى بمصر اعشو الى شواظه *
واحشو صدفتى من درر الفاظه * الى ان نعب بيننا غراب
البين * ففارقته مفارقة الجفن للعين *

قد استتب طبع هذا المجلد الاول من المقامات
الحريرية محتويا على ثلثين مقامات
* من جملة خمسين *
* حكايات *

---

*
**

المقامة الحادية والثلثون الرمليه

حدث الحارث بن همّام قال كُنْت فى عُنفوانِ الشّباب * ورَيْعانِ العَيْشِ اللّباب * اَقْلِى الاكتئابَ بالغاب * وَاَهْوَى الاندلاقَ من القِراب * لعِلْمِى اَنَّ السَّفَرَ * يَنْفِجُ السُّفَرَ * ويُنْتِجُ الظَّفَر * ومُعاقَرةُ الوَطَن * تَعْقِرُ الفِطَن * وتَحْقِرُ مَنْ قَطَن * فاَجَلْتُ قِداحَ الاستشارة * واقتدَحْتُ زِنادَ الاستخارة * ثُمّ اَسْتَجَشْتُ جاشًا اَثْبَتَ من الحِجارة * واَصْعَدْتُ الى ساحِلِ الشام للتِّجارة * فلمّا خَيَّمْتُ بالرَّمْلة * واَلْقَيْتُ بها عَصا الرِّحْلة * صادَفْتُ بها رَكّابًا تُعِدُّ للسُّرى * ورِحالًا تُشَدُّ الى اُمِّ القُرى * فعَصَفَتْ بى رِيحُ الغَرام * واهتاجَ لِى شَوْقٌ الى البَيْتِ الحَرام * فزَمَمْتُ ناقَتِى * ونَبَذْتُ مُلَقِّى ومُلاقَتِى *

نظم

وقلتُ لِلائِمِى اَقْصِرْ فاِنّى * سَاَخْتارُ المَقامَ على المَقام
واُنْفِقُ ما جَمَعْتُ بِاَرْضِ جَمْعٍ * واَسْلُو بالحَطيم عن الحُطام

ثُم انتَظَمْتُ مع رُفْقةٍ كنُجومِ اللَّيْل * لهم فى السَّيْرِ جَرْيَةُ السَّيْل * والى الخَيْرِ جَرْىُ الخَيْل * فلم نَزَلْ بين اِدْلاجٍ وتأويبٍ * واِيجافٍ وتَقْريبٍ * الى اَنْ حَبَتْنا اَيْدِى المَطايا بالتُّحْفة * فى اِيصالِنا الى الجُحْفة * فحَلَلْناها مُتَاَهِّبِيْن للاِحْرام * مُتَباشِرِيْن باِدْراكِ المَرام * فلم يَكُ الّا اَنْ اَنَخْنا الرَّكائِب * وحَطَطْنا الحَقائِب * حتى طَلَعَ علينا من بَيْنِ الهِضاب * شَخْصٌ ضاحِى الاِهاب * وهو يُنادِى * يا اَهْلَ ذا النّادِى * هَلُمّ الى ما يُنْجِى يَوْمَ التَّنادِى * فانْحَطَّ اليه الحَجِيجُ وانصَلَتُوا * واحتَفُّوا به وانْصَتُوا * فلمّا رَاَى تَاَثُّفَهم حَوْلَه *

واستعظامهم قوله * تسنم احدى الآكام * ثم تشمخ مستفتحا للكلام * وقال يا معشر الحجاج *
الناسلين من الفجاج * اتعقلون ما تواجهون * والى من تتوجهون * ام تدرون على
من تقدمون * وعلام تقدمون * اتحالون ان الحج هو اختيار الرواحل * وقطع المراحل *
واتخاذ المحامل * وايقار الزوامل * ام تظنون ان النسك هو نضو الاردان * وانضاء
الابدان * ومغارفة الولدان * والتنائى عن البلدان * كلا والله بل هو اجتناب الخطية *
قبل اجتلاب المطية * واخلاص النية * فى قصد تلك البنية * وامحاض الطاعة * عند
وجدان الاستطاعة * واصلاح المعاملات * امام اعمال اليعملات * فوالذى شرع المناسك *
للناسك * وارشد السالك * فى الليل الحالك * ما ينقى الاغتسال بالذنوب *
من الانغماس فى الذنوب * ولا تعدل تعرية الاجسام * بتعبية الاجرام * ولا تغنى لبسة
الاحرام * من الملبس بالحرام * ولا ينفع الاضطباع بالازار * مع الاضطلاع بالاوزار *
ولا يجدى التقرب بالحلق * مع التقلب فى ظلم الخلق * ولا يرخص التنسك بالتقصير *
دون التمسك بالتقصير * ولا يسعد بعرفة * غير اهل المعرفة * ولا يزكو بالخيف * من يرغب
فى الحيف * ولا يشهد المقام الالمن استقام * ولا يحظى بقبول الحجة * من زاغ من المحجة *
فرحم الله امرأ صفا * قبل مسعاه الى الصفا * وورد شريعة الرضا * قبل شروعه على الاضا *
ونزع من تلبيسه * قبل نزع ملبوسه * وفاض بمعروفه * قبل الافاضة من تعريفه *
ثم رفع عقيرته بصوت اسمع الصم * وكاد يزعزع الجبال الشم * وانشد نظم

ما الحج سيرك تاويبا وادلاجا * ولا اغتيامك اجمالا واحداجا
الحج ان تقصد البيت الحرام على * تجريدك الحج لا تقضى به حاجا
وتمتطى كاهل الانصاف متخذا * رد ع الهوى هاديا والحق منهاجا
وان تواسى ما اوتيت مقدرة * من مد كفا الى جدواك محتاجا
فهذه ان حوتها حجة كملت * وان خلا الحج منها كان اخداجا
حسب المرائين خبنا انهم غرسوا * وما جنوا ولقوا كدا واوزاجا
وانهم حرموا اجرا ومحمدة * والحموا عرضهم من غاب اوهاجا
اخى فابغ بما تبديه من قرب * وجه المهيمن ولاجا وخراجا
فليس تخفى على الرحمن خافية * ان اخلص العبد فى الطاعات اوداجا
وبادر الموت بالحسنى تقدمها * فما ينهنه داعى الموت ان فاجا
واقن التواضع خلقا لا تزايله * عنك الليالى ولو البسنك التاجا
ولا تشم كل خال لاح بارقه * ولو ترا أى هتون الكثب ثجاجا
ما كل داع باهل ان يصاخ له * كم قد اصم بنعى بعض من ناجا
وما اللبيب سوى من بات مقتنعا * ببلغة يدرج الايام ادراجا
فكل كثر الى قل مغبته * وكل نازل لين وان هاجا

قال الراوى فلما القح مقام الافهام * بسحر الكلام * استروحت ريح ابى زيد * وما دبى

الارتياحُ اليه اَىّ مَيْدٍ * فمكثْتُ حتّى اسْنومَبَ نَثَّ حِكْمَتِه * وانحدرَ من اَكَمَتِه *
ثم دَلفْتُ اليه لاَتصفّحَ صَفَحاتِ مُحَيَّاه * واَسْتَشِفَّ جَوْهَرَحُلاه * فاِذا هو الضّالّةُ الّتى
اَنْشُدُها * وناظِمُ الفَلائِدِ التى اَنْشَدَها * فعانَقْتُه عِناقَ اللاّمِ للاَلِف * ونَزَّلْتُه مَنزِلةَ البُرْءِ مِنَ
الدّنَف * وسَاَلْتُه اَن يُلازِمَنِى فاَبى * اَو يُزامِلَنِى فنَبا * وقال اَلَبْتُ فى حِجّتِى هٰذِه
اَنْ لاَ اَحْتقِبَ * ولاَ اَعْتقِبَ * ولاَ اَكْتسِبَ * ولاَ اَنْتسِبَ * ولاَ اَرْتفِقَ * ولاَ اُرافِقَ * ولاَ اُوافِقَ *
مَن يُنافِقَ * ثُم ذهَبَ يُهَرْوِل * وغادَرَنِى اُوَلْوِل * فلم اَزَلْ اَقْرِيهِ نَظَرِى * واَوَدُّ لو يَمْشِى على
ناظرِى * حتّى تَوَسَّلَ اَحَدُ الاَطْواد * ووَقَفَ للحَجِيجِ بالمِرْصاد * فحِينَ شاهَدَ اِيضاعَ الرُّكْبان *
فى الكُثْبان * وقَعَ بالبَنان * على البَنان * واندفَعَ يُنْشِدُ *

نظم

لَيْسَ مَنْ زارَ راكِبًا * مِثْلَ ماشٍ على القَدَمْ
لا ولا خادِمٌ اَطاعَ كعاصٍ من المَخْدَمْ
كَيْفَ يا قَوْمِ يَسْتوِى * سَعْىُ بانٍ ومَنْ هَدَمْ
سَيُقِيمُ المُفَرِّطُونَ غَدًا مَاتَمًا لِلنَّدَمْ
ويقولُ الَّذِى تَقَرَّبَ طُوبى لِمَنْ خَدَمْ
وَيْكِ يا نَفْسِ قَدِّمِى * صالِحًا مِنْ ذِى القِدَمْ
وازْدَرِى زُخْرُفَ الحَيٰوةِ فوَجْدانُه عَدَمْ
واذْكُرِى مَصْرَعَ الحِما * مِ اذا خَطْبُه صَدَمْ

وانْدُبِى فِعْلَكِ القَبِيحَ وسُحِّى له بِدَمْ
وادْبُغِيه بتَوْبةٍ * قَبْلَ اَن يَحْلَمَ الاَدَمْ
فعَسَى اللّهُ اَنْ يُقِيلَكِ السَّعِيرَ الَّذِى احْتَدَمْ
يَوْمَ لا عَثْرَةٌ تُقالُ * ولا يَنْفَعُ السَّدَمْ

ثم اِنَّه اَعْمَدَ عَضْبَ لِسانِه * وانطَلَقَ لِشَأْنِه * فما زِلْتُ فى كُلِّ مَوْرِدٍ نَرِدُه * ومُعَرَّسٍ
نَتَوَسَّدُه * اَتَفَقَّدُه فاَفْتَقِدُه * واَسْتَنْجِدُ بمن يَنْشُدُه فلا يَجِدُه * حتّى خِلْتُ اَنَّ الجِنَّ
اختطَفَتْه * والاَرْضَ اقْتَطَعَتْه * فما كابَدْتُّ فى الغُرْبةِ * كهٰذِه الكُرْبةِ * ولا مُنِيتُّ
فى سَفْرةٍ * بِمِثْلِها من زَفْرةٍ *

المقامة الثانية والثلثون الحربية

حكى الحارث بن هَمّام * قال اَجْمَعْتُ حين قَضَيْتُ مناسِكَ الحَجِّ * واَقَمْتُ وظائِفَ
العَجِّ والثَّجِّ * اَنْ اَقْصِدَ طَيْبةَ * مع رُفْقةٍ من بَنِى شَيْبةَ * لاَزُورَ قَبْرَ المُصْطفى * واَخْرُجَ من
قَبِيلِ مَنْ حَجَّ وجَفا * فارْجِفَ باَنَّ المَسالِكَ شاغِرةٌ * وعَرَبُ الحَرَمَيْنِ مُتناجِرةٌ *
فحِرْتُ بَيْنَ اِشْفاقٍ يُثَبِّطُنِى * واَشْواقٍ يُنَشِّطُنِى * الى اَنْ اُلْقِىَ فى رُوْمِى الاستسلام *
وتغليبُ زِيارةِ قَبْرِه عليه السَّلام * فاَعْنَمْتُ القُعْدةَ * واَعْدَدْتُّ العُدّةَ * وسِرْتُ والرِّفْقةَ *
لا تَلْوِى على مُرْجةٍ * ولا تَنِى فى تاوِيبٍ ولا دُلْجةٍ * حتى وافَيْنا بَنِى حَرْبٍ * وقد
آبُوا من حَرْبٍ * فاَزْمَعْنا اَن نُقَضِّىَ ظِلَّ اليَوْم * فى حِلَّةِ القَوْم * وبَيْنَما نَحْنُ نَتَخَيَّرُ

المناخ * ونرودُ الوِردَ النُّفاخ * اذ رأَيْناهم يَرْكُضُون * كأنّهم الى نَصْبٍ يُوفِضُون *
فرابَنا انثيالُهم * وسألْناما بالُهم * فقيل قد حضَرَ نادِيَهم فقيهُ العَرَب * فاهْراعُهم لهذا السَّبَب *
فقلتُ لرُفقتى ألا نَشْهَدُ مَجْمَعَ الحَىّ * لنتبيّنَ الرُّشْدَ من الغَىّ * فقالوا لقد اسْمَعْتَ
اذ دَعَوْتَ * ونصَحْتَ وما آلَوتَ * ثم نَهَضْنا نَتَّبِعُ الهادِى * ونؤُمُّ النادِى * حتّى اذا اطْلَلْنا
عليه * واستَشْرَفْنا الفقيهَ المنهُودَ اليه * الفَيْتُه ابازيدَ ذا الشَّعَر والبُقَر * والفَواقِر والفِقَر * وقد
امَّ القُفَداء * واشتَمَلَ الصَّمّاء * وقعَدَ القُرْفُصاء * وأَمْيانُ الحَىِّ به مُحْتَفُّون * واخْلاطُهم
عليه مُلْتَفُّون * وهو يقولُ سَلُونى من المُعْضِلات * واستَوْضِحُوا مِنّى المُشْكِلات * فوالّذى
فَطَرَ السماء * وعلَّمَ آدَمَ الاسماء * إنّى لَفقيهُ العَرَبِ العَرْباء * وأَعْلَمُ مَنْ تَحْتَ
الخَضْراء * فصَمَدَ له فَتًى فتيقُ اللِّسان * جَرِىُّ الجَنان * وقال إنّى حاضَرْتُ فُقَهاءَ
الدُّنيا * حتّى انْتَخَلْتُ منهم مائةَ فُتْيا * فان كُنْتَ مِمَّنْ يَرْغَبُ عن بَنات غَيْرٍ *
ويَرْغَبُ مِنّا فى مَيْرٍ * فاسْمَعْ واجِبْ * لنُقابَلَ بما يَجِب * فقال اللّهُ أكْبَرُ * سَيَبِينُ المَخْبَرُ *
ويَنْكَشِفُ المُضْمَرُ * فاضْدَعْ بما تُؤْمَرُ *

قال ما تقولُ فيمَنْ تَوَضَّأَ ثم لَمَسَ ظَهْرَ نَعْلِه * قال انتقَضَ وُضوءُه بفَعْلِه * النَّعْلُ الزَّوْجَةُ *
قال فإنْ تَوَضَّأَ ثم اتّكَأَ * البَرْدُ * قال يُجَدِّدُ الوُضوءَ من بَعْدُ * البَرْدُ النَّوْمُ * قال أيَمْسَحُ
المُتَوَضِّئُ انْثَيَيْه * قال قد نُدِبَ اليه ولَمْ يَجِبْ عليه * الأُنْثَيانِ الأُذُنان * قال أيَجوزُ
الوُضوءُ مِمّا يَقْذِفُه الثُّعْبان * قال وهَلْ أنْظَفُ منه للعُرْبان * الثُّعْبانُ جمعُ ثَعْبٍ وهو

مَسْبَلُ الوادِى * قال أيُسْتباحُ ماءُ الضَّرير * قال نَعَمْ ويُجْتَنَبُ ماءُ البصير * الضَّريرُ
حَرْفُ الوادِى والبصيرُ الكَلْبُ * قال أيَحِلُّ الطَّوْفُ فى الرَّبيع * قال يُكْرَهُ ذلك للحَدَث
الشَّنيع * الطَّوْفُ التَغوُّطُ والرَّبيعُ النَهْرُ الصغير * قال ايَجِبُ الغُسْلُ على مَنْ امْنى * قال لا ولَوْ تَنَّى *
امْنى نَزَلَ مِنّى * يُقالُ مِنْه مَنَى وأَمْنَى وامتنى * قال فهَلْ يَجِبُ على الجُنُبِ غَسْلُ فَرْوَتِه *
قال أجَلْ وغَسْلُ إبرَتِه * الفَروةُ جِلْدُ الراس والإبرَةُ عَظْمُ المَرْفِق * قال فإنْ أخَلَّ بغَسْلِ فأسِه *
قال هو كما لَوْ ألغَى غَسْلَ رأسِه * الفأسُ العَظْمُ المُشْرِفُ على نُقْرَةِ القَفا * قال ما تقولُ فيمَنْ
تَيَمَّمَ ثُمَّ رأَى رَوْضا * قال بَطَلَ تيمُّمُه فلْيَتَوَضَّأ * الرَّوْضُ ههُنا جَمْعُ رَوْضَةٍ وهى
الصَّبابَةُ تَبْقى في الحَوْض * قال أيَجوزُ ان يَسْجُدَ الرَّجُلُ فى العَذِرة * قال نَعَمْ وليُجانِبِ
القَذِرَةَ * العَذِرةُ فِناءُ الدّار * قال فهَلْ له السُّجودُ على الخِلاف * قال لا ولا على أحَدِ
الأطْراف * الخِلافُ الكُمُّ * قال فإنْ سَجَدَ على شِمالِه * قال لا بَأْسَ بفَعالِه * الشِّمالُ
جمعُ شَمْلَةٍ * قال فهل يَجوزُ السُّجودُ على الكُراع * قال نَعَمْ دُونَ الذِّراع * الكُراعُ
ما استطالَ من الحُرَّة * قال أيُصَلّى على رامِسِ الكَلْب * قال نَعَمْ كسائرِ الهَضْب *
رامِسُ الكَلْبِ تَنِيَّةٌ معروفةٌ * قال ما تقولُ فيمَنْ صَلّى وعانَتُه بارِزَةٌ * قال صلوتُه
جائزةٌ * العانَةُ الجَماعةُ من حُمُرِ الوَحْش * قال فإنْ صَلّى وعليه صَوْمٌ * قال يُعيدُ
ولو صَلّى مائةَ يوم * الصَّوْمُ ذَرْقُ النَّعام * قال فان حَمَلَ جِرْوًا وصَلّى * قال هو كما لو
حَمَلَ بالِغًا * الجِرْوُ الصِّغارُ من القِثّاء والرُّمّان * قال أتَصِحُّ صلوةُ حامِلِ القَرْوة *

قال لا ولو صلّى فوق المروة * القروة مبلغة الكلب * قال فان نظر على ثوب المصلّى
نجو * قال يمضي في صلوته ولا غرو * النجو السحاب الذى فد هراق ماءه * قال
أيجوز ان يؤمّ الرجال مقنّع * قال نعم ومدرّع * المقنّع لابس المغفر والمدرّع لابس
الدرع * قال فان امّهم من في يده وقف * قال يعيدون ولو انّهم الف * الوقف
السوار من العاج او الذبل * واراد به انه لا يجوز للرجال الا يتمام بالنساء * قال
فان امّهم من فخذه بادية * قال صلوته وصلوتهم ماضية * الفخذ العشيرة وبادية
يسكنون البدو واختار بعضهم تسكين الخاء من هذه الفخذ ليحصل الفرق بينها وبين
الفخذ من الاعضاء * قال فان امّهم الثور الاجم * قال صلّ وخلاك ذمّ * الثور السيّد
والاجمّ الذى لا رمح معه * قال ايدخل العصر في صلوة الشاهد * قال لا والغائب
الشاهد * صلوة الشاهد صلوة المغرب سمّيت بذلك لاقامتها عند طلوع النجم لان النجم
يسمّى الشاهد * قال ايجوز للمعذور ان يفطر في شهر رمضان * قال ما رخّص فيه الا
للصبيان * المعذور المختون وهو ايضا المعذر * قال فهل للمعرس ان ياكل فيه * قال نعم
بملأ فيه * المعرس المسافر الذى ينزل * في آخر ليلة ليستريح ثم يرتحل * قال فان افطر فيه
العراة * قال لا تنكر عليهم الولاة * العراة الذين تاخذهم العرواء * وهى الحمّى برمدة * قال
فان اكل الصائم بعد ما اصبح * قال هو احوط له واصلح * اصبح اى استصبح بالمصباح * قال
فان عمد لان اكل ليلا * قال ليشمر للقضاء ذيلا * الليل الانثى من فراخ الحبارى على

ما ذكره ابن دريد وقيل هو ولد الكروان والنهار ولد الحبارى * قال فان اكل قبل ان
تتوارى البيضاء * قال يلزمه والله القضاء * البيضاء من اسماء الشمس * قال فان
استثار الصائم الكيد * قال افطر ومن احلّ الصيد * الكيد القيء واستثاره استدعاه *
قال له ان يفطر بالحاجم الطابخ * قال نعم لا بطاهي المطابخ * الطابخ الحمّى
الصالب * قال فان ضحكت المرأة في صومها * قال بطل صوم يومها * ضحكت
ههنا اى حاضت ومنه قوله تعالى فضحكت فبشّرناها باسحاق * قال فان ظهر
الجدرى على ضرّتها * قال تفطر ان آذن بمضرتها * الضرّة اصل الابهام واصل
الثدى ايضا * قال ما يجب في مائة مصباح * قال حقّتان ياصاح * المصباح الناقة
التى تصبح في المبرك * قال فان ملك عشر خناجر * قال يخرج شاتين ولا يشاجر *
الخناجر النوق الغزار واحدتها خنجر وخنجور * قال فان سمح للساعى بحميمته *
قال يا بشرى له يوم قيامته * الساعى جابي الصدقة والحميمة خيار المال * قال
أيستحقّ حملة الاوزار من الزكوة جزاء * قال نعم اذا كانوا غزّى * الاوزار السلاح
وغزّى جمع غاز * قال أيجوز للحاجّ ان يعتمر * قال لا ولا ان يختمر * الاعتمار لبس
العمارة وهي العمامة * والاختمار لبس الخمار * قال فهل له ان يقتل الشجاع * قال
نعم كما يقتل السباع * الشجاع الحيّة * قال فان قتل زمّارة في الحرم * قال عليه بدنة
من النعم * الزمّارة النعامة واسم صوتها الزمار * قال فان رمى ساق حرفجد له * قال

يُخرج شاة بدله * ساق حُرّ ذكر القمارى * قال فان قتل أُمّ عوف بعد الاحرام *
قال يتصدّق بقبضة من طعام * أُمّ عوف الجرادة * قال أيجب على الحاجّ استصحاب
القارب * قال نعم ليسوقهم الى المشارب * الحاجّ اسمٌ للجمع والواحد والقاربُ
طالبُ الماء بالليل * قال ما تقولُ فى الحرام بعد السبت * قال قد حلّ فى ذلك الوقت *
الحرامُ المُحرِمُ والسبتُ حلقُ الرأس وحلّ من تحليل الحجّ * قال ما تقول فى بيع الكُمَيت * قال
حرامٌ كبيع الميت * الكُمَيتُ الخمرُ * قال أيجوز بيعُ الحلّ بلحم الجمل * قال لا ولا بلحم الحمل *
الحلّ ابنُ المخاض ولا يحلّ بيعُ اللحم بالحيوان سواءٌ كان من جنسه او من غير جنسه *
قال أيحلّ بيعُ الهديّة * قال لا ولا بيعُ السبيّة * الهديّةُ بالتشديد ما يُهدى الى الكعبة ويقال
فيها هَدْيَةٌ بتسكين الدال وتخفيف الياء والسبيّةُ الخمرُ * قال ما تقولُ فى بيع العقيقة *
قال محظورٌ على الحقيقة * العقيقةُ ما يُذبح عن المولود فى اليوم السابع من ولادته *
قال أيجوز بيعُ الدامى على الرامى * قال لا ولا على السامى * الدامى بقيّةُ اللبن فى الضرع
والسامى جابى الصدقة * قال أبيعُ الصقرُ بالتمر * قال لا ومالكِ الخلق والأمر *
الصقرُ الدبس * قال أيشترى المسلمُ سلبَ المسلمات * قال نعم ويورثُ منه اذا مات *
السلبُ لحاءُ الشجر وهو ايضًا خوصُ الثمام * قال فهل يجوز ان يبتاعُ الشافع * قال
ما لجوازه من دافع * الشافعُ الشاةُ التى معها سخلُها * قال أبيعُ الابريقُ على
بنى الأصفر * قال يُكرهُ كبيع المِغفر * الابريقُ السيفُ الصقيلُ الكثيرُ الماء وبنو الأصفر الرومُ *

قال أيجوز ان يبيعَ الرجلُ صيفيّه * قال لا ولكن ليبع صفيّه * الصيفيّ الولدُ على الكبر *
والصفىّ الناقةُ الغزيرةُ الدرّ * قال فان اشترى عبدًا فبان بأمّه جراحٌ * قال ما فى ردّه
جُناحٌ * الأمّ مُجتمعُ الدماغ * قال أتثبتُ الشفعةُ للشريك فى الصحراء * قال لا ولا
للشريك فى الصفراء * الصحراءُ الأتانُ التى تمازجُ بياضها غبرةٌ * قال أيحلّ ان يُحمى
ماءُ البئر والخلا * قال ان كانا فى الفلا فلا * يُحمى يمنعُ والخلا الكلأ * قال ما تقولُ فى ميتة
الكافر * قال حِلٌّ للمقيم والمسافر * الكافرُ البحرُ وميتتُه السمكُ الطافى فوق مائه * قال أيجوزُ
ان يُضحّى بالحُول * قال هو أجدرُ بالقبول * الحُولُ جمعُ حائلٍ * قال فهل يُضحّى
بالطالق * قال نعم ويُقرى منها الطارق * الطالقُ الناقةُ تُرسَلُ ترعى حيثُ شاءتْ * قال
فان ضحّى قبل ظهور الغزالة * قال شاةٌ لحم بلا محالة * الغزالةُ الشمسُ * وقال بعضهم يقال
طلعتِ الغزالةُ ولا يقال غربتْ * قال أيحلّ الكسبُ بالطُّرق * قال هو كالقمار بلا فرق *
الطُّرقُ الضربُ بالحصى وهو من أفعال الكهنة * قال أيسلّمُ القائمُ على القاعد * قال محظورٌ فيما
بين الأيامد * القاعدُ التى قعدتْ من الحيض ومن الأزواج * قال أينامُ العاقلُ تحت
الرقيع * قال أخيبٌ به فى البقيع * الرقيعُ السماء وعنى بالبقيع بقيعَ المدينة * قال أيُمنعُ
الذمّىُّ من قتل العجوز * قال معارضتُه فى العجوز لا تجوز * العجوزُ الخمرُ وقتلُها مزجُها *
قال أيجوزُ ان ينتقلَ الرجلُ من عمارة أبيه * قال ما جُوّز لحامل ولا نبيه * العمارة
القبيلة * قال ما تقولُ فى التهوّد * قال هو مفتاحُ التزهّد * التهوّد التوبةُ ومنه قولُه تعالى إنّا هُدْنا

اليك * قال ما تقولُ في صَبْرِ البَلِّيَة * قال اَعْظِم به من خَطِيَّة * الصَّبْـرُ الحَبْس والبَلِيَّةُ
الناقةُ تُحبَس عند قَبْرِ صاحِبِها فلا تُسْقى ولا تُعْلَفُ الى اَن تموتَ وكانت الجاهِلِيَّةُ تَزْعَمُ
اَن صاحبها يُحْشَرُ عليها * قال اَيَحِلُّ ضَرْبُ السفير * قال نَعَمْ والحملُ على المُسْتَشِيرِ * السَّفِيرُ
ما تَسافَطَ من وَرَقِ الشَّجَرِ والمُسْتَشِيرُ الجَمَلُ السَّمين وهو ايضًا الجَمَلُ الذى يَعْرِفُ اللاقِحَ
من الحائل * قال اَيُعَزِّرُ الرجُلُ اَباهُ * قال يَفْعلُهُ البَرُّ ولا يابَاهُ * التعزير التعظيم والنُصرة *
قال ما تقـولُ فيمن اَفقرَ اخاهُ * قال حَبَّذا ما تَوَخَّاهُ * اَفقرَ اعارَهُ ناقةً يركَبُ فَقارَها *
قال فاِن اَعرى وَلَدَهُ * قال يا حُسْنَ ما اعتمَدَهُ * اَعراهُ اَعْطاهُ ثَمَرَةَ نَخْلِهِ عامًا * قال فاِنْ
اَصْلى مملوكَهُ النَّارَ * قال لا اِثْمَ عليه ولا عارَ * المملوكُ العجينُ الذى قد اُجِيدَ عَجْنُهُ
حَتَّى قَوِىَ * قال اَيجوزُ للمَرْأةِ اَنْ تَصْرِمَ بَعْلَها * قال ما حظرَ اَحدُ فِعْلَها * البَعْلُ النَخْلُ
الذى يَشْرَبُ بعُرُوقِهِ من الاَرْض * قال فهَلْ تُؤَدَّبُ المَرْأةُ على الخَجَل * قال اجَـلْ *
الخَجَلُ سُوءُ احتمالِ الغِنى ومنه قولـه عليه السلام للنِّساء اِنَّكُنَّ اذا جُعْتُنَّ
دَفِعْتُـنَّ واذا شَبِعْتُـنَّ خَجِلْتُنَّ * قال ما تقولُ فيمن نَحَتَ اَثْلَةَ اَخِيهِ * قال اَثِمَ
ولوَاذِنَ له فيه * نَحَتَ اَثْلَتَه اذا افتاتَ به وقدَحَ في عِرْضِه * قال اَيَحْجُرُ الحاكِمُ على صاحِبِ
الثَّور * قال نَعَمْ ليأمَنَ غائلةَ الجَوْرِ * الثَّورُ المَجْنونُ * قال فهَلْ له اَنْ يَضْرِبَ على يَدِ اليتيم *
قال نَعَمْ الى ان يَرْشُدَ ويَسْتَقيمَ * يقال ضَرَبَ على يَدِهِ اذا حَجَرَ عليه * قال فهل يجوزُ اَن
يَتَّخِذَ له رَبَضًا * قال لا ولو كان له رِضًا * الرَّبَضُ الزوجةُ * قال فمتى يَبِيعُ بَدَنَ السَّفيه *

قال حين يَرى له الحَظَّ فيه * البَدَنُ الدِّرْعُ القصيرةُ * قال فهَلْ يجوزُ اَنْ يَبْتاعَ له حَشًا *
قال نَعَمْ اذا لم يَكُنْ مُغْشًى * الحَشُّ النَخْلُ المُجْتَمِعُ * قال اَيَجوزُ اَن يكونَ الحاكِمُ ظالِمًا *
قال نَعَمْ اذا كان عالِمًا * الظالِمُ الذى يَشْرَبُ اللَّبَنَ قبلَ اَن يَرُوبَ ويُخْرِجَ زُبْدَهُ * قال
اَيُسْتَقْضى من لَيْسَتْ له بصيرةٌ * قال نَعَمْ اذا حَسُنَتْ منه السيرةُ * البصيرةُ هُهُنا التُرْسُ *
قال فاِن تَعرَّى من العَقْل * قال ذاك عُنوانُ الفَضْل * العَقْـلُ ضَرْبٌ من الوَشْى *
قال فاِن كانَ له زَهْوٌ جَبَّار * قال لا اِنكارَ ولا اِكْبارَ * الزَّهْوُ البُسْرُ المُلَوِّنُ والجَبَّارُ النَخْلُ
الذى فاتَ اليدَ والقامةَ من النَخْلِ ضِدُّها * قال اَيَجوزُ اَن يكونَ الشاهِدُ مُرِيبًا * قال
نَعَمْ اذا كان اَرِيبًا * المُرِيبُ الذى يَكْثُرُ عنده اللَّبَنُ الرائِب * قال فاِنْ بانَ اَنَّهُ لاطَ *
قال هو كما لوخاطَ * لاطَ الحَوْضَ اذا طَيَّنَهُ * قال فاِن عُثِرَ على اَنَّهُ فَرْبَل * قال تُرَدُّ شهادتُهُ
ولا تُقْبَل * فَرْبَلَ اى قَتَلَ ومنه قولُ الراجز * تَرى المُلوكَ حَوْلَه مُغَرْبَلَهْ * قال فاِن وَضَحَ
اَنَّه مائِنٌ * قال هو وَصْفٌ له زائِنٌ * المائِنُ هُهُنا الذى يَعُولُ ويُكْفى المَؤُونَةَ مِنْ مانَ
يَمُونُ * قال ما يَجِبُ على مايِدِ الحَقّ * قال يُحَلَّفُ بالِهِ الخَلْق * العايِدُ هُهُنا الجاحِدُ والحَقُّ
الدَّيْنُ * قال ما تقولُ فى مَنْ فَقَأَ عَيْنَ بُلْبُلٍ صامِدًا * قال تُفْقَأُ عَيْنُه قولًا واحدًا * البُلْبُلُ
الرَّجُلُ الخفيف * قال فاِن جَرَحَ قَطاةَ اَمرأةٍ فماتَتْ * قال النَّفْسُ بالنَفْس اِذا فاتَتْ * القَطاةُ
ما بَيْنَ الوَرِكَيْن * قال فاِن اَلْقَتِ الحامِلُ حشيشًا من ضَرْبِهِ * قال لِيُكَفِّرْ بالِاعْتاقِ من ذَنْبِه *
الحشيشُ الجنينُ المُلْقى مَيِّتًا * قال ما يَجِبُ على المُخْتَفى في الشَّرْع * قال القَطْعُ لِاقامةِ

الرَّدْع * المُختفِي نَبَّاش القبور * قال فإنْ سرَقَ ثميناً من ذَهَب * قال لا قطْعَ كما لو غَصَبَ * الثمينُ الثَّمن كما يُقالُ فى النِّصْف نصيفٌ وفى السُّدْس سديسٌ * قال فإن بانَ على المَرأةِ السَّرَق * قال لا حرَجَ عليها ولا فَرق * السَّرَقُ الحريرُ الأبيضُ * قال أيَنْعقِدُ نِكاحٌ لم تَشْهَدْه القَوارِى * قال لا والمحاقِ البارِى * القَوارِى الشُّهودُ لأنَّهم يَقْرُون الأشْياءَ اى يَتتبَّعونَها * قال ما تقولُ في عَرُوسٍ باتَتْ بلَيْلةٍ حُرَّةٍ * ثم رُدَّتْ في حافرتِها بُسْحرةٍ * قال يَجِبُ لها نِصْفُ الصَّداق * ولا تَلْزَمُها مِدَّةُ الطَّلاق * يُقال باتَتِ العَروسُ بلَيْلةٍ حُرَّةٍ اذا امتَنَعتْ على زَوْجِها فان افتَضَّها قيلَ باتَتْ بلَيْلةٍ شَيْباءَ والرَّدُّ فى الحافِرة بمعنى الرُّجوع فى الطَّريق الأوَّل وكَنَى به عن طَلاقِها ورَدِّها الى أهْلِها * فقال له السائلُ للهِ دَرُّكَ من بَحْرٍ لا يُغْضِنُه الماتِحُ * وحِبْرٍ لا يَبْلُغُ مَدْحَه المادِحُ * ثم أطْرَقَ إطْراقَ الحَيِيّ * وأرَمَّ إرْمامَ العَيِيّ * فقال له ابو زيدٍ إيهٍ يا فتى * فإلى مَنى وإلى مَنى * فقال إنَّه لم يَبْقَ في كِنانَتِى مِرْماةٌ * ولا بَعْدَ إشْراقِ صُبْحِك مُماراةٌ * فباللهِ أيُّ ابْنِ أرْضٍ أنتَ * فما أحْسَنَ ما أبَنْتَ * فأنْشَدَ بلِسانٍ ذَلِقٍ * وصَوْتٍ صَهْصَلِقٍ * نظم

أنا فى العالَمِ مُثْلَه * ولا هلِ العِلْمِ قِبْلَه
غَيْرَ أنِّى كُلَّ يَوْمٍ * بَيْنَ تعريسٍ ورِحْلَه
والغريبُ الدارِ لَوْ حَلَّ بطُوبَى لم تَطِبْ له

ثم قال اللَّهُمَّ كما جَعَلْتَنا مِمَّنْ هُدِىَ ويَهْدِى * فاجْعَلْهُم مِمَّنْ يَهْتَدِي ويُهْدِى * فساقَ

اليه القَوْمُ ذَوْدًا مع قَيْنة * وسألُوه أن يَزُورَهم القَيْنة بَعْدَ القَيْنة * فنهَضَ يُمَنِّيهِم العَوْد * ويُزَجِّى الأمة والذَّوْد * قال الحارثُ بن هَمَّام فاعترَضْتُه وقلتُ له مَهْدِى بك سفيهًا * فمتى صِرْتَ فقيهًا * فظَلَّ هُنَيَّةً يَجُول * ثم أنشأ يقول * نظم

لَبِسْتُ لكُلِّ زَمانٍ لَبُوسا * ولا بِسْتُ صَرْفَيْهِ نُعْمى وبُؤْسا
وعاشَرْتُ كُلَّ جليسٍ بما * يُلائِمُه لا رُوقَ الجليسا
فعِنْدَ الرَّواةِ أُدِيرُ الكَلامَ * وبَيْنَ السُّقاةِ أُدِيرُ الكُؤُسا
وطَوْرًا بوَعْظِى أُسِيلُ الدُّموعَ * وطَوْرًا بلَهْوِى أَسُرُّ النُّفوسا
وآفِرِى المَسامِعَ إمَّا نَطَقْتُ * بَيانًا يَقُودُ الحَرونَ الشَّمُوسا
وإنْ شِئْتُ أرْمِقُ كَفِّى اليَراعَ * فساقَطُ دُرًّا يُحَلِّى الطُّرُوسا
وكَمْ مُشْكِلاتٍ حَكَيْنَ السُّها * خَفاءً فصِرْنَ بكَشْفِى شُمُوسا
وكَمْ مُلِحٍّ لى خَلَبْنَ العُقولَ * وأسْأَرْنَ في كُلِّ قَلْبٍ رَسِيسا
وعَذْراءَ فُهْتُ بها فانْثَنى * عليها الثَّناءُ طَليقًا حَبِيسا
على أنَّنى من زَمانِى خُصِصْتُ * بكَيْدٍ ولا كَيْدَ فِرْعَونَ مُوسى
يُسَعِّرُ لِى كُلَّ يومٍ وَغًى * أُطَأْمِنُ لَظاها وطِيسًا وطِيسا
ويَطْرُقُنِى بالخُطوبِ التى * يُذِبْنَ القُوى ويُشِبْنَ الرُّؤسا
ويُدْنِى الىَّ البعيدَ البغيضَ * ويُبْعِدُ عَنِّى القَرِيبَ الأنِيسا

ولو لا خساسة اخلاقه * لما كان حظى منه خسيسا

فقلت له خفض الاحزان * ولا تلم الزمان * واشكر لمن تفلك من مذهب ابليس * الى مذهب ابن ادريس * فقال دع الهتار * ولا تهتك الاستار * وانهض بنا لنضرب * الى مسجد يثرب * فعسى ان نرحض بالمزار * درن الاوزار * فقلت هيهات ان اسير * او افتنه التفسير * فقال تالله لقد اوجبت ذمما * وطلبت اذ طلبت اثما * فهاك ما يشفي النفس * وينفي اللبس * قال فلما اوضح لي المعمى * وكشف عني العمى * شددنا الاكوار * وسرت وسار * ولم ازل من مسامرته * مدة مسايرته * فيما انساني طعم المشقة * ووددت معه بعد الشقة * حتى اذا دخلنا مدينة الرسول * وفزنا من الزيارة بالسئول * اشأم واعرقت * وغرب وشرقت *

المقامة الثالثة والثلثون التغليسية

اخبر الحارث بن همام * قال ما هدت الله تعالى مذ يفعت * ان لا اوخر الصلوة ما استطعت * فكنت مع جوب الفلوات * ولهو الخلوات * اراعي اوقات الصلوات * واحاذر من مأتم القوات * واذا رافقت في رحلة * او حللت بحلة * مرحبت بصوت الداعي اليها * واقتديت بمن يحافظ عليها * فاتفق حين دخلت تفليس * ان صليت مع عصبة مفاليس * فلما قضينا الصلوة * وازمعنا الانفلات * برز شيخ بادي اللقوة * بالي الكسوة والقوة * فقال عزمت على من خلق من طينة الحرية * وتفوق درة العصبية * الا

ما تكلف لي لبتة * واستمع مني نفثة * ثم له الخيار من بعد * وبيده البذل والرد * فعقد له القوم الحبا * ورموا امثال الربا * فلما انس حسن انصاتهم * ورزانة حصاتهم * قال يا اولي الابصار الرامقة * والبصائر الرائقة * اما يغني من الخبر العيان * وينبيء من النار الدخان * شيب لائح * وضعف بائح * ووهن فادح * وداء واضح * والباطن فاضح * ولقد كنت والله ممن ملك ومال * وولي وآل * ورفد ونال * ووصل وصال * فلم تزل الجوائح تسحت * والنوائب تنحت * حتى الوكر قفر * والكف صفر * والشعار رضر * والعيش مر * والصبية يتضاعون من الطوى * ويتمنون مصاصة النوى * ولم اقم هذا المقام الشائن * واكشف لكم الدفائن * الا بعد ما شقيت ولقيت * وشبت مما لقيت * فليتني لم اكن بقيت * ثم تاوه تاوه الاسيف * وانشد بصوت ضعيف *

نظم

اشكو الى الرحمن سبحانه * تقلب الدهر وعدوانه
وحادثات قرعت مروتي * وقوضت مجدي وبنيانه
واهتصرت مودي ويا ويل من * تهتصر الاحداث اغصانه
وامحلت ربعي حتى جلت * من ربعي المحل جرذانه
وغادرتني حائرا بائرا * اكابد الفقر واشجانه
من بعد ما كنت اخا ثروة * يسحب في النعمة اردانه
يختبط العافون او فاه * ويحمد السارون نيرانه

فَاصْبَحَ اليومَ كأنْ لم يَكُن * اَعانَهُ الدَّهْرُ الَّذِى عانَهُ

وازورَّ مَن كانَ له زائِرًا * وعافَ ما فِى العُرْفِ عِرْفانَهُ

فَهَل فَتىً يَحْزُنُهُ ما يَرى * من ضُرِّ شيخٍ دَهْرُهُ خانَهُ

فيَفرِجَ الهَمَّ الَّذِى هَمَّهُ * ويُصْلِحَ الشَّانَ الَّذِى شانَهُ

قال الراوى فصَبَتِ الجماعةُ الى اَن تَسْتَبِنَه * لِتَسْتَنْجِشَ خُبْأَتَه * وتَسْتَنْفِضَ حَقِيبَتَه * فقالَتْ له قد عَرَفْنا قَدْرَ زَنتِك * ورَأَيْنا دَرَّ مُزْنَتِك * فعَرِّفْنا دَوْحَةَ شُعْبَتِك * واحْسِرِ اللِّثامَ من نِسْبَتِك * فاَعْرِضَ اِعْراضَ مَنْ مُنِىَ بالاِمْتِناتِ * او بُشِّرَ بالبَنات * وجعَلَ يَلْعَنُ الضَّرورات * ويَتأَفَّفُ من تَغَيُّضِ المُرُوَّات * ثم اَنْشَد بلفظٍ صادِعٍ * وجَرْسٍ خادِعٍ *

نظم

لَعَمْرُكَ ما كُلُّ فَرْعٍ يَدُلُّ جَناهُ اللَّذِيذُ على اَصْلِهِ

فكُلْ ما حَلا حِينَ تُؤْتى بهِ * ولا تَسْأَلِ الشَّهْدَ من نَحْلِهِ

ومَيِّزْ اذا ما اعتَصَرْتَ الكُرومَ * سُلافَةَ عَصْرِك من خَلِّهِ

لِتُغْلِىَ وتُرْخِصَ من خِبْرَةٍ * وتَشْرِىَ كُلًّا شِرى مِثْلِهِ

فَعارٌ على القَطِنِ اللَّوذَعِىِّ * دُخولُ الغَمِيزَةِ فى عَقْلِهِ

قال فاَزْدَهى القومَ بذَكائِه ودَهائِه * واختَلَبَهم بحُسنِ اَدائِه مع دائِه * حتّى جَمَعُوا له خَبايا الضَّبن * وخَفايا الثَّبن * وقالوا له يا هذا اِنَّك حُمْتَ على رَكِيَّةٍ بَكِيَّةٍ * وتَعَرَّضْتَ

لِخَلِيَّةٍ خَلِيَّةٍ * فَخُذْ هٰذِهِ الصَّبابَةَ * وهَبْها لا خَطَأَ ولا اِصابَةَ * فنَزَّلَ قُلَّهم مَنْزِلَةَ الكُثْرِ * ووَصَلَ قَبولَه بالشُّكْرِ * ثم تَوَلَّى يَجُرُّ شِقَّه * ويَنْهَبُ بالخَبَطِ طُرُقَه * قال المُخْبِرُ بهٰذِهِ الحِكايَة * فصُوِّرَ لى اَنَّه مُحِيلٌ لِحِلْيَتِه * مُتَصَنِّعٌ فى مِشْيَتِه * فنَهَضْتُ اَنْهَجُ مِنْهاجَه * واَقْفُو اِدْراجَه * وهو يَلْحَظُنى شَزَرًا * ويُوسِعُنى هَجْرًا * حتّى اِذا خَلا الطريقُ * واَمْكَنَ التحقيقُ * نَظَرَ الَىَّ نَظَرَ مَن هَشَّ وبَشَّ * وماحَضَ بعدَ ما غَشَّ * وقال اِنّي لاَخالُكَ اَخا غُرْبَةٍ * ورائِدَ صُحْبَةٍ * فَهَل لك في رَفيقٍ يَرْفُقُ بك ويُرْفِق * ويَنْفُقُ عليك ويُنْفِقُ * فقلتُ له لَوْ اَتاني هٰذا الرفيقُ * لَوَاتانِى التوفيقُ * فقال لي قد وَجَدتَ فاغْتَبِطْ * واستَكْرَمتَ فارْتَبِطْ * ثم ضَحِكَ مَلِيًّا * وتَمَثَّلَ لى بَشَرًا سَوِيًّا * فاذا هو شَيْخُنا السَّرُوجِىُّ لا قَلْبَةَ بجِسْمِه * ولا شُبْهَةَ في وَسْمِه * فَفَرِحْتُ بلُقْيَتِه * وكَذِبِ لَقْوَتِه * وهَمَمْتُ بمَلامَتِه على سُوءِ مَقامَتِه * فَشَحَا فاهُ * واَنْشَدَ قبلَ اَنْ اَنْحاهُ *

نظم

ظَهَرْتُ بِرَيْثٍ لكَيْما يُقالُ * فَقَيَّدَ بُزَجِّى الزَّمانَ المُزَجَّى

واَظْهَرْتُ للناسِ اَنْ قد فَلَجْتُ * فكم نالَ قَلْبِى به ما تَرَجَّى

ولَوْلا الرَّغائِثُ لم يُرْثَ لى * ولولا التَّغالُجُ لم اَلْقَ فُلْجا

ثم قال اِنه لم يَبْقَ بهذه الارضِ مَرْتَعٌ * ولا في اَهْلِها مَطْمَعٌ * فاِنْ كنتَ الرفيقَ * فالطريقَ الطريقَ * فَسِرْنا منها مُتَجَرِّدَيْنِ * ورافَقْتُه مامَيْنِ اَجْرَدَيْنِ * وكُنتَ على اَنْ اَصْحَبَه ما مِشْتُ * فاَبَى الدَّهْرُ المُشِتُّ *

المقامة الرابعة والثلثون الزبيدية

حكى الحارث بن همّام * قال لمّا جُبْتُ البِيْدَ * الى زَبِيْدَ * صَحِبَنِى غُلامٌ كنتُ رَبَّيْتُه
الى اَنْ بلَغَ اَشُدَّه * وثَقَّفْتُه حتّى اَكْمَلَ رُشْدَه * وكان قد اَنِسَ باَخْلاقِى * وخَبَرَ مَجالِبَ
وِفاقِى * فلم يَكُن يتخطّى مَرامِي * ولا يُخْطِئُ فى المَرامِى * لاجَرَمَ اَنَّ قُرْبَه اِلىّ لاطَتْ
بصَفْوِي * واَخْلَصْتُه لِحَضَرِى وسَفَرِى * فآلْوى به الدَّهْرُ المُبِيْد * حين ضَمَّتْنا زَبِيد * فلمّا
شالَتْ نَعامَتُه * وسكَنَتْ نامَتُه * بَقِيْتُ عامًا * لا اُسِيغُ طَعامًا * ولا اُرِيغُ مَنامًا * حتّى
اَلْجَأَتْنِى شَوائِبُ الوَحْدة * ومَتاعِبُ القَوْمةِ والقَعْدة * الى اَنْ اَغْماضَ عن الدُّرِّ
الخَرَز * واَرْتادَ مَنْ هو سِدادٌ مِنْ عَوَز * فقصدتُّ مِن يَبِيْعُ العبيد * بسُوقِ زَبِيْد * وقلتُ
اُرِيْدُ عَبْدًا يُعْجِبُ اذا قُلِّبَ * ويُحْمَدُ اذا جُرِّبَ * وَلْيَكُنْ مِمَّن خَرَّجَه الاَكْياسُ * واَخْرَجَه
الى السُّوق الافلاسُ * فاهْتَزَّ كُلٌّ منهم لِمَطْلَبِي ووَثَب * وبَذَلَ تحصيلَه من كَثَب *
ثُم دارتِ الاَهِلَّةُ دَوْرَها * وتَقَلَّبَتْ كَوْرَها وحَوْرَها * ومَا نَجَزَ من وُعُودِهم وَعْدُه * ولا سَحَّ
لها رَعْدُه * فلمّا رَأَيتُ النَّجاسِيْن * نامِيْنَ او مُتناسِيْن * عَلِمْتُ اَنْ لَيْسَ كُلُّ مَن خَلَقَ
يَفْرِى * واَن لن يُحَكَّ جِلْدِى مِثْلَ ظُفْرِى * فرَفَضْتُ مَذْهَبَ التفويض * وبَرَزْتُ
الى السُّوقِ بالصَّفْوِ والبِيْض * فانّى لَاَسْتعرِضُ الغِلْمانَ * واَسْتَعْرِفُ الاَثْمان * اِذْ
عارَضَنِي رَجُلٌ قد اِخْتَطَمَ بِلِثامِ * وقبَضَ على زَنْدِ غُلامٍ * وقال *

نظم

مَنْ يَشْتَرِى مِنّى غُلامًا صَنَعا * فِي خَلْقِهِ وخُلْقِهِ قد بَرَعا

بكُلِّ ما نُطْتَ به مُضْطَلِعا * يَشْفِيكَ اِنْ قال واِنْ قُلْتَ وَعَى
واِنْ تُصِبْكَ عَثْرَةٌ يُقُلْ لَعا * واِنْ تَسُمْهُ السَّعْىَ فى النارِ سَعَى
واِنْ تُصاحِبْه ولو يومًا رَعَى * واِنْ تُقَنِّعْه بِظِلْفٍ قَنَعا
هو على الكَيْسِ الَّذى قد جُمِعا * ما فاهَ قَطُّ كاذِبًا ولا ادَّعَى
ولا اَجابَ مَطْمَعًا حِيْنَ دَعا * ولا استجازَ نَتْنَ سِرٍّ اَوْدَعا
وطالَما اَبْدَعَ فيما صَنَعا * وفاقَ فى النَّثْرِ وفى النَّظْمِ مَعا
واللّٰهِ لَوْلا ضَنْكُ عَيْشٍ صَدَعا * وصِبْيَةٌ اَضْحَوا مُراةً جُوَّعا
ما بِعْتُه بِمُلْكِ كِسْرَى اَجْمَعا

قال فلمّا تأمّلتُ خَلْقَه القويمَ * وحُسْنَه الصميمَ * خِلْتُه من وِلْدان جَنَّةِ النعيم * وقلتُ
ماهٰذا بَشَرًا اِنْ هٰذا اِلّا مَلَكٌ كريم * ثم استَنْطَقْتُه عن اسْمِه * لا لرَغْبَةٍ فى عِلْمِه * بل لِاَنْظُرَ
اَيْنَ فَصاحَتُه مِنْ صَباحَتِه * وكيف لَهْجَتُه من بَهْجَتِه * فلم يَنْطِقْ بحُلْوةٍ ولا مُرَّةٍ * ولا فاهَ
فَوْهَةَ ابن اَمَةٍ ولا حُرَّةٍ * فضَرَبْتُ منه صَفْحًا * وقلتُ قُبْحًا لِعِبْكٍ وشُفْحًا * فغارَ فى الضِّحْكِ
وانْجَدَ * ثم اَنْغَضَ راسَه اِلَىَّ وانْشَدَ *

نظم

يا مَنْ تَلَهَّبَ غَيْظُه اَنْ لَم اَبُحْ * باسْمِى له ماهٰكذا مَن يُنْصِفُ
اِنْ كان لا يُرْضِيكَ اِلّا كَشْفُه * فاصِخْ له اَنا يُوْسُفُ اَنا يُوْسُفُ
واللّٰه قد كَشَفْتُ لكَ الغِطاءَ فاِنْ تَكُنْ * فَطِنًا عَرَفْتَ وما اِخالُكَ تَعْرِفُ

قال فسرى عتبى بشعره * واستبى لبّي بسحره * حتى شدهت عن التحقيق * وانسيت قصة يوسف الصديق * ولم يكن لى هم لامساومة مولاه فيه * واستطلاع طلع الثمن لاوفيه * وكنت احسب انه سينظر شزرا الى * ويغلى السيمة على * فما حلق الى حيث حلقت * ولا امتلق بما به اعتلقت * بل قال ان العبد اذا نزر ثمنه * وخفت مؤونه * تبرك به مولاه * والتحف عليه هواه * وانى لاوثر تحبيب هذا الغلام اليك * بان اخفف ثمنه عليك * فزن مائتى درهم ان شئت * واشكر لى ما حييت * فنقدته المبلغ فى الحال * كما ينقد فى الرخيص الحلال * ولم يخطر لى ببال * ان كل مرخص غال * فلما تحققت الصفقة * وحقت الفرقة * هملت عينا الغلام * ولاهمول دمع الغمام * ثم اقبل على صاحبه وقال *

نظم

لحاك الله هل مثلى يباع * لكيما تشبع الكرش الجياع
وهل فى شرعة الانصاف انى * اكلف خطة لا تستطاع
وان ابلى بروع بعد روع * ومثلى حين يبلى لا يراع
اما جربتنى فخبرت منى * نصائح لم يمازجها خداع
وكم ارصدتنى شركا لصيد * فعدت وفى حبائلى السباع
ونطت بى المصاعب فاستقادت * مطاوعة وكان بها امتناع
واى كريهة لم ابل فيها * وغنم لم يكن لى فيه باع
وما ابدت لى الايام جرما * فيكشف فى مصارعتى القناع

ولم تعثر بحمد الله منى * على عيب يكتم او يذاع
فانى سائغ عندك نبذ مهدى * كما نبذت برايتها الصناع
ولم سمحت قرونك بامتهانى * وان اشرى كما يشرى المتاع
وهلا صنت مرضى منه صونى * حديثك يوم جد بنا الوداع
وقلت لمن يساوم فى هذا * سكاب نمايعار ولا يباع
فما انا دون ذاك الظرف لكن * طباعك فوقها تلك الطباع
على انى سانشد عند بيعى * اضاعونى واى فتى اضاعوا

قال فلما وعى الشيخ ابياته * وعقل مناغاته * تنفس الصعداء * وبكى حتى ابكى البعداء * ثم قال لى انى احل هذا الغلام محل ولدى * ولا اميزه من افلاذ كبدى * ولولا خلو مراحى * وخبو مصباحى * لما درج من عشى * الى ان يشيع نعشى * وقد رأيت ما نزل به من لوعة البين * والمؤمن هين لين * فهل لك فى تسلية قلبه * وتسرية كربه * بان تعاهدنى على الاقالة فيه متى استقلت * وان لا تستثقلنى اذا ثقلت * ففى الآثار المأثورة * المدونة من الثقات * من اقال نادما بيعته * اقاله الله عثرته * قال الحارث بن همام فوعدته وعدا ابرزه الحياء * وفى القلب اشياء * فاستدنى حينئذ الغلام اليه * وقبل ما بين عينيه * وانشد والدمع يرفض من جفنيه *

نظم

خفض فدتك النفس ما تلاقى * من برحاء الوجد والاشفاق

فما تطـول مُدَّةُ الفـراقِ * ولا تَنِي رَكائِبُ التَّلاقِي

بُحْسْنِ عَوْنِ القادرِ الخَلاَّقِ

ثم قال له اَستودِعُك مَنْ هو نِعْمَ المولى * وشَمَّرَ ذَيْلَه وولّى * فلَبِثَ الغـلامُ في زفيرٍ وعويلٍ * ريثَما يُقْطَعُ مدى مِيلٍ * فلمّا اَستفاقَ * وكَفْكَفَ دَمْعَهُ المُهراق * قال اَتدري لِمَ اَعْوَلْتُ * وعَـلامَ عَوَّلْتُ * قلتُ اَظُنُّ فِراقَ مَوْلاك * هُوَ الَّذي اَبْكاك * فقال انَّك لَفي وادٍ * وانا في وادٍ * ولَكَمْ بينَ مُرِيدٍ ومُرادٍ * ثم اَنشَدَ *

نظم

لَمْ اَبْكِ واللّهِ على اِلْفٍ نَزَح * ولا على فَوْتِ نعيمٍ وفَـرَح

وانّما مَدْمَعُ اَجْفـانِي سَفَح * على فَتًى لَحْظُهُ حِبْنَ طَمَح

وَرَّطه حتّى تَعَنّى واَفْتَضح * وضَيَّعَ المنقوشةَ البِيضَ الوَضَح

وَيْك اَما ناجَتْك هاتِيكَ المُلَح * بانَّنِي حُرٌّ وبَيْعِي لم يَصِح

اِذْ كان في يُوسُفَ مَعْنًى قـد وَضَح

قال فتمثّلتُ مقالَه في مرأةِ المُداعِب * ومَعْرِضِ المُلاعِب * فتصلَّبَ تصلُّبَ المُحِقّ * وتبرّأ من طِينَةِ الرِّقّ * فجُلْنا في مُحاصَمةٍ اتّصلَتْ بمُلاكَمةٍ * وافْضَتْ الى مُحاكَمةٍ * فلمّا اوضَحْنا للقاضي الصُّورةَ * وتلَوْنا عليه السُّورةَ * قال الا انَّ مَنْ اَنْذَرَ * فقد اَعْذَرَ * ومن حَذَّرَ * كمن بَشَّرَ * ومن بَصَّرَ فما قَصَّرَ * وانَّ فيما شَرَحْتُماهُ لَدَلِيلًا على ان هذا الغُلامَ قد نَبَّهَك فما اَرْعَوَيْتَ * ونَصَحَ لك فما وَعَيْتَ * فاستُرْدِاءَ بَلَهِك واكْتُمْهُ * ولُمْ نَفْسَك

ولا تَلُمْه * وحَذارِ من اِمتلاقِه * والطَمَعِ في استرفاقِه * فانّه حُرُّ الاديم * غيرُ مُعـرَّضٍ للتقويم * وقد كان ابُوه اَحْضَرَه اَمْسِ * قُبَيْلَ اُفولِ الشَّمْسِ * واعْتَرَفَ بانَّه نَزْعُه الّذي اَنْشاه * وانْ لا وارِثَ له سِواه * فقلتُ للقاضي اَوَتَعْرِفُ اَباه * اَخْزاهُ اللّه * فقال وهل يُجْهَلُ ابو زيدٍ الذي جُرْحُه جُبارٌ * وعندَ كُلِّ قاضٍ له اِخْبارٌ واَخْبارٌ * فتحرّقْتُ حينئذٍ وحولَقْتُ * واَفَقْتُ ولكن حين فاتَ الوَقْتُ * وايقَنْتُ انَّ لئامَه كان شَرَكَ مَكيدَتِه * وبَيْتَ قَصيدَتِه * فنَكَّسَ طَـرْفي ما لَقِيتُ * وآليتُ اَنْ لا اُعامِلَ مُتَلَثِّمًا ما بَقِيتُ * ولم اَزَلْ اَتَأَوَّهُ بِخُسْرِ صَفْقَةٍ * والافتضاحِ بَيْنَ رُفْقَتِي * فقال لي القاضي * حين رَأى امْتعاضِي * وتَبَيَّنَ حَرَّ ارتماضي * يا هذا ما ذَهَبَ من مالِك ما وَعَظَك * ولا اَجْرَمَ اليك مَنْ اَيْقَظَك * فاتَّعِـظْ بما نابَك * وكاتِمْ اَضْحابَك ما اَصابَك * وتَذَكَّرْ اَبَدًا ما دَهِمَك * لِتَقِيَ الذِّكْرى دراهِمَك * وتَخَلَّقْ بخُلُقِ مَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ * وتَجَلَّدْ له اِلعِبَرُ فاعتَبَرَ * فودَّعْتُه لابِسًا ثَوْبَ الخَجَلِ والحَزَنِ * ساحِبًا ذَيْلَ الغَبْنِ والغَبَنِ * ونَوَيتُ مُكاشَفَةَ ابي زيدٍ بالهَجْرِ * ومُصارَمَتَه مَدى الدَّهْرِ * فجعلتُ اَتَنَكَّبُ من ذَراه * واَتَجَنَّبُ اَنْ اَراه * الى اَنْ غَشِيَني في طَـريقٍ ضَيِّقٍ * فحَيّانِي تَحِيَّةَ شَيِّقٍ * فما زِدتُّ على اَنْ عَبَسْتُ * وما تَبَسَّمْتُ * فقال ما بالُكَ شَمَخْتَ بِاَنْفِك * على اِلْفِك * فقلتُ اَنَسِيتَ اَنَّك اَحْنَلْتَ وخَتَلْتَ * وفَعَلْتَ فَعْلَتَك الَّتي فَعَلْتَ * فاَضْرَطَ بي مُنْهازِيًا * ثم اَنْشَدَ مُتَلافِيًا *

نظم

يا مَنْ بدا مِنْـه صُدو * دٌ مُوحِشٌ و تَجَهُّمُ
وَغدا يَرِيشُ مَلاوِمًا * مِن دُونِهِـنَّ الاَسْهُمُ
و يقولُ هَـلْ حُرٌّ يُبا * عُ كما يباعُ الاَدْهَمُ
اَقصِرْ فما اَنا فيه يدْ * عاً مِثْـلَ ما تَتَوَهَّمُ
قد باعَتِ الاَنْباطُ قَبْـلِي يُوْسُفًا وهُـمُ هُمُ
هٰـذا واُقْسِمُ بالَّتِي * يَمْـرِي اليها المُنْهِـمُ
والطَّائِفِينَ بها وهُمْ * شُعْثُ النَّواصِي سُهَّمُ
ما قُمْتُ ذاكَ المَوقِفَ المُحْـزِي وعندي درْهَمُ
فاعذِرْ اَخاكَ وكُفَّ مِنْـه مَلامُ من لا يَفْهَمُ

ثُم قال اَمّا مَعْذِرتِي فقد لاحَتْ * واما دَراهِمُك فقد طاحَتْ * فإن كان اَقْشَعْرارُكَ مِنِّي * واْزوِرارُكَ مِنِّي * لَفَرْطِ شَفَقَتِك * على صُبْرِ نَفَقَتِك * فلستَ ممَّنْ يُلْسَعُ من جُحْرٍ مَرَّتَيْن * ويُوطَؤُ على جَمْرَتَيْن * وإنْ كنتَ طَوَيْتَ كَشْحَك * واَطعتَ شُحَّك * لِتستَنْقِذَ ما عَلِقَ بأشْراكِي * فَلْتَبْكِ على عَقْلِك البَواكِي * قال الحارثُ بن همَّام فاضطَرَّنِي بلَفْظِه النجالِب * وسِحْرِه الغالِب * الى اَن عُدتُّ له صَفِيًّا * وبه حَفِيًّا * ونَبَذْتُ فَعلَتَه ظِهْرِيًّا * وان كانَتْ شَيْأً فرِيًّا *

المقامة الخامسة والثلثون الشيرازية

رَوَي الحارثُ بن همَّام قال مررتُ فى تَطْوافِي بشِيرازَ * على نادٍ يَسْتوقِفُ المُجْتازَ * ولوكان على اَوْفازٍ * فلم اَسْطِعْ تَعْدِيه * ولا خطتْ قَدَمِي في تَخْطِيه * فعُجْتُ اليه لاَسْبِكَ سَرَجُوهَرِه * واَنْظُرَ كيف ثَمَرُه من زَهْرِه * فاِذا اَهْلُه اَفرادٌ * والعائِجُ اليهم مُفادٌ * وبَيْنَما نحن في فُكاهةِ اَطْـرَبَ من الاَغارِيد * واَطْيَبَ من حَلَبِ العَناقِيد * اِذ احْتَفَّ بنا ذُو طِمْرَيْن * قد كادَ يُناهِزُ العُمْرَيْن * فَحَيَّيْنِي بلِسانٍ طَلِيقٍ * واَبانَ اِبانَةَ مِنْطِيقٍ * ثُمَّ احْتَبَى حَبْوَةَ المُنْتَدِين * وقال اجْعَلْنا اللهمَّ من المُهْتَدِين * فازْدَراهُ القَوْمُ لِطِمْرَيْه * ونَسُوا اَنَّ المَرْءَ بأصْغَرَيْه * واَخَذُوا يَتَداوَمُونَ فَصْلَ الخِطاب * ويَعُدُّونَ مُودَّه من الاَحْطاب * وهو لا يُفِيضُ بكَلِمَةٍ * ولا يُبِينُ من سِمَةٍ * الى اَنْ سبَرَ فَرائِصَهم * وخَبَرَ شَمائِلَهم وراجِحَهم * فحين اسْتَخْرَجَ دَفائِنَهم * واسْتَنْزَلَ كَنائِنَهم * قال يا قومِ لو عَلِمْتم انَّ وَراءَ الغِدام * صَفْوُ المُدام * لَمَا احْتَقَرْتُم ذا اَخْلاقٍ * وقلتُم ما لَه من خَلاقٍ * ثُم فَجَّرَ من يَنابِيعِ الاَدَب * والنُّكَتِ النُّخَب * ما جَلَبَ به بَدائِعَ العَجَب * واسْتَوجَبَ اَن يُكْتَبَ بذَوْبِ الذَّهَب * فلَمّا خَلَبَ كُلَّ خِلْبٍ * وقَلَبَ اليه كُلَّ قَلْبٍ * تَحَلْحَلَ * لِيَرْحَلَ * وتَأَهَّبَ * لِيَذْهَبَ * فَعَلِقَتِ العِمامةُ بذَيْلِه * وما قَتْ مَسْرَبَ سَيْلِه * وقالَتْ لَهُ قل اَرَيْتَنا وَسْمَ قِدْحِك * فَخَبِّرْنا من قَبْضِك ومُنْحِك * فصَمَتَ صُموتَ من اُفْحِمَ * ثُم اَعْوَلَ حَنِّيَ رُحِمَ * قال الراوي فلما رأيتُ شَوْبَ ابي زَيْدٍ ورَوْبَه * واُسْلُوبَه المَألُوفَ وصَوْبَه * تامَّلْتُ الشيخَ على سُهُومَةٍ مُحَمَّاه * وسُهُوكَةٍ رَيَّاه * فاِذا هو اِيَّاه * فكَتَمْتُ سِرَّه كما يُكْتَمُ الداء

الدَّخِيلُ * وسَتَرتُ مَكْرَه وإنْ لم يَكُن يُخِيلُ * حتَّى اذا نزَعَ من اِعْوالِه * وقد عَرَفَ عَثورِى على حالِه * رمَقَنِى بعَيْنِ مِضْحاكٍ * ثُم طَفِقَ يُنْشِدُ بلسانٍ مُتْباكٍ *

نظم

اَسْتَغْفِرُ اللهَ واَعْتَوِلُه * من فَرَطاتٍ اَثْقَلَتْ ظَهْرِيَه
يا قومِ كَمْ من ماتِقٍ ماتِنٍ * مَمْدُوحةِ الاَوْصافِ فى الاَنْدِيَه
قَتَلْتُها لا اَتَّقِى وارِثًا * يَطْلُبُ مِنِّى قَوَدًا اَوْ دِيَه
وكُلَّما استَذْنَبْتُ فى قَتْلِها * اَحَلْتُ بالذَّنْبِ على الاَنْضِيَه
ولم تَزَلْ نَفْسِى فى غَيِّها * وقَتْلِها الاَبْكارَ مُسْتَشْرِيَه
حتَّى نَهانِى الشَّيْبُ لَمَّا بَدا * فى مَفْرِقِى من تِلْكُمُ المَعْصِيَه
فلم اُرِقْ مُذْ شابَ فَوْدِى دَمًا * من ماتِقٍ يومًا ولا مُصْبِيَه
وها اَنَا الآنَ على ما يُرَى * مِنِّى ومن حِرْفَتِىَ المُكْدِيَه
اَرُبَّ بِكْرًا طالَ تَعْنِيسُها * وحَجَّبَها حتَّى مِنَ الاَهْوِيَه
وَهْىَ على التَّعْنِيسِ مَخْطُوبَةٌ * كخِطْبَةِ الغانِيَةِ المُغْنِيَه
وليس يَكْفِينِى لتجهيزِها * على الرِّضا بالدُّونِ الاَمائِه
واليَدُ لا تُوكِى على دِرْهَمٍ * والارضُ قَفْرٌ والسَّماءُ مُضْحِيَه
فهَلْ مُعِينٌ لى على نَقْلِها * مَصْحُوبَةً بالقَيْنَةِ المُلْهِيَه
فيَغْسِلَ الهَمَّ بصابُونِه * والقَلْبَ من اَنْكادِه المُضْنِيَه

ويَفْتِنِى مِنِّى الثَّناءُ الَّذى * يَضُوعُ رَيَّاه مع الاَدْعِيَه

قال فلم يَبْقَ فى الجماعة الاَّ من نَدِيَتْ له كَفُّه * وانْباعَ اليه عُرْفُه * فلمَّا نَجَحَتْ بغْيَتُه * وكَمُلَتْ مائَتُه * اَخَذَ يُثْنِى عليهم بصالِحٍ * ويُشَمِّرُ من ساقِ مارِحٍ * فتَبِعْتُه لاَسْتَعْرِفَ زِبْبَةَ خِدْرِه * ومَن قَتَلَ فى حِدْثانِ اَمْرِه * فكأنَّ وَشْكَ قِيامِى * مَثَّلَ له مَرامِى * فازْدَلَفَ مِنِّى * وقال اَفْقِهْ عَنِّى *

نظم

قَتْلُ مِثْلِى ياصاحِ مَزْجُ المُدامِ * ليس قَتْلِى بالهَذْمِ اوالحُسامِ
والَّتى عُنِسَتْ هِىَ البِكْرُ بِنْتُ الكَرْمِ لا البِكْرُ من بَناتِ الكِرامِ
ولتجهيزِها الى الكاسِ والطَّاسِ قِيامِى الَّذى تَرَى ومَقامِى
فتَفَهَّمْ ما قُلْتُه وتَحَكَّمْ * فى التَّقاضِى اِنْ شِئْتَ اوفى المَلامِ

ثم قال انا مِرْبِيدٌ * وانت رِمْدِيدٌ * وبيننا بَوْنٌ بَعِيدٌ * ثم وَدَّعَنِى وانطلق * وزَوَّدَنِى نَظْرَةً من ذِى مَلَقٍ *

المقامة السادسة والثلثون الملطية

اخبرالحارثُ بن همَّام قال اَنَخْتُ بمَلَطِيَّةَ مَطِيَّةَ البَيْنِ * وحَقِيبَتِى مَلْأَى من العَيْنِ * فجَعَلْتُ هِجِّيرَاىَ * مذ اَلْقَيْتُ بها عَصَاىَ * اَن اَتَوَرَّدَ مَوارِدَ المَرَحِ * واَتَصَيَّدَ شَوارِدَ المُلَحِ * فلم يَفْتِنِى بها مَنْظَرٌ ولا مَسْمَعٌ * ولا خَلا مِنِّى مَلْعَبٌ ولا مَرْتَعٌ * حتَّى اذا لم يَبْقَ لى فيها مَآرِبُ * ولا فى الثَّواءِ بها مَرْغَبُ * عَمَدْتُ لاِنْفاقِ الذَّهَبِ * فى ابتياعِ الاُهُبِ * فلمَّا

اَكْمَلْتُ الاِمْدادَ * وتَهَيَّأَ الطَّعْنُ منها اوكادَ * رأيتُ تِسْعَةَ رَهْطٍ قد سَبَأُوا قَهْوَةً * وارْتَبَأُوا رَبْوَةً * ودَمائُهم قَيْدُ الاَلْحاظ * وفُكاهَتُهم حُلْوَةُ الاَلْفاظ * فنَحْوتُهم طَلَباً لمُدامَتِهم * لا لمُدامَتِهم * وشَعَفًا بمُمازَجتِهم * لابزُجاجَتِهم * فلمّا انتظَمْتُ عاشِرَهم * واَضْحَيْتُ مُعاشِرَهم * اَلْفَيتُهم اَبناءَ عَلّاتٍ * وقَذائِفَ فَلَواتٍ * الاَّ اَنَّ لُحمَةَ الاَدَبِ * قد اَلَّفَتْ شَمْلَهم اُلْفَةَ النَّسَبِ * وساوَتْ بينهم فى الرُّتَبِ * حتّى لاحَواِمثْلَ كَواكِبِ الجَوْزاء * وبَدَوْا كالجُمْلَةِ المتناسِبَةِ الاَجْزاء * فابْهَجَنى الاهتداءُ اليهم * واَحْمدتُ الطالِعَ الَّذى اَطلَعَنى عليهم * وطَفِقْتُ اُفِيضُ بقِدْحِى مَعَ قِداحِهم * واَستَشفِى بِرِياحِهم لا براحِهم * حتّى اَنَّ تَناشُجونَ المُفاوَضَةِ * الى التحاجى بالمُقايَضَةِ * كقولك اذا عَنَيْتَ به الكَرامات * ما مِثْلُ النَّومِ فاتَ * فاَنْشأنا نَجلُو السَّها والقَمَرَ * ونَجْنِى الشَّوكَ والثَّمَرَ * وبينما نحنُ نَنْشُرُ القَشِيبَ والرَّثَّ * ونَنْثُلُ السمينَ والغَثَّ * طلَعَ علينا شيخٌ قد ذَهَبَ حِبْرُهُ وسِبْرُهُ * وبَقِىَ خُبْرُهُ وسَبْرُهُ * فمَثَلَ مُثولَ من يَسْمَعُ ويَنْظُرُ * ويَلْتَقِطُ ما نَنْثُرُ * الى اَنْ نُفِضَتِ الاَكْياسُ * وحَصْحَصَ اليأسُ * فلمّا رَأَى اِجْبالَ القَرائِحِ * واِكداءَ المَتاحِ والمائِحِ * جَمَعَ اَذْيالَهُ * وَوَلّانا قَذالَهُ * وقال مالَكُلِّ سَوْداءَ تَمْرَةٌ * ولا لكُلِّ صَهْباءَ خُمْرَةٌ * فاَمْلَقْنا به اِمْلاقَ الحِرْباءِ بالاَعْواد * وضَرَبْنا دُونَ وِجْهَتِهِ بالاَسْداد * وقُلْنا له اِنَّ دَواءَ الشَّقِّ اَنْ يُحاصَ * والاّ فالقِصاصُ القِصاصَ * فلا تَطْمَعْ فى اَنْ تَجْرَحَ * وتُنْهِرَ الفَتْقَ وتَسْرَحَ * فلَوى عِنانَهُ راجِعًا * ثم جَثَمَ بمَكانِهِ راصِعًا * وقال امّا اذا اسْتَثْرتُمونِى بالبَحْث * فسَاَحْكُمُ حُكْمَ سُلَيْمانَ فى الحَرْث *

اِعْلَمُوا يا ذَوِى الشَّمائِلِ الاَدَبِيَّة * والشَّمولِ الذَّهَبِيَّة * اَنَّ وَضْعَ الاُحْجِيَّة * لامتحانِ الاَلْمَعِيَّة * واستخراجِ الخَبِيَّةِ الخَفِيَّة * وشرطُها اَن تكونَ ذاتَ مُماثِلٍ حقيقِيٍّ * والْفاظٍ معنوِيَّة * ولطيفةٍ اَدَبِيَّة * فمتى نافَتْ هذا النَمَطَ * ضاهَتِ السَّقَطَ * ولم تَدْخُلِ السَّفَطَ * ولم اَرَكُم حافَظْتُم على هذه الحُدود * ولا مِزْتُم بين المقبول والمردود * فقلنا له صَدَقْتَ فكُلْ لنا من لُبابِك * وافِضْ علينا من عُبابِك * فقال اَفْعَلُ لِئَلّا يَرْتابَ المُبْطِلون * ويَظُنّوا بى الظُّنون * ثم قابَلَ ناظُورَةَ القوم وقال *

نظم

يا مَن سَما بذَكاءٍ * فى الفَضْلِ وارِى الزِّنادِ
ما ذا يُماثِلُ قولِى * جُوعٌ اُمِدَّ بزادِ

ثم ضَحِكَ الى الثانى واَنْشَدَ *

نظم

يا ذا الَّذى فاقَ فَضْلًا * ولم يُدَنِّسْهُ شَيْنُ
ما مِثْلُ قَوْلِ المُحاجِى * ظَهْرٌ اَصابَتْهُ عَيْنُ

ثم لَحَظَ الثالثَ واَنْشَأَ يقول *

نظم

يا من نَتائِجُ فِكْرِهِ * مِثْلُ النُّقودِ الجائِزَهْ
ما مِثْلُ قَوْلِكَ لِلَّذى * حاجَيْتَ صادَفَ جائِزَهْ

ثم اَتْلَعَ الى الرابعِ وقال *

نظم

اَيا مُسْتَنْبِطَ الغامِضِ * من لُغْزٍ واِضْمارِ

اَلا اكْشِفْ لِى ما مِثْلُ * تَناوَلْ اَلْفَ دِيْنار

ثم رَمَى الخامِسَ ببَصَرِه وانْشدَ *

نظم

يا اَيُّها الاَلْمَعِىُّ اَخُو الذَّكاءِ المُنْجلِى
ما مِثْلُ اَهْمَلَ حِلْيَةً * بَيِّنْ هُدِيْتَ وعَجِّلِ

ثُم الْتفتَ لِفتَ السادِس وقال *

نظم

يا مَنْ تَقَصَّرَ من مَدا * هُ خُطَا مُجارِيْه وتَضْعُفَ
ما مِثْلُ قَوْلِك للَّذِى * اَضْحَى يُحاجِبُكَ اكْفُفِ اكْفُفْ

ثُم خلَجَ السابِعَ بحاجِبِه وانْشَدَ *

نظم

يا مَنْ لَهُ فِطْنَةٌ تَجَلَّتْ * ورُتْبَةٌ فى الذَّكاءِ جَلَّتْ
بَيِّنْ فما زِلْتَ ذا بَيانٍ * ما مِثْلُ قَوْلِى الشَّقِيقُ اَفْلَتْ

ثُم اسْتَنْصَتَ الثامِنَ وانْشَدَ *

نظم

يا مَنْ حَدائِقَ فَضْلِه * مَطْلُولَةُ الاَزْهارِ غَضَّه
ما مِثْلُ قولِك للمُحا * جِى ذِى الحِجى ما اخْتارَضَّه

ثم حدَجَ التاسِعَ ببَصَرِه وقال *

نظم

يا مَنْ يُشارُ اليه فى القَلْبِ الذَّكِىْ وفى البَراعَهْ
اَوْضِحْ لنا ما مِثْلُ قَوْلِكَ للمُحاجِى دُسْ جَماعَهْ

قال الرَّاوى فلمَّا انْتَهى الىَّ * هَزَّمَنْكِبِىَّ * وقال *

نظم

يا مَنْ لَهُ النُّكَتُ الَّتى * يُشْجِى الخُصُومَ بها وَيَنْكُتْ
اَنْتَ المُبِيْنُ فقُلْ لَنا * ما مِثْلُ قَوْلِى خالِىَ اسْكُتْ

ثُم قال قد اَنْهَلْتُكم واَعْلَلْتُكم * وِاِنْ شِئْتُم اَنْ اُعِلَّكم عَلَلْتُكم * قال فاَلْجَأَ نالَهَبُ الغُلَل * الى اسْتِسْقاءِ العَلَل * فقال لَسْتُ كَمَنْ يَسْتائِرُهلى نَدِيْمِه * ولا مِمَّنْ سَمَّنَه فى اَدِيْمِه *

ثُم كَرَّ على الاَوَّل وانْشَدَ *

نظم

يا من اذا اَشْكَلَ المُعَمَّى * جَلَّتْهُ اَفْكارُه الدَّقِيقَهْ
اِنْ قالَ يَوْمًا لكَ المُحاجِى * خُذْ تلك ما مِثْلُه حقِيقَهْ

ثُم ثَنَى جِيْدَه الى الثانى وقال *

نظم

يا مَنْ بَدا بَيانُه * عَنْ فَضْلِه مُبَيِّنَا
ما ذَا مِثالُ قَوْلِهِم * حِمارُ وَحْشٍ زُيِّنَا

ثُم اَوْحى الى الثالِث بلَحْظِه وقال *

نظم

يا مَنْ غَدا فى فَضْلِه * وذَكائِه كالاَصْمَعِى
ما مِثْلُ قولك لِلَّذى * حاجاكَ اَنْفِقْ تَقْمَعِ

ثُم حَمْلَقَ الى الرَّابِع وقال *

نظم

يا مَنْ اذا ما عَوِيْصٌ * دَجا اَنارَ ظَلامَهْ

ما ذا يمائل قولى * استنشق ريح مدامه

ثم أومض الى الخامس وأنشد *

نظم

يا من تنزّه فهمه * عن أن يروّى او يشكّى
ما مثل قولك للذى * اضحى يحاجى غطّ هلكى

ثم أقبل قبل السادس وأنشأ يقول *

نظم

يا أخا الفطنة التى * بان فيها كمالُه
سار بالليل مدّةً * اىّ شئ منالُه

ثم نحا بصره الى السابع وقال *

نظم

يا من تحلّى بفهم * اقام فى الناس سوقه
لك البيان فبيّن * ما مثل اخيب فروقه

ثم قصد قصد الثامن وأنشد *

نظم

يا من تبوّء ذروةً * فى الفضل فاقت كلّ ذروه
ما مثل قولك اعطِ ابرِ * يقًا يلوح بغير عروه

ثم ابتسم الى التاسع وقال *

نظم

يا من حوى حسن الدرا * يه والبيان بغير شكّ
ما مثل قولك للمحا * جى ذى الذكاء التور ملكى

ثم قبض بجمعه على ردنى وقال *

نظم

يا من سما بثقوب فطنته * فى المشكلات ونور كوكبه
ما مثال صفير جحفلة * بينه تيما نا ينمّ به

قال الحارث بن همام فلمّا اطربنا بما سمعناه * وطالبنا بكشف معناه * قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان * ولا لنا بحلّ هذه العقديدان * فان ابنت * مننت * وان كتمت * غممت * فظلّ يشاور نفسيه * ويقلّب قدحيه * حتّى هان بذل المأمون عليه * فاقبل حينئذ على الجماعة وقال سأعلمكم مالم تكونوا تعلمون * ولا ظننتم انكم تعلّمون * فاركوا عليه الأوعية * وروّضوا به الأندية * ثم اخذ فى تفسير صقل به الأذهان * واستفرغ معه الأردان * حتى آضت الأفهام أنور من الشمس * والأكمام كأن لم تغن بالأمس * ولمّا هم بالمقر * سئل عن المقر * فتنفّس * كما تتنفّس الثكول * ثم انشأ يقول *

نظم

كلّ شعب لى شعب * وبه ربعى رحب
غير انّى بسروج * مستهام القلب صبّ
هى ارضى البكر والجوّ الذى منه المهبّ
والى روضتها الغنّاء دون الروض اصبو
ما حلا لى بعدها حلو ولا اعذوذب عذب

قال الراوى فقلت لأصحابى * هذا ابو زيد السروجى * الذى أدنى ملحه الأحاجى *

اَخَذْتُ اَصِفُ لهم حُسْنَ توشِيَته وانقيادَ الكلامِ لِمشِيَّته * ثُم التفتُّ فاذا به قد طَمَرَ * وناءَ بما قَمَرَ * فعجِبْنا ممَّا صَنَع * ولم نَدْرِ اَيْنَ سَكَعَ وصَقَع *

تفسيرُ الاحاجِي المُودَعةِ هٰذه المَقامة

اَمَّا جُوْعُ اُمِدَّ بزاءٍ فمثلُه طَوامِيْر * واما ظَهْرُ اَصابَته عَيْنٌ فمثلُه مَطاعِيْن * واما صادَفَ جائِزَةً فمثلُه الفاصِلة * واما تناوَلَ اَلْفَ دِينارٍ فمثلُه هادِيه * واما اَهْمَلَ حِلْيَةً فمثلُه الغاشِيه * واما اكفف اكفف فمثلُه مَهْمَهْ * واما الشقيقُ اَفْلَتَ فمثلُه الاَخْطار * واما ما اختارَ فِضَّةً فمثلُه اَبارِقه لان الرِّقَةَ من اَسماءِ الفِضَّة وقد نَطَقَ بها النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال فى الرِّقة رُبْعُ العُشْر * واما دُسْمٌ جَماعةً فمثلُه طائِفَه * واما خالِيَ اسْكُتْ فمثلُه خالِصَه لانك اذا نادَيْتَ مُضافًا الى نَفْسِك جاز لك حذفُ الياء واثباتُها ساكنةً ومتحركةً وقد حذَفَ ههُنا حرفَ النِّداء كما حذَفَه فى اصل الاُحْجِيَّة وصَه بمعنى اُسْكُت * واما خُذْ تلك فمنعاه هاتِيك * واَمَّا حِمارُ وَحْشٍ زِيْنًا فمثلُه فرائِزِين لاَنَّ الفَراحِمارُ الوَحْش ومنه الخَبَرُ كلُّ الصَيْدِ فى جَوْفِ الفَرا * واما قَوْلُه اَنْفِق تَقْمَعْ فمثلُه مُنْتَقِم لاَنَّ الاَمْرَ من مانَ يَمُوْن مُنْ ومُضارِعَ وَقَمْتَ تَقِمُ * واما اَسْنَشِ رِيْحَ مُدامه فمثلُه رَحْراح لان الاَمْرَ من استدعاءِ الرائِحةِ رَحْ * واما غَطْ هَلْكى فمثلُه صُنْبُور لاَنَّ البُوْرَ هُم الهَلْكى وفى القرآن كنتم قَوْمًا بُوْرًا * واما سارَ باللَّيْلِ مُدَّةً فمثلُه سَراحِيْن * واما اَحْبِبْ فَرُوقَه فمثلُه مِقْلاع لان الاَمْرَ من وَمِقَ يَمِقُ مِق واللَّاعُ الجَبان يقالُ فلانٌ هاعٌ لاعٌ اذا كان جَبانًا جَزُوعًا * واما اَعْطِ

اُبْرِيقًا يُلُوحُ بغيرِ عُرْوةٍ فمثلُه اُسْكُوب لاَنَّ الاَوْسَ العَطاءُ والاَمْرَ منه اُسْ والكُوْبُ الابريقُ بغيرِ عُرْوةٍ * واما الثَّوْرُ مِلْكِى فمثلُه اللَّالِى لانَّ اللاَّى على وزن القَنا هو ثورُ الوَحْش * واما صَفِيْرُ جَحْفَلةٍ فمثلُه مُكاشَفه لان المُكا الصفيرُ قال اللّٰه تعالى وما كان صلوتُهم عند البيت الاَّ مُكاءً وتصديةً والاصلُ فى المُكا المَدُّ ولكنّه قَصَرَه فى هٰذه الاُحْجِيَّة كما حذَفَ همزةَ الفرا فى اَحْجِيَّته وكلا الاَمْرَين من قصر الممدودِ وحذفِ همزة المهموز جائِزٌ *

المقامة السابعة والثلثون الصعدية

حكى الحارث بن همام قال اَصعدتُ الى صَعْدةَ * وانا ذو شَطاطٍ يَحْكِى الصَّعْدَةَ * واشتدادِ يَبْدُ رُبَناتِ صَعْدةَ * فلمّا رأيتُ نَضْرتَها * ورَعَيْتُ خُضْرتَها * سألتُ نَحارِيرَ الرُّواة * عمَّنْ تَحْوِيْه من السَّراة * ومَعادِنِ الخَيْرات * لاَتَّخِذَه جِذْوةً فى الظُّلُمات * ونَجْدةً فى الظُّلامات * فُنِعتَ لى قاضٍ بها رحيبُ الباع * خَصِيْبُ الرِّباع * تَمِيْمِىُّ النَّسَب والطِّباع * فلم اَزَلْ اَتقرَّبُ اليه بالاِلمام * واَتنفَّقُ عليه بالاِجْمام * حتى صِرْتُ صَدى صَوته * وسَلْمانَ بَيْته * وكنتُ مع اشتيارِ شَهْدِه * وانتشاقِ رَنْدِه * اَشْهَدُ مَشاجِرَ الخُصُوم * واَسْفِرُ بين المعصوم منهم والموصوم * فبينما القاضى جالِسٌ للاِسْجال * فى يَوْمِ المَحْفِل والاحتفال * اِذْ دخَلَ شَيْخٌ بالِى الرِّياش * بادِى الارتعاش * فنبَصَّرَ الحَفْلَ تَبَصُّرَ نَقّادٍ * ثم زعَمَ اَنَّ له خَصْمًا غيرَ مُنْقادٍ * فلم يكُنْ الاَّ كَضَوْءِ شَرارةٍ * اَوْ وَحْيِ اشارةٍ * حتى اُحْضِرَ غلامٌ * كاَنَّه ضِرْغامٌ * فقال الشَّيْخُ اَيَّدَ اللّٰهُ القاضِى * وعَصَمَه من التَّغاضِى *

اِنَّ ابْنِى هٰذا كالقَلَمِ الرَّدِىّ * والسَّيْفِ الصَّدِىّ * يَجْهَلُ اَوْصافَ الاِنْصاف * ويَرْتَضِعُ اَخْلافَ الخِلاف * اِنْ اَقْدمتُ اَحْجَمَ * واذا اَمَرْتُ اَمْجَمَ * وانْ اَذْكَيْتُ اَخْمَدَ * ومَتى شَوَيْتُ رَمَّدَ * مَعَ انِّى كَفَلْتُه مُذ دَبَّ * الى اَنْ شَبَّ * وكُنْتُ له اَلْطَفَ مَنْ رَبّى ورَبَّ * فَاَكْبَرَ القاضِى ما شَكا اِلَيْه * واَطْرَفَ به مَن حوالَيْه * ثُم قال اَشْهدُ اَنَّ العُقوقَ اَحَدُ الثَّكْلَيْن * ولَرُبَّ مُقيمٍ اَقَرَّ للعَيْن * فقال الغُلام * وقد اَمْعَضَه هٰذا الكَلام * والَّذى نَصَبَ القُضاةَ للعَدْل * ومَلَّكَهم اَعِنَّةَ الفَضْل والفَصْل * اِنَّه ما دَعا قَطُّ الّا اَمَّنْتُ * ولا ادَّعى الّا آمَنْتُ * ولا لَبّى الّا واَحْرَمْتُ * ولا اَوْرى اِلّا واَضْرَمْتُ * بَيْدَ اَنَّه كَمَنْ يَبْغِى بَيْضَ الاَنُوق * ويَطْلُبُ الطَّيَرانَ من النَّوق * فقال له القاضى وبِمَ اَمْتَنُك * وامتَحِنُ طاعَتَك * قال اِنَّه مُذْ صَفَرَ من المال * ومُنِىَ بالاِمْحال * يَسُومُنِى اَن اَتَلَمَّظَ بالسُّؤال * واَسْتَمْطِرَ سُحُبَ النَّوال * ليَفيضَ شِرْبُه الَّذى غاضَ * ويَنْجَبِرَ من حالِه ما انْهاضَ * وقد كانَ حينَ اَخَذَنِى بالدَّرْس * وعَلَّمَنِى اَدَبَ النَّفْس * اَشْرَبَ قلبِى اَنَّ الحِرْصَ مَتْعَبَةٌ * والطَّمَعَ مَعْتَبَةٌ * والشَّرَهَ مَتْخَمَةٌ * والمَسْئَلَةَ مَلْاَمَةٌ * ثُم اَنْشَدَنِى من فِلَقِ فِيْه * ونَحْتِ قَوافِيْه *

نظم

اِرْضَ بادْنى العَيْشِ واشْكُرْ عليه * شُكْرَ مَنِ القُلَّ كثيرٌ لَدَيْه
وجانِبِ الحِرْصَ الَّذى لم يَزَلْ * يَحُطُّ قَدْرَ المُتَراقِى اِلَيْه
وحامِ من عِرْضِك واسْتَبْقِه * كما يُحامِى اللَّيْثُ من لِبْدَتَيْه

واصْبِرْ على ما نابَ مِنْ فاقَةٍ * صَبْرَ اُولِى العَزْمِ واَغْضِ عليه
ولا تُرِقْ ماءَ المُحَيّا ولو * خَوَّلَكَ المسئولُ ما فى يَدَيْه
فالحُرُّ مَن اِنْ قَذِيَتْ عَيْنُه * اَخْفى قَذى جَفْنَيْه من ناظِرَيْه
ومَن اِذا اَخْلَقَ دُنْيا جُه * لم يَرَ اَنْ يُخْلِقَ دِيْباجَتَيْه

قال فَعَبَسَ الشَّيْخُ واكْفَهَرّ * واندَرَ على ابْنِه وهَرَّ * وقال له صَهْ يا مُقَ * يا مَنْ هوالشَّجى والشَّرَقُ * وَيْلَكَ اَتُعَلِّمُ اُمَّكَ الِبضاعَ * وتُشْرِكُ الاِرْضاعَ * لقد تَحَكَّكَتِ العَقْرَبُ بالاَفْعى * واستَنَّتِ الفِصالُ حَتّى القَرْمى * ثُم كانَّه نَدِمَ على ما فَرَطَ من فيه * وحَدَتْه المِقَةُ على تلافِيه * فَرَنا اليه بعَيْنٍ عاطِفٍ * وخَفَضَ له جَناحَ مُلاطِفٍ * وقال وَيْكَ يا بُنَىَّ اِنَّ مَنِ اُمِرَ بالقَناعَة * وزُجِرَ عَنِ الضَّراعَة * هُمْ اَرْبابُ البِضاعَة * واُولو المَكْسَبَةِ بالصِّناعَة * فامّا ذَوُو الضَّرُورات * فقد اسْتَثْنى بهِم فى المَحْظُورات * وهَبْكَ جَهِلْتَ هٰذا التاويلَ * ولم يَبْلُغْكَ ما قيلَ * اَلَسْتَ الذى عارَضَ اباه * اِذْ قالَ وما حاباه *

نظم

لا تَقْعُدَنَّ على ضُرٍّ ومَسْغَبَةٍ * لكَى يُقالَ عزيزُ النَّفْسِ مُصْطَبِرُ
وانْظُرْ بعَيْنِك هل اَرْضٌ مُعَطَّلَةٌ * من النَّباتِ كاَرْضٍ حَفَّها الشَّجَرُ
فَعِدْ عَمّا يُشِيرُ الاَغْبِياءُ به * فاَىُّ نَضْلٍ لِعُوْدٍ ما له ثَمَرُ
وارْحَلْ رِكابَكَ عن رَبْعٍ ظَمِئْتَ به * الى الجَنابِ الَّذى يَهْمِى به المَطَرُ

واستنزل الرّى من درّ السحاب فإن * بلّت يداك به فليهنّك الظفر

وإن رددت فما فى الرّد منقصة * عليك قد ردّ موسى قبل والخضر

فلما رأى القاضي تنافى قول الفتى وفعله * وتحلّيه بما ليس من أهله * نظر اليه بعين غضبى * وقال اتميميًّا مرّة وقيسيًّا اخرى * اُفٍّ لمن ينقض ما يقول * ويتلوّن كما يتلوّن الغول * فقال الغلام والّذى جعلك مفتاحًا للحقّ * وقفّاحا بين الخلق * لقد أنسيت مذ اسّست * وصدئ ذهنى مذ صدئت * على انّه أين الباب الفتح * والعطاء السّرح * وهل بقى من يتبرّع باللّها * واذ استطعم يقولها * فقال له القاضى مه فمع الخواطئ سهم صائب * وما كلّ برق خالب * فميّز البروق اذا شمت * ولا تشهد الا بما علمت * فلمّا تبيّن للشيخ انّ القاضى قد غضب للكرام * وأعظم تنخيل جميع الأنام * علم أنّه سينصر كلمته * ويظهر أكرومته * فما كذّب أن نصب شبكته * وشوى فى الحريق سمكته * وأنشأ يقول *

نظم

يا أيّها القاضى الذى علمه * وحلمه أرسخ من رضوى

قد ادّعى هذا على جهله * أن ليس فى الدّنيا اخو جدوى

وما درى أنّك من معشر * عطاؤهم كالمنّ والسّلوى

فجد بما يثنيه مستخزيًا * ممّا افترى من كذب الدّعوى

وأنثنى جذلان اثنى بما * أوليت من جدوى ومن عدوى

قال فهش القاضى لقوله * وأجزل له من طوله * ثم لفت وجهه الى الغلام * وقد نصل له أسهم الملام * وقال له ارأيت بطل زعمك * وخطأ وهمك * فلا تعجل بعدها بذمّ * ولا تنحت مودّا قبل عجم * وإيّاك وتأبيك * من مطاوعة أبيك * فانّك ان عدت تعقه * حاق بك منّى ما تستحقّه * فسقط الفتى فى يده * ولاذ بحقو والده * ثم نهض يحفد * وتبعه الشّيخ ينشد *

نظم

من ضامه اوضار دهره * فليقصد القاضى فى صعده

سماحه ازرى بمن قبله * وعدله أتعب من بعده

قال الرّاوى فحرّت بنين تعريف الشّيخ وتنكيره * الى ان احرورف لمسيره * فناجيت النّفس باتّباعه * ولوالى ربابه * لعلّى أظهر على أسراره * وأعرف شجرة ناره * فنبذت العلق * وانطلقت حين انطلق * ولم يزل يخطو وأنقب * ويبعد واقترب * الى ان تراأى الشّخصان * وحقّ التعارف على الخلصان * فأبدى حينئذ الاهتشاش * ورفع الارتعاش * وقال من كاذب أخاه فلا عاش * فعرفت عند ذلك انّه السّروجى بلا محالة * ولا حول حالة * فبادرت اليه لأصافحه * واستعرف سانحه وبارحه * فقال دونك ابن أخيك البرّ * وتركنى ومرّ * فلم يعد الفتى ان افتر * ثم فرّ كما فرّ * فعدت وقد استبنت عينهما * ولكن أين هما *

المقامة الثامنة والثلثون المروية

حكى الحارث بن همام * قال حببت الىّ مذ سعت قدمى * ونفث قلمى * ان
اتخذ الادب شرعة * والاقتباس منه نجعة * فكنت اثقب من احباره * وخزانة
اسراره * فاذا الفيت منهم بغية الملتمس * وجذوة المقتبس * شددت يدى بغرزه *
واستنزلت منه زكوة كنزه * على انى لم الق كالسروجى فى غزارة السحب *
ووضع الهناء مواضع النقب * الا انه كان اسير من المثل * واسرع من القمر
فى النقل * وكنت لهوى ملاقاته * واستحسان مقاماته * ارغب فى الاغتراب *
واستعذب السفر الذى هو قطعة من العذاب * فلما تطوحت الى مرو * ولا غرو *
يشرنى بملقاه زجر الطير * والفال الذى هو بريد الخير * فلم ازل انشده فى المحافل *
وعند تلقى القوافل * فلا اجد عنه مخبرا * ولا ارى له اثرا ولا منيرا * حتى غلب
الياس الطمع * وانزوى التاميل وانقمع * فانى لذات يوم بحضرة والى مرو * وكان
ممن جمع الفضل والسرو * اذ طلع ابو زيد فى خلق مملاق * وخلق ملاق * فحيى
الوالى تحية المحتاج * اذا لقى رب التاج * ثم قال له اعلم وقيت الذم * وكفيت
الهم * ان من عذقت به الاعمال * اطلقت به الآمال * ومن رفعت له الدرجات *
رفعت اليه الحاجات * وان السعيد من اذا قدر * ووانا القدر * ادى زكوة النعم *
كما يؤدى زكوة النعم * والتزم لاهل الحرم * كما يلتزم للاهل والحرم * وقد اصبحت
بحمد الله مميد مصرك * وعماد مصرك * تزجى الركائب الى حرمك * وترجى

الرغائب من كرمك * وتنزل المطالب بساحتك * وتستنزل الراحة من راحتك *
وكان فضل الله عليك عظيما * واحسانه لديك عميما * ثم انى شيخ تربت بعد الاتراب *
وعدم الاشياب حين شاب * قصدتك من محلة نازحة * وحالة رازحة * آمل من
بحرك دفعة * ومن جاهك رفعة * والتاميل افضل وسائل السائل * ونائل النائل *
فاوجب لى ما يجب عليك * واحسن كما احسن الله اليك * واياك ان تلوى
عذارك * عمن ازدارك * وام دارك * او تقبض راحك * عمن امتاحك * وامتار
سماحك * فوالله ما مجد من جمد * ولا رشد من حشد * بل اللبيب من اذا وجد جاد *
وان بدا بعائدة عاد * والكريم من اذا استوهب الذهب * لم يهب ان يهب * ثم امسك يرقب
اكل غرسه * ويرصد مطيبة نفسه * واحب الوالى ان يعلم هل نطفته نمد * ام لقريحته
مدد * فاطرق يروى فى استيراء زنده * واستشفاف فرنده * والتبس على ابى زيد سر
صمتته * وسبب ارجاء صلته * فتوفر غضبا * وانشد مقتضبا *

نظم

لا تحقرن ابيت اللعن ذا ادب * لان بدا خلق السربال سبروتا
ولا تضع لاخى التاميل حرمته * اكان ذا السن ام كان سكينا
وانفح بعرفك من وافاك مختبطا * وانعش بغوثك من الفيت منكوتا
فخير مال الفتى ما ال اشاد له * ذكرا تناقله الركبان اوصينا
وما على المثنى حمدا بموهبة * غبن ولو كان ما اعطاه ياقوتا

لَوْلَا الْمُرُوَّةُ ضاقَ الْعُذْرُ عن قَطِنٍ * اِذَا اشْرَأَبَّ الى ما جاوَزَ القُوتا

لٰكِنَّهُ لِابْتِنـاءِ الْمَجْدِ جَدَّ وَمِنْ * حُبِّ السَّماحِ ثَنى نَحْوَ الغِنى لِيتا

وما تَنَشَّقَ نَشْرَ الشُّكْرِ وَكَرَمٍ * اِلَّا وَازْرى بِنَشْرِ المِسْكِ مَفْتُوتا

والْحَمْدُ والبُخْلُ لم يُفْضَ اجتماعُهما * حتّى لقد خِيْلَ ذا ضَبًّا وذا حُوتا

والسَّمْحُ فى النّاسِ محبوبٌ خَلائِقُه * والجامِدُ الكَفِّ ما يَنْفَكُّ مَمْقوتا

وللشحيحِ على اَمْوالِهِ مِلَلٌ * يُوْسِعْنَهُ اَبَدًا ذَمًّا وتبكيتا

فَجُدْ بما جَمَعَتْ كَفّاكَ من نَشَبٍ * حتّى يُرى مُجْتَدِيْ جَدْواكَ مَبْهوتا

وخُذْ نصيبَكَ منه قَبْلَ رائِعَةٍ * من الزَّمانِ تُرِيْكَ العُوْدَ مَنْحوتا

فالدَّهْرُ اَنْكَدُ من ان تَسْتَمِرَّ به * حالٌ تَكَرَّهْتَ تلك الحالَ ام شِئتا

فقال له الوالى تاللّٰهِ لَقَدْ اَحْسنتَ * فاَىُّ وَلَدِ الرَّجُلِ اَنْتَ * فنَظَرَ اليه من مُرْضٍ *

ثم اَنْشَدَ وهو مُغْضٍ *

نظم

لا تَسْأَلِ الْمَرْءَ مَنْ اَبُوْهُ وَرُزْ * خِلًا لَهُ ثُم صِلْهُ اوفاصْرِمِ

فما يَشِيْنُ السَّلافَ حينَ حَلا * مَذاقَها كَوْنُها انْبَةَ الحِصْرِمِ

قال فَقَرَّبَهُ الوالى لِبَيانِهِ الفاتِنِ * حتّى اَحَلَّهُ مَقْعَدَ المحاتِنِ * ثُم فَرَضَ له من سُيُوْبِ

نَيْلِهِ * ما آذَنَ بطُوْلِ ذَيْلِهِ * وقِصَرِ لَيْلِهِ * فَنَهَضَ منه بِرُدْنٍ مَلآنَ * وقَلْبٍ جَذْلانَ *

وتَبِعْتُهُ حاذِيًا حَذْوَهُ * وقافِيًا خَطْوَهُ * حتّى اذا خَرَجَ مِنْ بابِهِ * وفَصَلَ مَنْ غابِهِ * قلتُ

لهُ هُنِيْئًا بما اُوْتِيْتَ * ومُلِّيْتَ بما اُوْلِيْتَ * فاسْفَرَ وجْهُهُ وتَلَألَأَ * ووالى شُكْرَ اللّٰهِ تعالى *

ثُم خَطَرَ اختِيالًا * وانشدَ ارتِجالًا *

نظم

من يَكُنْ نالَ بالحَماقَةِ حَظًّا * اوسَما قدرُهُ لِطِيْبِ الاُصولِ

فبِفَضْلِي انْتَفَعتُ لا بِفُضولي * وبِقَوْلِي ارْتَفَعْتُ لا بِقُيولي

ثُم قال تَعسًا لِمَنْ جَدَبَ الاَدَبَ * وطُوْبى لِمَنْ جَدَّ فيه ودَأَبَ * ثُم وَدَّعَنى وذَهَبَ *

واَوْدَعَنى اللَّهَبَ *

المقامة التاسعة والثلثون العُمانية

حدث الحارثُ بن هَمّام * قال لَهِجْتُ مذ اخْضَرَّ ازارِى * وبَقَلَ عِذارِى * بأَنْ

اَجُوْبَ البَرارِى * على ظُهورِ المَهارِى * اُنْجِدُ طَوْرًا * واَسْلُكُ تارةً غَوْرًا * حتّى

فَلَيْتُ المَعالِمَ والمَجاهِلَ * وبَلَوْتُ المَنازِلَ والمَناهِلَ * وادْمَيْتُ السَّنابِكَ والمَناسِمَ * وانْضَيْتُ

السَّوابِقَ والرَّواسِمَ * فلمّا مَلِلْتُ الاِضْحارَ * وقد سَنَحَ لِى اَرَبٌ بِصُحارَ * مِلْتُ الى اختيارِ التَيّارَ *

واختيارِ الفُلْكِ السَّيّارِ * فنقلتُ اليه اَساوِدِى * واستصحَبْتُ زادِى ومَزاوِدِى * ثُم رَكِبْتُ

فيه رُكوبَ حاذِرٍ نافِرٍ * عازِلٍ لِنَفْسِهِ وحاذِرٍ * فلمّا شَرَعْنا فى القُلْعَةِ * ورَفَعْنا الشُّرُعَ لِلشِّرْعَةِ * سَمِعْنا

من شاطِئِ المَرْسى * حينَ دَجَى اللَّيْلُ واَغْسى * هاتِفًا يَقُوْلُ يا اهلَ ذا الفُلْكِ القَوِيْمِ * المُزْجى فى

البَحْرِ العَظِيْمِ * بتقديرِ العزيزِ العليمِ * هَلْ اَدُلُّكُم على تِجارَةٍ تُنْجِيْكُم من عَذابٍ اليمِ *

فقُلْنا له اَقْبِسْنا نارَكَ اَيُّها الدَّليلُ * واَرْشِدْنا كما يُرْشِدُ الخَلِيلَ الخَلِيلُ * فقال أَتَسْتَصْحِبُوْن

ابن سبيل * زاده في زَبيل * وظله غير ثقيل * وما يبغي سوى مقيل * فاجمعنا على
الجنوح اليه * وان لا نبخل بالمعون عليه * فلما استوى على الفلك * قال اعوذ بمالك
الملك * من مسالك الهلك * ثم قال انا روينا في الاخبار * المنقولة من الاخبار *
ان الله تعالى ما اخذ على الجهال ان يتعلموا * حتى اخذ على العلماء * ان يعلموا *
وان معي لعوذة * من الانبياء * ماخوذة * وعندي لكم نصيحة * براهينها صحيحة *
وما وسعني الكتمان * ولا من خيفي الحرمان * فتدبروا القول وتفهموا * واعملوا
بما تعلمون وعلموا * ثم صاح صيحة المباهي * وقال اتدرون ماهي * هي والله حرز
السفر * عند مسيرهم في البحر * والجنة من الغم * اذا جاش موج اليم * وبها استعصم
نوح يوم الطوفان * ونجا ومن معه من الحيوان * على ما صدعت به آي القرآن *
ثم قرأ بعد اساطير تلاها * وزخارف جلاها * وقال اركبوا فيها * بسم الله مجريها
ومرسيها * ثم تنفس تنفس المغرمين * او عباد الله المكرمين * وقال اما انا فقد قمت
فيكم مقام المبلغين * ونصحت لكم نصح المبالغين * وسلكت بكم صحجة الراشدين *
فاشهدوا اللهم وانت خير الشاهدين * قال الحارث بن همام فاعجبنا بيانه البادي
الطلاوة * وعجبت له اصواتنا بالتلاوة * وآنس قلبي من جرسه * معرفة عين شمسه *
فقلت له بالذي سخر البحر اللجي * الست السروجي * فقال لي بلى * وهل يخفى
ابن جلا * فاحمدت حينئذ السفر * وسفرت عن نفسي اذ سفر * ولم نزل نسيروا البحرا

زهوا * والجو صحوا * والعيش صفوا * والزمان لهوا * وانا اجد للقيانه * وجد المثري
بعقيانه * وافرح بمناجاته * فرح الغريق بمنجاته * الى ان عصفت الجنوب * وعسفت
الجنوب * ونسي السفر ما كان * وجاءهم الموج من كل مكان * فملنا لهذا الحدث
النائر * الى احدى الجزائر * لنريح ونستريح * ريثما تواتي الريح * وتمادى اعتياص
المسير * حتى نفد الزاد غير اليسير * فقال لي ابو زيد انه لن يحرز جنى العود بالقعود *
فهل لك في استثارة السعود بالصعود * فقلت له اني لك لاتبع من ظلك * واطوع من
نعلك * فنهدنا الى الجزيرة * على ضعف من المريرة * لنركض في امتراء الميرة * وكلانا
لا يملك فتيلا * ولا يهتدي فيها سبيلا * فاقبلنا نجوس خلالها * ونتقيا ظلالها * حتى
افضينا الى قصر مشيد * له باب من حديد * ودونه زمرة من عبيد * فناسمناهم لنتخذهم
سلما الى الارتقاء * وارشية للاستقاء * فالفينا كلا منهم في مسك كسير * وكرب اسير *
فقلنا ايتها الغلمة * لم هذي العمة * فلم يجيبوا النداء * ولا فاهوا ببيضاء ولا سوداء *
فلما رأينا نارهم نار الحباحب * وخبرهم كسراب السباسب * قلنا شاهت الوجوه * وقبح
اللكع ومن يرجوه * فابتدرخادم قد علته كبرة * ومرته عبرة * وقال يا قوم لا توسعونا
سبا * ولا توجعونا عتبا * فانا لفي حزن شامل * وشغل عن الحديث شاغل * فقال له
ابو زيد نفس خناق البث * وانفث ان قدرت على النفث * فانك ستجد مني عرافا كافيا *
ووصافا شافيا * فقال اعلم ان رب هذا القصر هو قطب هذه البقعة * وشاه هذي الرقعة *

الّا انّه لم يَخْلُ من كَمِدٍ * لخُلُوّه من وَلَدٍ * ولم يَزَلْ يَسْتَكْرِمُ المَغارِس * ويَتَخيَّرُ من المَغارِسِ
النَّفائِس * الى اَنْ بُشِّر بحَمْلِ مقيلةٍ * وآذَنَتْ وَقْلَتُه بفَسيلةٍ * فنَذِرَتْ له النُّذُور *
واُحْصِيَتِ الاَيّامُ والشُّهور * ولَمّا حانَ النِّتاجُ * وصِيْغَ له الطَّوْقُ والتاجُ * عَسُرَ مَخاضُ
الوَضْع * حتّى خِيْفَ على الاَصْل والفَرْع * فما فِينا مَن يَعْرِفُ قَراراً * ولا يَطْعَمُ النَّوْمَ الّا
غِراراً * ثم اَجْهَشَ بالبُكاء واَعْوَلَ * وَرَدَّدَ الاسترجاعَ وطَوَّلَ * فقال له ابو زيد اُسْكُتْ
يا هٰذا واسْتَبْشِرْ * وَاَبْشِرْ بالفَرَجِ وَبْشِرْ * فعِندي عَزيمَةُ الطَّلْق * التي انتشرَ سَمْعُها في الخَلْق *
فتبادَرَتِ الغِلْمَةُ الى مَوْلاهم * مُتَباشِرِيْن بانكشافِ بَلْواهم * فلم يَكُن الّا * كَلا ولا * حتّى
بَرَزَ من هَلْمَمَ بِنا اليه * فلمّا دَخَلْنا عليه * ومَثَلْنا بَيْنَ يَدَيْه * قال لاَبي زيدٍ لِيَهْنِكَ مَنالُك *
اِنْ صَدَقَ مَقالُكَ * ولم يَفِلْ فالُك * فاستَحْضَرَ قَلَماً مَبْرِياً * وزَيْداً بَحْرِياً * وزَعْفَراناً قَدْ دِيفَ *
في ماءِ وَرْدٍ نَظْبِيٍّ * فما اِنْ رَجَعَ النَفَسُ * حتّى اُحْضِرَ ما الْتَمَسَ * فسَجَدَ ابو زيدٍ
وعَفَّرَ * وسَبَّحَ واسْتَغْفَرَ * ثم اَخَذَ القَلَمَ واسْتَجْفَرَ * وكَتَبَ على الزَّبَدِ بالمِزْعَفَر *

نظم

اَيُّها الجَنْبُ اِنّي نَصيحٌ * لك والنُّصْحُ من شُروطِ الدِّيْن
اَنْتَ مُسْتَعْصِمٌ بِكِنٍّ كَنينٍ * وقَرارٍ من السُّكونِ مَكِيْن
ما تَرى فيه ما يَرُوعُك مِن اِلْفٍ مُداجٍ ولا عَدُوٍّ مُبِيْن
فَمَتى ما بَرَزْتَ منه تَحَوَّلْتَ الى مَنْزِلِ الاَذى والهُوْن
وتَرا اَى لَكَ الشَّقاءَ الذي تَلْقى فَتَبْكي له بِدَمْعٍ هَتُوْن

فاستَدِمْ عَيْشَكَ الرَّغيدَ وحاذِرْ * اَنْ تَبيعَ المَحْقُوقَ بالمَظْنُوْن
واحْتَرِسْ من مُخادِعٍ لك يَرْقِيْكَ لِيُلْقِيَكَ في العَذابِ المُهِيْن
ولَعَمْري لقد نَصَحْتُ ولٰكِنْ * كَمْ نَصيحٍ مُشَبَّهٍ بِظَنِيْن

ثم انّه طَمَسَ المكتوبَ على غَفْلَةٍ * وتَغَفَّلَ عليه مائةَ تَغْلِيَه * وشَدَّ الزَّبَدَ في خِرْقَةِ حَرِيرٍ * بعدَ
ما ضَمَّخَها بعَبِيرٍ * وامَرَ بتَعْلِيْقِها على فَخِذِ الماخِضِ * وانْ لا تَعْلَقَ بها يَدُ حائِضٍ * فلم يَكُ
الا كَذَواقِ شارِبٍ * اوفُواقِ حالِبٍ * حتّى انْدَلَقَ شَخْصُ الوَلَدِ * لِخَصِيْصَى الزَّبَدِ *
بقُدْرَةِ الواحِدِ الصَّمَدِ * فامْتَلَأَ القَصْرُ حُبوراً * واسْتَطارَ عَبيدُه وعَبيدُه سُروراً * واحاطَتِ
الجَماعَةُ بابي زيدٍ تُثْني عليه * وتُقَبِّلُ يَدَيْه ورِجْلَيْه * وتَتَبَرَّكُ بمِساسِ طِمْرَيْه * حتّى خُيِّلَ الَيَّ
انَّه القَرَنِيُّ اُوَيْسٌ * او الاَسَدِيُّ دُبَيْسٌ * ثم انثال عليه من جَوائِزِ المُجازاة * ووَصائِلِ
الصِّلات * ما قَيَّضَ له الغِنى * وبَيَّضَ وَجْهَ المُنى * ولم يَخْلُ يَنْتابُه الدَّخْل * مُذْ نُتِجَ السَّخْل *
الى اَنْ اُعْطِيَ البَحْرَ الاَمانَ * وتَسَنَّى الاِتْمامُ الى عُمانَ * فاكتفى ابو زيدٍ بالنِّحْلَة *
وتأَهَّبَ للرِّحْلَة * فلم يَسَعِ الوالي بَحْرَكَتَه * بعدَ تَجْرِبَةِ بَرَكَتِه * بل اَوْمَرَ بضَمِّهِ الى خُزانَتِه *
وَاَنْ تُطْلَقَ يَدُه في خِزانَتِه * قال الحارثُ بن همام فلمّا رأيتُه قد مالَ * الى حَيْثُ
يَكْتَسِبُ المالَ * اَنْحَيْتُ عليه بالتَّعْنيف * وهَجَنْتُ له مُفارَقَةَ المأْلَفِ والاَلِيْف * فقال
اليك عَنّي * واسْمَعْ مِنّي *

نظم

لا تَصْبُوَنَّ الى وَطَنْ * فيه تُضامُ وتُمْتَهَنْ

وارْحَلْ عَنِ الدَّارِ الَّتِي * تُعْلِي الوِهَادَ عَلَى القُنَنْ

واهْرُبْ الى كِنٍّ يَقِي * ولَوَ انَّه حِضْنا حَضَنْ

وارْبَأْ بِنَفْسِك اَنْ تُقِيْمَ * بحيثُ يَغْشاكَ الدَّرَنْ

وجُبِ البِلادَ فَأَيُّها * اَرْضاكَ فاخْتَرْهُ وَطَنْ

ودَعِ التَّذَكُّرَ للمَعا * هِدِ والحَنِيْنَ الى السَّكَنْ

واعلَمْ بِاَنَّ الحُرَّ في * اَوْطانِه يَلْقَى الغَبَنْ

كالدُّرِّ في الاصْدافِ يُسْتَزْرَى ويُبْخَسُ في الثَّمَنْ

ثم قال حَسْبُك ما اسْتَمَعْتَ * وحَبَّذا اَنْتَ لوِ اتَّبَعْتَ * فاوضَحْتُ له مَعاذِيرِي *
وقلتُ له كُنْ مَذِيْرِي * فَعَذَرَوامُتَذَرِّ * وزَوَّدَ حتَّى لم يَذَرْ * ثُمَّ شَيَّعَنِي تَشْيِيْعَ
الاَقارِبِ * الى اَنْ رَكِبْتُ في القارِبِ * فودَّعْتُه وانا اَشْكُو الفِراقَ واَذُمُّه *
واَوَدُّ لو كانَ هَلَكَ الجَنِيْنُ واُمُّه *

المقامة الاربعون التبريزية

اَخْبَرَ الحارثُ بنُ هَمَّام * قال اَزْمَعْتُ التَّبْرِيْزَ من تَبْرِيْز * حينَ نَبَتْ بالدَّليل والعزيز *
وخَلَتْ من المُجِيْرِ والمُجِيْز * فبَيْنا اَنا في اِعْدادِ الاُهْبَة * وارتيادِ الصُّحْبَة * لَقِيْتُ
ابازيدِ السَّروجيَّ مُلْتَفِّاً بكِساءٍ * ومُحْتَفًّا بِنِساءٍ * فسألْتُه من خَطْبِه * والى اَيْنَ يَسْرُبُ مع
سِرْبِه * فاَوْمَأَ الى امْرَأَةٍ منهُنَّ باهِرَةِ السُّفُور * ظاهِرَةِ النُّفُور * وقال تَزَوَّجْتُ هذه

لتُونِسَنِي في الغُرْبَة * وتَرْحَضَ عَنِّي قَشَفَ العُزْبَة * فلَقِيْتُ مِنها مَرَقَ القِرْبَة * تَمْطُلُنِي
بحَقِّي * وتُكَلِّفُنِي فَوْقَ طَوْقِي * فانا مِنها نَضُوُوجِيّ * وحِلْفُ شَجْوٍ وشَجِيّ * وها نَحْنُ
قَدْ تَسامَيْنا الى الحاكِم * لِيَضْرِبَ على يَدِ الظّالِم * فانِ انْتَظَمَ بيننا الوِفاقُ * والاَّ فالطَّلاقُ
والانْطِلاقُ * قال فَمِلْتُ الى اَنْ اَخْبَرَ لِمَنِ الغَلَبُ * وكَيْفَ يكونُ المُقْلَبُ * فجَعَلَتْ
شُغْلِي دَبْرَ اُذُنِي * وصَحِبْتُهما وانْ كُنْتُ لا اُغْنِي * فلَمَّا حَضَرَ القاضِي وكان مِمَّنْ
يَرَى فَضْلَ الامْساك * ويَضِنُّ بنُفاثَةِ السِّواك * جَثَا اَبُوزَيْدٍ بَيْنَ يَدَيْه * وقال اَيَّدَ اللهُ
القاضِيَ واَحْسَنَ اَلْبَه * اِنَّ مَطِيَّتِي هذه اَبِيَّةُ القِياد * كثيرةُ الشِّراد * مَعَ اَنِّي اَطْوَعُ لها
من بَنانِها * واَحْنى عليها من جَنانِها * فقال لها القاضِي وَيْحَكِ اَما عَلِمْتِ انَّ النُّشوزَ
يُغْضِبُ الرَّبَّ * ويُوْجِبُ الضَّرْبَ * فقالَتْ اِنَّه مِمَّنْ يَدُوْرُ خَلْفَ الدَّار * ويَاخُذُ الجارَ
بالجار * ولَيْسَ لِي على ذٰلِكَ اصْطِبار * فقالَ له القاضِي تَبًّا لكَ اَتَبْدُرُ في السِّباخ * وتَسْتَفْرِخُ
حيثُ لا افراخ * اُغْرُبْ عَنِّي لا نَعِمَ مَوْفُك * ولا اَمِنَ خَوْفُك * فقال ابوزيدٍ انَّها ومُرْسِلِ
الرِّياح * لَاَكْذَبُ مِنْ سَجاحٍ * فقالَتْ بل هو ومَنْ طَوْقَ الحَمامَةَ * وجَنَّحَ النَّعامَةَ *
اَكْذَبُ من ابى ثُمامة * حين مَخْرَقَ باليَمامة * فَزَفَرَ ابوزيدٍ زَفِيْرَ الشَّواظ * واستشاطَ اشْتِياطَةَ
المُغْتاظ * وقال لها وَيْلَكِ يا دَفارِ يا فَجارِ * يا غُصَّةَ البَعْلِ والجارِ * اَتَعْمِدِيْنَ في الخَلْوَةِ لِتَعْذِيبِي *
وتُبْدِيْنَ في الحَفْلَةِ تَكْذِيبِي * وقد عَلِمْتِ اَنِّي حِيْنَ بَنَيْتُ عليكِ * ورَنَوْتُ اليكِ * اَلْفَيْتُكِ
اَقْبَحَ من قِرْدَةٍ * واَيْبَسَ من قِدَّةٍ * واَخْشَنَ من لِيْفَةٍ * واَنْتَنَ من جِيْفَةٍ * واَثْقَلَ من

هَيْضَةٍ * وَاقْذَرَ مِن حِيضَةٍ * وَأَبْرَزَ مِن قِشْرَةٍ * وَأَبْرَدَ مِن قِرَّةٍ * وَأَحْمَقَ مِن رِجْلَةٍ *
وَأَوْسَعَ مِن دِجْلَةٍ * فَسَتَرْتُ عُوَارَكِ * وَلَمْ أُبْدِ عَارَكِ * عَلَى أَنَّهُ لَوْ حَبَتْكِ شِيرِينُ بِجَمَالِهَا *
وَزُبَيْدَةُ بِمَالِهَا * وَبِلْقِيسُ بِعَرْشِهَا * وَبُورَانُ بِغَرْشِهَا * وَالزَّبَّاءُ بِمُلْكِهَا * وَرَابِعَةُ بِنُسْكِهَا * وَخِنْدِفُ
بِفَخْرِهَا * وَالخَنْسَاءُ بِشِعْرِهَا فِي صَخْرِهَا * لَا نِفْتُ أَنْ تَكُونِي قَعِيدَةَ رَحْلِي * وَطُرُوقَةَ فَحْلِي * قَالَ
فَتَذَمَّرَتِ الْمَرْأَةُ وَتَنَمَّرَتْ * وَحَسَرَتْ عَنْ سَاعِدِهَا وَشَمَّرَتْ * وَقَالَتْ لَهُ يَا أَلْأَمَ مِن
مَادِرٍ * وَأَشْأَمَ مِن قَاشِرٍ * وَأَجْبَنَ مِن صَافِرٍ * وَأَطْيَشَ مِن طَامِرٍ * أَتَرْمِينِي بِشَنَارِكَ *
وَتَغْرِي عِرْضِي بِشِفَارِكَ * وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَحْقَرُ مِن ثُلَامَةٍ * وَأَمْيَبُ مِن بَعْلَةِ ابْنِ
دُلَامَةٍ * وَأَنْضَحُ مِن حَبَنَّةٍ فِي حَلْقَةٍ * وَأَحْيَرُ مِن بَقَّةٍ فِي حُقَّةٍ * وَهَبْكَ الْحَسَنَ فِي لَفْظِهِ
وَوَعْظِهِ * وَالشَّعْبِيَّ فِي عِلْمِهِ وَحِفْظِهِ * وَالْخَلِيلَ فِي عَرُوضِهِ وَنَحْوِهِ * وَجَرِيرًا فِي غَزَلِهِ
وَهَجْوِهِ * وَقُسًّا فِي فَصَاحَتِهِ وَخَطَابَتِهِ * وَعَبْدَ الْحَمِيدِ فِي بَلَاغَتِهِ وَكِتَابَتِهِ * وَأَبَا عَمْرٍو فِي
قِرَاءَتِهِ وَإِعْرَابِهِ * وَابْنَ قُرَيْبٍ فِي رِوَايَتِهِ مِن أَعْرَابِهِ * أَتَظُنُّنِي أَرْضَاكَ إِمَامًا لِمِحْرَابِي *
وَحُسَامًا لِقِرَابِي * لَا وَاللَّهِ وَلَا بَوَّابًا لِبَابِي * وَلَا عَصًا لِجِرَابِي * فَقَالَ لَهُمَا الْقَاضِي
أَرَاكُمَا شَنًّا وَطَبَقَةً * وَحِدَأَةً وَبُنْدُقَةً * فَاتْرُكْ أَيُّهَا الرَّجُلُ اللَّدَدَ * وَاسْلُكْ فِي سَبِيلِ الْجَدَدِ *
وَأَمَّا أَنْتِ فَكُفِّي عَنْ سِبَابِهِ * وَقَرِّنِي إِذَا أَتَى الْبَيْتَ مِن بَابِهِ * فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ وَاللَّهِ
مَا أَسْجُنُ عَنْهُ لِسَانِي * إِلَّا إِذَا كَسَانِي * وَلَا أَرْفَعُ لَهُ شِرَاعِي * دُونَ إِشْبَاعِي * فَحَلَفَ
أَبُو زَيْدٍ بِالْمَحْرَجَاتِ الثَّلَاثِ * إِنَّهُ لَا يَمْلِكُ سِوَى أَطْمَارِ الْإِرْثَاثِ * فَنَظَرَ الْقَاضِي فِي قَصَصِهِمَا

نَظَرَ الْأَلْمَعِيِّ * وَأَفْكَرَ فِكْرَةَ اللَّوْذَعِيِّ * ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا بِوَجْهٍ قَدْ قَطَّبَهُ * وَمِجَنٍّ قَدْ قَلَّبَهُ *
وَقَالَ أَلَمْ يَكْفِكُمَا التَّسَافُهُ فِي مَجْلِسِ الْحُكْمِ * وَالْإِقْدَامُ عَلَى هَذَا الْجُرْمِ * حَتَّى تَرَاقَيْتُمَا
مِن فَحْشِ الْمُقَاذَعَةِ * إِلَى خُبْثِ الْمُخَادَعَةِ * وَايْمُ اللَّهِ لَقَدْ خَطَأَتْ اسْتُكُمَا الْحُفْرَةَ *
وَلَمْ يُصِبْ سَهْمُكُمَا الثَّغْرَةَ * فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ * أَعَزَّ اللَّهُ بَقَائِهِ الدِّينَ * نَصَبَنِي لِأَقْضِيَ
بَيْنَ الْخَصْمَاءِ * لَا لِأَقْضِيَ دَيْنَ الْغُرَمَاءِ * وَحَقِّ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَحَلَّتْنِي هَذَا الْمَحَلَّ * وَمَلَّكَتْنِي
الْعَقْدَ وَالْحَلَّ * لَئِنْ لَمْ تُوضِحَا لِي جَلِيَّةَ خَطْبِكُمَا * وَخَبِيَّةَ خِبِّكُمَا * لَأُنَدِّدَنَّ بِكُمَا فِي الْأَمْصَارِ *
وَلَأَجْعَلَنَّكُمَا عِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ * فَأَطْرَقَ أَبُو زَيْدٍ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ * ثُمَّ قَالَ لَهُ سَمَاعِ سَمَاعِ *

نظم

أَنَا السَّرُوجِيُّ وَهَذِي مِرْسِي * وَلَيْسَ كُفْوًا لِلْبَدْرِ غَيْرُ الشَّمْسِ
وَمَا تَنَافَى أُنْسُهَا وَأُنْسِي * وَلَا تَنَاءَى دَيْرُهَا مِن قَسِّي
وَلَا عَدَتْ مُقْيَايَ أَرْضَ غَرْسِي * لَكِنَّنَا مُنْذُ لَيَالٍ خَمْسِ
نُصْبِحُ فِي ثَوْبِ الطَّوَى وَنُمْسِي * لَا نَعْرِفُ الْمَضْغَ وَلَا التَّحَسِّي
حَتَّى كَأَنَّا لِخُفُوتِ النَّفْسِ * أَشْبَاحُ مَوْتَى نُشِرُوا مِن رَمْسِ
فَحِينَ مَزَّ الصَّبْرُ وَالتَّأَسِّي * وَشَفَّنَا الضُّرُّ الْأَلِيمُ الْمَسِّ
قُمْنَا لِسَعْدِ الْجَدِّ وَاللَّحْسِ * هَذَا الْمَقَامُ لَا جِتَلَابِ فَلْسِ
وَالْفَقْرُ يُلْجِي الْحُرَّ حِينَ يُرْسِي * إِلَى التَّحَلِّي فِي لِبَاسِ اللَّبْسِ

فهذه حالي وهذا درسي * فانظر الى يومي وسل من امسي

واءمر بجبري ان تشا اوحبسي * ففي يديك صحتي ونكسي

فقال له القاضي ليثب انسك * ولتطب نفسك * فقد حق لك ان تغفر خطيئتك * وتوفر عطيتك * فثارت الزوجة عند ذلك واستطالت * واشارت الى الحاضرين وقالت *

نظم

يا اهل تبريز لكم حاكم * اوفى على الحكام تبريزا

ما فيه من عيب سوى انه * يوم الندى فسمته ضيزى

قصدته والشيخ نبغي جنى * عود له ما زال مهزوزا

فسرح الشيخ وقد نال من * جدواه تخصيصا وتمييزا

وردني اخيب من شائم * برقا خفا في شهر تموزا

كانه لم يدر اني التي * لقنت ذا الشيخ الاراجيزا

وانني ان شئت غادرته * اضحوكة في اهل تبريزا

قال فلما رأى القاضي اجتراء جنانهما * وانصلات لسانهما * علم انه قد مني منهما بالداء العياء * والداهية الدهياء * وانه متى منح احد الزوجين * وصرف الآخر صفر اليدين * كان كمن قضى الدين بالدين * او صلى المغرب ركعتين * فطلسم وطرسم * واخرنطم وبرطم * وهمهم وغمغم * ثم التفت يمنة وشأمة * وتململ كآبة وندامة *

واخذ يذم القضاء ومنابه * ويعدد شوائبه ونوائبه * ويفند طالبه وخاطبه * ثم تنفس كما يتنفس الحريب * وانتحب حتى كاد يغصه النحيب * وقال ان هذا لشيء عجيب * اارشق في موقفٍ بسهمين * االزم في قضية بغرمين * اطيق ان ارضي الخصمين * ومن اين * ومن اين * ثم عطف الى حاجبه * المنفذ لمآربه * وقال ما هذا يوم حكم وقضاء * وفصل وامضاء * هذا يوم الاغتمام * هذا يوم الاغترام * هذا يوم البحران * هذا يوم الخسران * هذا يوم عصيب * هذا يوم نصاب فيه ولا نصيب * فارحني من هذين المهذارين * واقطع لسانهما بدينارين * ثم فرق الاصحاب * واغلق الباب * واشع انه يوم مذموم * وان القاضي فيه مهموم * لئلا يحضرني خصوم * قال فامن الحاجب على دعائه * وتباكى لبكائه * ثم نفذا بازيد ومرسه المثقالين * وقال اشهد انكما لاحيل الثقلين * لكن احترما مجالس الحكام * واجتنبا فيها فحش الكلام * فما كل قاضٍ قاضي تبريز * ولا كل وقتٍ تسمع الاراجيز * فقال له مثلك من حجب * وشكر قد وجب * ونهضا وقد حظيا بدينارين * واصليا قلب القاضي نارين *

تفسير ما تضمنت هذه المقامة من الالفاظ اللغوية والامثال العربية

قوله لقيت منها عرق القربة هذا مثل يضرب لمن يلقى شدة في الامر الذي يزاوله كما ان حامل القربة يلقى جهدا حتى يعرق * وقوله جعلته دبر اذني يعني اطرحته *

وهو كقوله تعالى فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِم وقوله اَكْذَبُ من سَجاحٍ يعنى التى تَنَبَّأَتْ في عَهْدِ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ * وسارَتْ اليه لِتُنـاظِرَهُ وتُخَيِّرَهُ * ثُم آمَنَتْ به ووَهَبَتْ نفسها له * وهذا الاسم مبنىٌّ على الكَسْرِ مثلَ حَذامِ وقَطامِ لكونه من الاَسْماءِ المَعْدولة واشتقاقُه من السَّجاحة وهى السُّهولة ومنه قولُهم مَلَكْتَ فَاسْجِحْ * وقولُها اَكْذَبُ من ابى ثُمامَةَ هذه كُنيةُ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّاب وكان تَنَبَّأَ باليَمامة ومَخْرَقَ بها الى اَنْ سارَ اليه خالدُ بنُ الوَلِيدِ وقَتَلَه * وقوله لا نَعِمَ مَوْفُكَ العَوْفُ الحالُ وهو ايضا الذِّكْرُ * ويُدْعى للبانى على اَهْلِه فيُقال له نَعِمَ عَوْفُكَ * وقوله يادَفارِ فَجارِ هذا ان الاِسْمانِ مَعْدولان عن دَفِرَةٍ وفاجِرَةٍ والدَّفَرُ النَّتْنُ وبه سُمِّيَتِ الدُّنيا اُمَّ دَفَرٍ وكلُّ ما سُمِّىَ بصِفَةٍ غالبةٍ ثُم عُدِلَ بها الى فَعالِ بُنِىَ على الكَسْرِ عند النِّداءِ كقولك يا لَكاعِ يا خَباثِ يا دَفارِ يا فَجارِ ولا يجوزُ استعمالُ ذلك فى غَيْرِ النِّداءِ الا فى ضَرُورةِ الشِّعرِ كقَوْلِ الشَّاعِرِ *

نظم

اُطَوِّفُ ما اُطَوِّفُ ثُم آوِى * الى بَيْتٍ قَعِيدَتُه لَكاعِ

واما قولُه اَحْمَقُ من رِجْلَةٍ فهى ضربٌ من الحَمْضِ تَنْبُتُ فى مَجارِى السُّيُولِ فيَجْتَرِفُها * واما قولُها اَلْاَمُ من مادِرٍ فهو رجُل من بنى هِلالِ بنِ عامِرٍ كان اتَّخَذَ حَوْضًا لِسَقْىِ ابِلِه فلَمَّا رَوِيَتْ سَلَحَ فيه ومَدَرَه بسَلْحِه لِئَلَّا يَنْتَفِعَ به مَنْ بَعْدَه * واما قولُها اَشْأَمُ من قاشِرٍ فانه فَحْلٌ كان فى بَعْضِ قَبائِلِ سَعْدِ بنِ زَيْدِ مَناةَ مَا طَرَقَ اِبِلاً اِلَّا مَاتَتْ * وقيل المرادُ به العامُ المُجْدِبُ وسُمِّىَ قاشِرًا لِقَشْرِه وَجْهَ الاَرْضِ من النَّباتِ * واما قولُها اَجْبَنُ من

صافِرٍ فقد اخْتُلِفَ فى تَفْسيرِه قال بعضُهم عُنِىَ به كُلُّ ما يَصْفِرُ من الطَّيْرِ * وخُصَّ بالجُبْنِ لِكَثْرةِ ما يَتَّقِيه من جَوارِحِ الجَوِّ ومَصائِدِ الاَرْضِ وقيل انه طائِرٌ بعَيْنِه اذا جَنَّه اللَّيْلُ تَعَلَّقَ ببَعْضِ الاَغْصانِ ولم يَزَلْ يَصْفِرُ طَوالَ لَيْلَتِه خَوْفًا من اَنْ يَنامَ فيُؤْخَذَ * وقيل اِنَّه الَّذى يَصْفِرُ بالمَرْأةِ لِرِيبَةٍ فهو يَجْبُنُ وقتَ صَفيرِه مَخافَةَ اَنْ يُظْهِرَ على اَمْرِه * وقيل اَنَّ المُرادَ به فى المَثَلِ المَصْفورُ به وهو الَّذى يُنْذِرُ بالصَّفيرِ فعلى هذا القَوْلِ فاعِلٌ ههُنا بمعنى مَفْعولٍ كقوله تعالى مِنْ ماءٍ دافِقٍ اَى مَدْفُوقٍ وكقولهم راحِلَةٌ بمعنى مَرْحولَةٍ وهو كثيرٌ فى كلامِهم * وقد جاءَ مفعولٌ بمعنى فاعِلٍ كقوله تعالى حِجابًا مَسْتُورًا اى ساتِرًا * واما قولُها اَطْيَشُ من طامِرٍ فالمرادُ به البُرْغُوثُ ويُسَمَّى طامِرَ بنَ طامِرٍ لكَثْرةِ وُثُوبِه * واما قولُ القاضى اَراكُما شَنًّا وطَبَقَه وحِدَأةً وبُنْدُقَه فانه اراد به ان كُلًّا مِنْكُما كَفُوٌ لصاحِبِه ومُقاوِمٌ له ولِكُلٍّ من المَثَلَيْنِ تفسيرٌ مُخْتَلَفٌ فيه * اَمَّا شَنٌّ وطَبَقَه فاِنَّ العُلَماءَ مختلفون فى معنى قولِهم وافَقَ شَنٌّ طَبَقَه فقالَ الاكثرون اِنَّهُما قَبِيلَتانِ فشَنٌّ هو ابنُ افصى بن دُعْمِىِّ بن جَدِيلَةَ بن اَسَدِ بن رَبِيعَةَ بن نِزارٍ * وطَبَقَةُ حَىٌّ من اِيادٍ وكانت طَبَقَةُ لا تُطاقُ فاَوْقَعَتْ بها شَنٌّ فانتصفتْ مِنْها * وقال بعضهم كان شَنٌّ رَجُلًا من دُهاةِ العَرَبِ وكان الْتَزَمَ نَفْسَه اَلَّا يتزوَّجَ الا بامْرَأةٍ تُلائِمُه فكان يَجُوبُ البِلادَ فى ارتيادِ طَلِبَتِه فصاحَبَه رجُل فى بَعْضِ اَسْفارِه فلَمَّا اَخَذَ مِنْهما السَّيْرُ قال له شَنٌّ اَتَحْمِلُنى اَمْ اَحْمِلُك فقال له الرَّجُلُ ياجاهِلُ هل يَحْمِلُ الرَّاكِبُ الراكِبَ فاَمْسَكَ وسارا حتى اَتَيا على زَرْعٍ فقال له شَنٌّ اَتَرى هذا الزَّرْعَ

قد اُكِلَ اَمْ لا فقال له يا جاهِلُ اما تراهُ فى سُنْبُلِه فَامْسَكَ الى اَن استقبلَتْهما جنازةٌ فقال له شَنٌّ اَترى صاحبَها حيًّا فقال له ما رأيتُ اَجْهَلَ مِنْكَ اَترا هم حَمَلُوا الى القبور حيًّا ثم انَّهما وصلا الى قَرْيةِ الرَّجُل فصاربه الى مَنْزله وكانت له بنتٌ تُسَمّى طَبَقَةَ فاَخَذَ يُطْرِفُها بحديثِ رفيقِه فقالت له ما نَطَقَ الا بالصَّوابِ ولا استَفْهَمَكَ الَّا مَمَّا يُستَفْهَم من مِثْلِه امَّا قولُه اتَحْمِلُنى ام آحْمِلُك فانه اَراد اَتُحَدِّثُنى ام اُحَدِّثُك حتى نَقْطَعَ الطريقَ بالحديث واما قولُه اَترى هٰذا الزَّرْعَ اُكِلَ ام لا فانَّه اراد هل استَسْلَفَ اَهْلُه ثَمَنَه ام لا واما استفهامُه من صاحبِ الجنازة اَحَيٌّ هُوفانَّه اراد اَخَلَّفَ عَقِبًا يَحْيى ذِكْرُه بهام لا فلمّا خَرَجَ الى الرجل حَدَّثَه بتاويل ابنته كلامَه فخَطَبَها اليه فزوَّجَه اِيّاها فلمّا صارَ بها الى قَوْمِه وخَبِرُوا ما فيها من الدَّهاءِ والفِطْنَةِ قالُوا وافَقَ شَنٌّ طَبَقَةَ فصارَتْ مَثَلًا وحُكِىَ اَنَّ الاَصْمَعِىَّ سُئِلَ من تفسيرهذا المَثَل فقال اَظُنُّ الشَّنَّ وِعاءً من اَدَمٍ كان قد استَشَنَّ فلما اتُّخِذَ له غِطاءٌ وافَقَه ضُرِبَ فيه هٰذا المَثَل * واما حِدَأَةٌ وبُنْدُقَةٌ فانَّه يُقال فى المَثَلِ المَضْروبِ لِمَنْ يَفْزَع بعَدُوٍّ اويُبْلى بنَظِيرِه حِدَأٌ حِدَأٌ وَراءَكَ بُنْدُقَةٌ وكانَ الاَصْلُ حِدَأَةٌ باثبات الهاءِ فرُخِّمَ فى النِّداءِ وقد اختلف فى المرادِ بهما فقيلَ هما الطَّائرُ المعروف وبُنْدُقَةُ الرَّامى وقيل انَّهما قبيلَتان من سَعْدِ العشيرة فاَغارَتْ حِدَأَةُ وكانت تَنْزِلُ بالكوفه على بُنْدُقة وكانت تنزل باليَمن فَنالَتْ منهم ثم كَرَّتْ بُنْدُقَةُ على حِدَأَةَ فاَنْحَتْ عليهم وروى بعضهم هذا المَثَلَ حِدا حِدا غيرَ مَهْمُوزٍ على مثالِ عَصا

وَقفا * وزعم انه اسم القبيلة * واما قوله اَخْطَأَتْ اِستُكُما الحُفْرَةَ فانَّه مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَنْ يُخْطِى فى مَقْصِدِه ويضعُ الشَّىْءَ فى غيرِ موضعِه * واما قولُه طَلْسَمَ وطَرْسَمَ فمعنى طَلْسَمَ كَرَّهَ وَجْهَه ومعنى طَرْسَمَ اَطْرَقَ * وقوله اِخْرَنْطَمَ وبَرْطَمَ اى غَضِبَ وقَطَّبَ وقيل معنى آخر نَطَمَ اى غَضِبَ مع تكبُّرٍ ومعنى بَرْطَمَ اى غَضِبَ مع تَعَبُّسٍ * وقوله هَمْهَمَ وغَمْغَمَ اى لم يُبِينِ الكلامَ *

المقامة الحادية والاربعون التنيسية

حَدَّثَ الحارثُ بن هَمّام قال اَطْعَتُ دَواعِىَ النَّصابى * فى غُلَواءِ شَبابِى * فلم اَزَلْ زِيرًا للغِيدِ * وَاُذُنًا للاغارِيدِ * الى اَنْ وافَى النَّذِيرُ * وولّى العَيْشُ النَّضِيرُ * فقَوِمْتُ الى رُشْدِ الانتباه * وندِمْتُ على ما فَرَطْتُ فى جَنْبِ اللّٰه * ثم اَخَذْتُ فى كَسْعِ الهَنَاتِ بالحَسَنات * وتَلافِى الهَفَواتِ قَبْلَ الفَوات * فملْتُ عن مُغاداةِ الغاداتِ * الى مُلاقاةِ الثِّقاة * وعَنْ مُقاناةِ القَيْنات * الى مُداناةِ اَهْلِ الدِّيانات * وآلَيْتُ ان لَا اَصْحَبَ الَّا مَنْ نَزَعَ عَنِ الغَىِّ * وفاءَ مَنْشُوهُ الى الطَّىِّ * وان اَلْفَيْتُ مَنْ هو خَلِيعُ الرَّسَنِ * مَدِيدُ الوَسَنِ * اَنَأَيْتُ دارِى عَنْ دارِه * وفَوَرْتُ من عَرِّه وعارِه * فلمّا اَلْقَتْنِى الغُرْبَةُ بِتِنِّيس * واَحَلَّتْنِى مَسْجِدَها الاَنِيس * رأيتُ به ذا حَلْقةٍ مُلْتَحِمَةٍ * ونَظّارةٍ مُزْدَحِمَةٍ * وهو يَقُولُ بجاشٍ مَتِينٍ * ولِسانٍ مُبِينٍ * مِسْكِينُ اِبْنُ آدَمَ واَىُّ مِسْكِينٍ * رَكِنَ مِنَ الدُّنيا الى غيرِ رَكِينٍ * واَسْتَعْصَمَ منها بغيرِ مَكِينٍ * وذُبِحَ مِنْ حُبِّها بغيرِ سِكِّينٍ *

يَكْلَفُ بها لغباوته * ويكلبُ عليها لشقاوته * وبعنده فيها لمفاخرته * ولا يتزوّد منها لآخرته *
أُقسم بمن مرج البحرين * ونوّر القمرين * ورفع قدر الحجرين * لو عقل ابن آدم *
لما نادم * ولو أفكر فيما قدّم * لبكى الدّم * ولو ذكر المكافاة * لاستدرك ما فات * ولو نظر
فى المآل * لحسّن قبح الاعمال * يا عجبا كلّ العجب * لمن يقتحم ذات اللّهب * في اكتناز
الذهب * وخزن النشب * لذوى النشب * ثم من البدع العجيب * ان يعظك وخط المشيب *
وتؤذن شمسك بالمغيب * ولست ترى ان تنيب * وتهذّب المعيب * ثم اندفع ينشد *
انشاد من يرشد *

نظم

يا ويح من انذره شيبه * وهو على غيّ الصبا منكمش
يغشو الى نار الهوى بعدما * اصبح من ضعف القوى يرتعش
ويمتطى اللّهو ويعتدّه * اوطأ ما يفترش المفترش
لم يهب الشّيب الذى ما رأى * نجومه ذو اللّبّ الّا دهش
ولا انتهى ممّا نهاه النهى * منه ولا بالى بعرض خدش
فذاك ان مات فسحقا له * وان يعش فهو كمن لم يعش
لا خير في مخبا امرء نشره * كنشر ميت بعد عشر نبش
وحبّذا من عرضه طيّب * يروق حسّنا مثل برد رقش
فقل لمن قد شاكه ذنبه * هلكت يا مسكين او تنتقش

فاخلص التوبة تطمس بها * من الخطايا السّود ما قد نقش
وعاشر النّاس بخلق رضا * ودارمن طاش ومن لم يطش
ورش جناح الحزن ان حصّه * زمانه لا كان من لم يرش
وانجد الموتور ظلما فان * عجزت من انجاده فاستجش
وانعش اذا ناداك ذو كبوة * مساك في الحشر به تنتعش
وهاك كاس النّصح فاشرب وجد * بفضلة الكاس على من عطش

قال فلمّا فرغ من صبكياته * وقضى انشاد ابياته * نهض صبيّ قد شدن * واعرى البدن *
وقال يا ذوى الحصاة * والانصات الى الوصاة * قد وعيتم الانشاد * وفقهتم الارشاد *
فمن نوى منكم ان يقبل * ويصلح المستقبل * فليبن ببرّى من نيّته * ولا يعدل منّى
بعطيّته * فوالّذى يعلم الاسرار * ويغفر الاصرار * انّ سرّى لكما ترون * وانّ وجهى
ليستوجب الصّون * فاعينونى رزقتم العون * قال واخذ الشيخ فيما يعطف عليه القلوب *
ويستنى له المطلوب * حتّى انبط جفره * وامشوشب قفره * فلمّا ان اترع الكيس *
انصلت يميس * ويحمد تنيس * ولم يحل للشيخ المقام * بعد ما انصاع الغلام * فاسترفع
الايدى للدّعاء * ثم تحانحوا الانكفاء * قال الرّاوى فارتحت الى ان اعجمه * واحلّ
مترجمه * فتبعته وهو يشتدّ في سمته * ولا يقنق رنق صمته * فلمّا امن المفاجى * وامكن
التّفاجى * لفت جيده الىّ * وسلّم تسليم البشاشة علىّ * ثم قال ارافك ذكاء ذاك

الشُّوَيْدن * فقلتُ اِىْ والمُؤْمنِ المُهَيْمن * قال انّه فَتَى السَّرُوجى * ومُخْرِجُ الدَّرْمن
اللُّجَيْن * فقلتُ اَشْهَدُ انك لشَجَرةُ ثَمَرته * وشواظُ شرارته * فصدَّق كِهانتى * واستحسن
اِبانتى * ثُمّ قال هَلْ لكَ فى ابتدارِ البَيْت * لِنَتَنازَعَ كاسَ الكُمَيْت * فقلتُ له ويْحَك
اَتأمُرُوْنَ النَّاسَ بالبِرِّ وتَنْسَوْنَ اَنفُسكم * فانْتَرافنترارَ مُتَضاحِكٍ * ومَرَّ غَبْرُ مُماحِكٍ *
ثُم بَدا له اَنْ تَراجَعَ الىَّ * وقال اِحفَظْها عَنّى وعَلَىَّ *

نظم

اِصْرِفْ بِصَرْفِ الرَّاحِ عنك الاَسى * وَرَوِّحِ القَلْبَ ولا تَكْتَئِبْ
وقُل لِمَنْ لامَكَ فيما بِهِ * تَدْفَعُ عنك الهَمَّ قَدْ كَ اتَّئِبْ

ثُم قال اَمّا اَنا فسَأنطلِقُ * الى حيثُ اَصْطَبِحُ واَغْتَبِقُ * واذا كُنْتَ لا تَصْحَبُ * ولا تُلائِمُ
من يَطْرَبُ * فلَسْتَ لى برفيقٍ * ولا طَرِيْقُك لى بطريقٍ * فَخَلِّ سَبِيلِى ونَكِّبْ * ولا تُنَفِّرْ
عَنِّى ولا تُنَقِّبْ * ثُمَّ وَلَّى مُدْبِرًا ولم يُعَقِّبْ * قال الحارثُ بنُ هَمّام فانتهبْتُ وَجْدًا
عندَ انطلاقِه * وَوَدِدتُ لولَمْ اُلاقِه *

المقامة الثانية والاربعون النجرانية

حكى الحارثُ بن هَمّام * قال تَرامتْ بِى مَرامِى النَّوى * ومَسارِى الهَوى * الى اَنْ
صِرْتُ ابنَ كُلِّ تُرْبَةٍ * واَخا كُلِّ غُرْبَةٍ * اِلّا اَنِّى لَم اَكُن اَقْطَعُ وادِيًا * ولا اَشْهَدُ نادِيًا *
اِلّا لِاقْتِباسِ الاَدَبِ المُسْلِى من الاَشْجان * المُغْلِى قِيمَةَ الاِنسان * حتّى عُرِفَتْ لى هذه
السِّنْسِنَةُ * وتَناقَلَتْها عَنِّى الاَلْسِنَةُ * وصارَتْ اَعْلَقَ بى من الهَوى بِبَنِى عُذْرَةَ * والشَّجاعةِ

بآلِ اَبِى صُفْرَةَ * فلمّا اَلْقَيْتُ الجِرانَ بنَجْران * واصطَفَيْتُ بها النُّخْلانَ والجِيْرانَ * تَخَذْتُ
اَنْدِيَتَها مُعْتَمَرِى * ومَوْسِمَ نُكاهَتِى وسَمَرِى * فكُنْتُ اَتَعَهَّدُها صَباحَ ومَساءَ * واَظْهَرُ فيها على
ما سَرَّ وساءَ * فبَيْنَما اَنا فى نادٍ مَحْشودٍ * ومَحْفِلٍ مَشْهُودٍ * اِذْ جَثَمَ لَدَيْنا هِمْ * عليه هِدْمٌ *
فَحَيّى تَحِيَّةَ مَلِقٍ * بِلِسانٍ ذَلِقٍ * ثم قال يا بُدُورَ المَحافِلِ * وبُحُورَ النَّوافِلِ * قد تَبَيَّنَ
الصُّبْحُ لِذِى عَيْنَيْن * ونابَ العِيانُ مَنابَ مَدْلَيْن * فما ذا تَرَوْنَ فيما تَرَوْنَ *
اَتُحْسِنُوْنَ العَوْنَ * اَم تَنْأَوْنَ اِذْ تُدْعَوْنَ * فقالُوا تاللّهِ لَقَدْ فِظْتَ * ورُمْتَ اَنْ تَنْبِطَ
فِغْضَتَ * فناشَدَهم اللّهَ عَمَّا ذا اَصَدَّهم * حَتّى اسْتَوْجَبَ رَدَّهم * فقالوا كُنّا
نَتَناضَلُ بالاَلْفاز * كما بَيْنَنا ضَلُ يَوْمَ البِراز * فما تَمالَكَ اَنْ شَعَّثَ من المَنْصول *
والْحَقَ هذا الفَضْلَ بنَمَطِ الفُضول * فلَسَنَهُ لُسْنَ القَوْم * ووَخَزُوْهُ بآسِنَةِ اللَّوْم *
واَخَذَ هو يَتَنَصَّلُ مِن هَفْوَتِه * ويَتَنَدَّمُ على فَوْتَتِه * وهُم مُضِبُّونَ على مُواخَذَتِه * ومُلِبُّونَ
داعِىَ مُنابَذَتِه * الى اَن قال لهم يا قَوْمِ اِنَّ الاحتمالَ من كَرَمِ الطَّبْع * فَعُدُّوا عن اللَّذْع
والقَذْع * ثَمَّ هَلُمَّ الى اَنْ نُلْغِزَ * ولْيُحَكِّمِ المُبَرِّزَ * فسَكَنَ عند ذلك تَوَقُّدُهم * وانْحَلَّتْ
عُقَدُهم * ورَضُوْا بما شَرَطَ عليهم ولهم * واقْتَرَحُوا اَنْ يَكُونَ اَوَّلَهم * فاَمْسَكَ رَيْثَما
يُعْقَدُ شِسْعٌ * اَو يُشَدُّ نِسْعٌ * ثُمَّ قال اسْمَعُوا اُوقِيتُمُ الطَّيْشَ * ومُلِيتُمُ العَيْشَ * واَنْشَدَ
مُلْغِزًا فى مِرْوَحَةِ الخَيْش *

نظم

وجارِيةٍ فى سَيْرِها مُتَمَهِّلَةٍ * ولٰكِنْ على اِثْرِ المَسِيْرِ تَقُولُها

لها سَائِقٌ من جِنسِها يَستحثُّها * على أنَّه فِي الاحتثاثِ رَسِيلُها

تُرى فِي أوانِ القَيظِ تنطُفُ بالنَّدى * ويَبدُو إذا ولَّى المَصِيفُ فُحولُها

ثمَّ قال وهاكُم يا أولِي الفَضل * ومَراكِزَ العَقل * وأنشدَ مُلغِزًا فى حابُول النَّخل * نظم

ومُنتَسِبٍ الى أُمٍّ * تَنَشَّبَ أصلُه مِنها

يُعانِقُها وقد كانَتْ * نَقَتْه بُرْهةً منها

به يَتوصَّلُ الجانِي * ولا يُلحَى ولا يُنهَى

ثم قال ودُونَكم الخَفِيَّةَ العَلَم * المُعتكِرةَ الظُّلَم * وأنشدَ مُلغِزًا فى القَلَم * نظم

وما مُومٍ بِهِ عُرفُ الإمامُ * كما باهَتْ بصُحبَتِه الكِرامُ

له إذ يَرتوِي طَيشانُ صادٍ * ويَسكُنُ حِينَ يَعرُوهُ الأوامُ

ويُذرِي حِينَ يُستَسقَى دُمُوعًا * يَرُقنَ كما يَرُوقُ الابتسامُ

ثمَّ قال وعليكم بالواضِحةِ الدَّلِيل * الفاضِحةِ ما قِيل * وأنشدَ مُلغِزًا فى المِيل * نظم

وما ناكٍ أُختَينِ جَهرًا وخُفيةً * وليس عليه فى النِّكاحِ سَبِيلُ

متى يَغشَ هذِي يَغشَ فِي الحالِ هذِهِ * وإن مالَ بَعلٌ لم تَجِدْ يَمِيلُ

يَزِيدُهما عندَ المَشِيبِ تَعَهُّدًا * وبِرًّا وهذا فى البُعُولِ قَلِيلُ

ثمَّ قال وهذه يا ذَوِي الألبابِ * مِعيارُ الآداب * وأنشدَ مُلغِزًا فى الدُّولاب * نظم

وجَافٍ وهو مَوصُولٌ * وَصُولٌ لَيسَ بالجافِي

طَرِيقٌ بارِزٌ فاعجَبْ * له من راسِبٍ طافِ

يَسُحُّ دُموعَ مَهضُومٍ * ويَهضِمُ هَضمَ مِتلافِ

ويَخشَى منه حِدَّتَهُ * ولكِن قَلبُه صافِ

قال فلمَّا رَشَقَ * بالخَمسِ التى نَسَقَ * قال يا قومِ تَدَبَّرُوا هذه الخَمسَ * واعقِدُوا عليها الخَمسَ * ثمَّ رأيكم وضَمَّ الذَّيل * أوالازدِيادَ من الكَيل * قال فانتَفَزَّتِ القومَ شَهوةُ الزِّيادة * على ما اشرِبُوا من البَلادة * فقالوا له إنَّ وُقُوفَنا دُونَ حَدِّك * لَيُفحِمُنا مَن استِيواءِ زَندِك * فإن أتممتَ عَشرًا فمن عِندِك * فاهتَزَّ اهتِزازَ مَن فَلَحَ سَهمُه * وانحَزَلَ خَصمُه * ثمَّ افتَتَحَ النُّطقَ بالبَسمَلة * وأنشدَ مُلغِزًا فى المُزَمِّلة * نظم

ومَسرُورةٍ مَغمُومةٍ طُولَ دَهرِها * وما هِيَ تَدرِي ما السُّرورُ ولا الغَمُّ

تُقَرِّبُ أحيانًا لأجلِ جَنِينِها * وكَم وَلَدٍ لَولاهُ طُلِّقَتِ الأُمُّ

وتُبعَدُ أحيانًا وما حالَ عَهدُها * وإبعادُ مَن لم يَستَحِلْ عَهدُه ظُلمُ

إذا قَصُرَ اللَّيلُ استَلَذَّ وِصالَها * وإن طالَ فالإعراضُ من وَصلِها نُعمُ

لها مَلبَسٌ بادٍ أنِيقٌ مُبَطَّنٌ * بما يُزدَرَى لكن لما يُزدَرَى الحُكمُ

ثمَّ كَشَرَ عن أنيابِه الصَّفر * وأنشدَ مُلغِزًا فى الظُّفر * نظم

ومَرهُوبِ الشَّبا نامٍ * وما يُرعَى ولا يَشرَبْ

يُرَى فى العَشرِ دُونَ النَّحرِ فاسمَعْ وَصفَهُ واعجَبْ

ثُم تَحازَرَ تَحازُرَ العِفرِيت * وانشَدَ مُلغِزًا * في طاقَةِ الكِبريت *

نظم

وما مَحقورَةٌ تُدنى و تُقصى * ومامنها اذا فكّرتَ بُدّ

لها رأسان مُشتَبِهان جِدًّا * وكُلٌّ منهما لاَ خِيهِ ضِدّ

تُعذَّبُ اِنْ هما خُضِبا وتُلغى * اذا عَدِما الخِضابَ ولا تعدّ

ثم تَخَمَّطَ تَخَمُّطَ القَرم * وانشَدَ مُلغِزًا في حَلَبِ الكَرم *

نظم

وما شَيءٌ اذا فَسَدا * تَحوَّلَ غَيُّهُ رَشَدا

وإنْ هو راقَ اوصافًا * اَنارَ الشَّرَّ حَيثُ بَدا

زَكَى العِرقِ والِدُهُ * ولٰكِنْ بِئسَ ما وَلَدا

ثُم اعتَضَدَ عَصا التَّسيار * وانشَدَ مُلغِزًا في الطَّيّار *

نظم

وذِي طَيشَةٍ شِقُّهُ مائِلُ * وما عابَهُ بهما ما قِلُ

يُرى ابدًا فَوقَ عِلّيَةٍ * كما يَعتَلِي المَلِكُ العادِلُ

تَساوى لَدَيهِ الحَصا والنُّضارُ * وما يَستَوِي الحَقُّ والباطِلُ

وأعجَبُ اَوصافِهِ اِن نَظَرتَ * كما يَنظُرُ الكَيِّسُ الفاضِلُ

تَراضى الخُصومِ به حاكِمًا * وقد عَرَفوا انَّهُ مائِلُ

قال فظَلَّتِ الأفكارُ تَهيمُ في اَودِيَةِ الاَوهام * وتَجُولُ جَولانَ المُستَهام * الى ان طالَ الأمَد * وحَصحَصَ الكَمَد * فلما رآهم يَزدَدون ولا سَنا * ويَقضُونَ النَّهارَ بالمُنى * قال يا قَومِ

الامَ تَنظُرون * وحَتّامَ تُنظَرون * اَلَمْ يَأنِ لكم استِخراجُ الخَبِيّ * او استِسلامُ الغَبِيّ *

فقالوا لَه تاللهِ لقد اَمَضتَ * ونَصَبتَ الشَّركَ فاقتَنَصتَ * فتَحكَّم كيف شِئتَ * وحُزِ الغُنمَ

والصِّبتَ * فَفَرِّغ من كُلِّ مُعَمًّى فَرضًا * واستَخلِصهُ منهم نَصًّا * ثم فَتِّحِ الاَقفالَ *

ووَسِّمِ الاَغفالَ * وحاوِلِ الاِجفالَ * فاَطلِقَ به مِدرَةُ القَوم * وقال له لا لُبسَةَ بَعدَ اليَوم *

فاستَنسِبْ قبلَ الانطلاق * وهَبْها مُتعَةَ الطَّلاق * فاَطرَقَ حَنَّى فُلانٌ مُرِيب * ثم اَنشَدَ

والدَّمعُ يُخيب *

نظم

سَرُوجُ مَطلِعُ شَمسِي * ورَبعُ لَهوِي وأُنسِي

لٰكِنْ حُرِمتُ نَعيمِي * بِها ولَذَّةَ نَفسِي

وانتَضَيتُ منها اغتِرابًا * اَمَرُّ يَومِي وأَمسِي

ما لي مَقَرٌّ بِاَرضٍ * ولا قَرارٌ لِعَيسِي

يَومًا بِنَجدٍ ويَومًا * بالشّامِ اُضحِي واُمسِي

اُزجِي الزَّمانَ بِقُوتٍ * مُنَغَّصٍ مُستَخَسِّ

ولا اَبِيتُ وعِندِي * فَلسٌ ومَن لي بِفَلسِ

ومَن يَعِش مِثلَ عَيشِي * باعَ الحَيوةَ بِبَخسِ

ثم اِنَّه اختَبَرَ خُلاصَةَ النَّفسِ * وبَدَرَ ضارِبًا في الاَرض * فناشَدناهُ اَن يَعُودَ * واَستَبقَيناهُ الوُعُودَ * فلا وأبيكَ ما رَجَعَ * ولا التَّرغيبُ له نَجَعَ *

وتعرف بالحضرمية وبالبصرية

وهذه اول مقامة انشاها الحريري

المقامة الثالثة والاربعون البدويه المعروفة بالبكر والثيب

اخبرالحارث بن همام * قال هفا بي البين المطوح * والسير المبرح * الى ارض يضل بها الخريت * وتفرق فيها المصاليت * فوجدت ما يجد الحائر الوحيد * ورأيت ما كنت منه احيد * الا اني شجعت قلبي المزؤد * ونسأت نضوي المجهود * وسرت سير الضارب بقدحين * المستسلم للحين * ولم ازل بين وخد وذميل * واجازة ميل بعد ميل * الى ان كادت الشمس تجب * والضياء ينحنجب * فارتعت لاظلال الظلام * واقتحام جيش حام * ولم ادر اكفت الذيل وارتبط * ام اعتمد الليل واختبط * وبينا انا اقلب العزم * وامتحض الجزم * ترا أى لي شبح جمل * مستذر بجبل * فتوجيته قعدة مريح * وقصدته قصد مشيح * فاذا الظن كهانة * والركوبة عبرانة * والمريح قداز دمل ببجاده * واكتحل برقاده * فجلست عند راسه * حتى هب من نعاسه * فلما ازدهر سراجاه * واحس بمن فاجاه * نفر كما ينفر المريب * وقال اخوك ام الذيب * فقلت بل خابط ليل ضل المسلك * فاضئ لي اقدح لك * فقال ليسر عنك همك * فرب اخ لم تلده امك * فانسرى عند ذاك اشفاقي * وسرى الوسن الى آماقي * فقال عند الصباح يحمد القوم السرى * فهل ترى كما ارى * فقلت اني لك لاطوع من حدائك * واوفق من غدائك * فصدع بمحنتي * ونخبخ بصحبتي * ثم احتملنا

صعدين * وارتحلنا مدلجين * ولم نزل نعاني السرى * ونعاصي الكرى * الى ان بلغ الليل غايته * ورفع الفجر رايته * فلما اسفر الفاضح * ولم يبق الا واضح * توسمت رفيق رحلتي * وسمير ليلتي * فاذا هو ابو زيد مطلب الناشد * ومعلم الراشد * فتهاديا تحية المحبين * اذا التقيا بعد البين * ثم تباثثنا الاسرار * وتناثثنا الاخبار * وبعيري ينحط من الكلال * ورحلته تزف زفيف الرال * فاعجبني اشتداد اسرها * وامتداد صبرها * واخذت استشف جوهرها * واسأله من اين تخيرها * فقال ان لهذه الناقة * خبرا حلو المذاقة * مليح السيافة * فان احببت استماعه فاصغ * وان لم تشأ فلا تصغ * فانخت بقوله نضوي * واهدفت السمع لما يروي * فقال اعلم اني استعرضتها بحضرموت * وكابدت في تحصيلها الموت * فما زلت اجوب عليها البلدان * واطس باخفافها الظران * الى ان وجدتها عبر اسفار * وعدة فرار * لا يلحقها العناء * ولا تواهقها وجناء * ولا تدري ما الهناء * فارصدتها للخير والشر * واحللتها محل البر والسر * فاتفق ان ندت مذ مدة * ومالي سواها قعدة * فاستشعرت الاسف * واستشرفت التلف * ونسيت كل رزء سلف * ومكثت ثلثا * لا استطيع انبعاثا * ولا اطعم النوم الا حثاثا * ثم اخذت في استقراء المسالك * وتفقد المسارح والمبارك * وانا لا استنشي منها ريحا * ولا استشي باسا مريحا * وكلما ادكرت مضاءها في السير * وانبراءها لمباراة الطير * لامني الادكار * واستهوتني الافكار * فبينما انا في حواء بعض الاحياء اذ سمعت من شخص مبتعد * وصوت منجرد * من ضلت له مطية *

حَضْرَمِيَّةٌ وَطِيَّةٌ * جِلْدُها قدوُسِمَ * وعَرُّها قد حُسِمَ * وزِمامُها قد ضُفِرَ * وظَهْرُها كَانْ
قد كُسِرَ ثُمَّ جُبِرَ * تَزِينُ الماشِيَةَ * وتُعِينُ الناشِيَةَ * وتَقْطَعُ المَسافَةَ النّائِيَةَ * وتَظَلُّ ابَدًا
لك مُدانِيَةً * لا يَعْتَوِرُها الوَنى * ولا يَعْتَرِضُها الوَجَى * ولا تَحُوجُ الى العَصا *
ولا تَعْصِي فيمن عَصى * قال ابوزيد فجَذَبَنِي الصَّوْتُ الى الضّائِت * وبَشَّرَنِي بدَرْكِ
الفائِت * فلمّا افْضَيْتُ اليه * وسَلَّمْتُ عليه * قلتُ له سَلِّم المَطِيَّةَ * وتَسَلَّم العَطِيَّةَ * فقالَ
وما مَطِيَّتُك * فقلتُ خَطِيَّتُك * قلتُ ناقَةٌ جُثْتُها كالهَضَبَة * وذُرْوَتُها كالقُبَّة * وحَلَبُها
مِلْءُ العُلْبَة * وكُنْتُ اُعْطِيتُ بها عِشْرِينَ * اِذْ حَلَلْتُ يَبْرِينَ * فاستَزَدْتُ الّذِي
اَعْطى * ودَرَيْتُ انّه اَخْطَأ * قال فاَعْرَضَ حِينَ سَمِعَ صِفَتِي * وقال لَسْتَ بصاحِبِ
لُقَطَتِي * فاَخَذْتُ بتَلابِيبِه * واَصْرَرْتُ على تَكْذِيبِه * وهَمَمْتُ بتَمْزِيقِ جَلابِيبِه * وهو
يَقُول يا هذا اما مَطِيَّتِي بِطُلَيْك * فاكْفُفْ من غَرْبِك * ومُدَّ من سَيْبِك * والّا فقاضِنِي الى
حَكَمِ هذا الحَيّ * البَرِيِّ من الغَيّ * فاِنْ اَوْجَبَها لك فتَسَلَّم * وان زَواها عَنْك فلا
تَتَكَلَّم * فلم اَرَ دَواءَ قِصَّتِي * ولا مَساغَ غُصَّتِي * اِلّا اَنْ آتِيَ الحَكَمَ * ولَوْلَكَمَ *
فانعَرَطْنا الى شَيْخٍ رَكِينِ النِّصْبَة * اَنِيقِ العِصْبَة * يُونَسُ منه سُكُونُ الطّائِر * وان لَيْسَ
بالجائِرِ * فانْدَرَأْتُ اَتَظَلَّم واَتَأَلَّم * وصاحِبِي مُرِمٌّ لا يَقْرَمُ * حتّى اذا انْثَلَمْتُ
كِنانَتِي * وقَضَيْتُ من القَصِّ لُبانَتِي * اَبْرَزَ نَعْلًا رَزِينَةَ الوَزْن * مَحْذُوَّةً لِمَسْلَكِ
الحَزْن * وقال هذه الّتي عَرَفْتَ * واِيّاها وَصَفْتَ * فاِنْ كانت هي الّتي اُعْطِيَ بها

عِشْرِين * وهاهُو من المُبْصِرِين * فقد كَذَبَ فى دَعْواه * وكَبُرَ ما افْتَراه * اللّهُمَّ الّا
اَن يَمُدَّ قَذالَه * ويُبِينَ مِصْداقَ ما قالَه * فقال الحَكَمُ اللهمّ غَفْرًا * وجَعَلَ يُقَلِّبُ النَّعْلَ
بَطْنًا وظَهْرًا * ثُم قال اَمّا هذه النَّعْلُ فنَعْلِي * واَمّا مَطِيَّتُك ففِي رَحْلِي * فانهَضْ لِتَسَلُّمِ
ناقَتِك * واجْعَلِ الخَبَرَ بحَسَبِ طاقَتِك * فقُمْتُ وقُلْتُ *

نظم

اَقْسِمُ بالبَيْتِ العَتِيقِ ذِي الحُرَمْ * والطّائِفِينَ العاكِفِينَ فى الحَرَمْ
اِنَّكَ نِعْمَ مَنْ اليه يُحْتَكَمْ * وخَيْرُ قاضٍ فى الاَمارِيبِ حَكَمْ
فاسْلَمْ ودُمْ دَوْمَ النَّعامِ والنَّعَمْ *

فاَجابَ من غَيْرِ رَوِيَّةٍ * ولا مَقْدِنِيَّةٍ * وقال *

نظم

جُزِيتَ مَنْ شُكْرِكَ خَيْرًا يا ابْنَ عَمْ * اِذْ لَسْتَ اَسْتَوْجِبُ شُكْرًا يُلْتَزَمْ
شَرُّ الاَنامِ مَنْ اذا اسْتُقْضِيَ ظَلَمْ * ثُمَّ مَنِ اسْتُرْمِيَ فلم يَرْعَ الحَرَمْ
فَذانِ والكَلْبُ سَواءٌ فى القِيَمْ *

ثُمَّ اِنَّه نَفَذَ بَيْنَ يَدَيَّ * مَنْ سَلَّمَ النّاقَةَ اِلَيَّ * ولم يَمْتَنَّ عَلَيَّ * فرُحْتُ اَجُرُّ ذَيْلَ الطَّرَب *
واقُولُ يا لَلْعَجَب * قال الحارِثُ بنُ هَمّام فقلتُ له تاللهِ لقد اَطْرَفْتَ * وهَرَفْتَ
بما عَرَفْتَ * فنَاشَدْتُكَ اللهَ هَلْ لَقِيتَ اَسْحَرَ منك بَلاغَةً * واَحْسَنَ لِلَفْظِ صِياغَةً * فقالَ اللّهُمَّ
نَعَمْ * فاسْمَعْ ونَعَمْ * كُنْتُ عَزَمْتُ حِينَ اتّهَمْتُ * على اَنْ اَتَّخِذَ ظَعِينَةً * لِتَكُونَ لِي مُعِينَةً * فحِينَ
تَعَيَّنَ الخِطْبُ * وكادَ الاَمْرُ يَسْتَتِبُّ * اَفْكَرْتُ فِكَرَ المُتَحَرِّزِ من الوَهْم * المُتَأَمِّلِ كَيْفَ مَسْقَطُ

السهم * وبتُّ لَيْلَتِي أُنَاجِي القَلْبَ المُعَذَّب * وأُقَلِّبُ العَزْمَ المُذَبْذَب * إلى أَنْ
أَجْمَعْتُ عَلَى أَنْ أُسِيرَ * وأُشَاوِرَ أَوَّلَ مَنْ أُبْصِرَ * فلما قَوَّضَتِ الظُّلْمَةُ أَطْنَابَهَا * وولَّتِ الشُّهُبُ
أَذْنَابَهَا * غَدَوْتُ غُدُوَّ المُتَعَرِّف * وابْتَكَرْتُ ابتكارَ المُتَعَيِّف * فأَبْرَى لِي بائِعٌ * فِي وَجْهِهِ شَائِعٌ *
فَتَيَمَّمْتُ بِمَنْظَرِهِ البَهِيج * واسْتَقْدَحْتُ رأْيَهُ فِي التَّزْوِيج * فقال أَوَتَبْغِيهَا عَوَانًا * أَمْ بِكْرًا
تُعَانِي * فقُلْتُ اخْتَرْ لِي مَا تَرَى * فقد أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ العُرَى * فقال إِنِّي التَّبْيِينُ * وعَلَيْكَ
التَّعْيِينُ * فاسْمَعْ أُنَاْفِدْكَ * بَعْدَدِ مَنْ أَعَادِيكَ * أَمَّا البِكْرُ فالدُّرَّةُ المَخْزُونَة * والبَيْضَةُ
المَكْنُونَة * والثَّمَرَةُ البَاكُورَة * والسُّلَافَةُ المَذْخُورَة * والرَّوْضَةُ الأُنُف * والطَّوْقُ الَّذِي ثُمِّنَ
وشُرِّف * لم يَدْنِسْهَا لامِسٌ * ولا اسْتَغْشَاهَا لابِسٌ * ولا مَارَسَهَا عَابِثٌ * ولا وَكَسَهَا طَامِثٌ *
ولَهَا الوَجْهُ الحَيِيُّ * والطَّرْفُ الخَفِيُّ * واللِّسَانُ العَيِيُّ * والقَلْبُ النَّقِيُّ * ثم هِيَ الدُّمْيَةُ
المُلَاعَبَة * واللُّعْبَةُ المُدَاعَبَة * والغَزَالَةُ المُغَازِلَة * واللَّمْحَةُ الكَامِلَة * والرِّشَاحُ الطَّاهِرُ القَشِيب *
والضَّجِيعُ الَّذِي يُشَبُّ ولا يُشِيب * وأما الثَّيِّبُ فالمَطِيَّةُ المُذَلَّلَة * واللُّهْنَةُ المُعَجَّلَة *
والبُغْيَةُ المُسَهَّلَة * والطِّبْقَةُ المُعَلَّلَة * والقَرِينَةُ المُحَبَّبَة * والخَلِيلَةُ المُتَقَرِّبَة * والصَّنَاعُ
المُدَبِّرَة * والفَطِنَةُ المُخْتَبِرَة * ثم إِنَّهَا عُجَالَةُ الرَّاكِب * وأُنْشُوطَةُ الحَاطِب * وقُعْدَةُ العَاجِز *
ونُهْزَةُ المُبَارِز * مَرِيكَتُهَا لَيِّنَة * ومُقْلَتُهَا هَيِّنَة * ودِخْلَتُهَا مَتِينَة * وخِدْمَتُهَا مُزَيِّنَة * وأُقْسِمُ
لقد صَدَقْتَ فِي النَّعْتَيْن * وأُجْلِيتَ المَهَاتَيْن * فبِأَيِّهِمَا هَامَ قَلْبُكَ * وعَلَى أَيِّهِمَا قَامَ زُبُّكَ *
قال ابو زيد فرأَيْتُهُ جَنْدَلَةً يَتَقِيهَا المَرَاجِمُ * وتُدْمِي مِنْهَا المَحَاجِمُ * الَّا أَنِّي قُلْتُ لَهُ كُنْتُ

سَمِعْتُ أَنَّ البِكْرَ أَشَدُّ حُبًّا * وأَقَلُّ خِبًّا * فقال قَدْ لَعَمْرِي قِيلَ ذَا * ولَكِنْ كَمْ قَوْلٍ آذَى *
ويَحَكَ أَمَا هِيَ المُهْرَةُ الأَبِيَّةُ العِنَان * والمَطِيَّةُ البَطِيَّةُ الإِذْعَان * والزَّنْدَةُ المُتَعَسِّرَةُ الاقْتِدَاح *
والقَلْعَةُ المُسْتَصْعَبَةُ الافْتِتَاح * ثم إِنَّ مُؤْنَتَهَا كَثِيرَةٌ * ومَعُونَتَهَا يَسِيرَةٌ * ومِشْرَتَهَا صَلِفَةٌ * ودَّتَهَا
مُكَلِّفَةٌ * ويَدَهَا خَرْقَاءُ * وفِتْنَتَهَا صَمَّاءُ * ومِرْيَكَتَهَا خَشْنَاءُ * ولَيْلَتَهَا لَيْلَاءُ * وفِي رِيَاضَتِهَا عَنَاءٌ *
وعَلَى حِبَرَتِهَا غِشَاءٌ * وطَالَمَا أَخَزَتِ المَنَازِلَ * وفَرَكَتِ المَغَازِلَ * وأَحْنَقَتِ الهَازِلَ * وأَضْرَمَتِ
الفَنِيقَ البَازِلَ * ثم إِنَّهَا الَّتِي تَقُولُ أَنَا أَلْبَسُ وأَجْلِس * نَاطُلُبْ مَنْ تُطْلِقُ وتَحْبِس * فقلتُ
له فما تَرَى فِي الثَّيِّب * يَا أَبَا الطَّيِّب * فقال وَيْكَ أَتَرْغَبُ فِي فُضَالَةِ المَأْكَل * ونُمَالَةِ المَنْهَل *
واللِّبَاسِ المُسْتَبْذَل * والوِعَاءِ المُسْتَعْمَل * والدَّوَّافَةِ المُنْطَرِفَة * والمَحَرَّاجَةِ المُنْصَرِفَة *
والوَقَّاحِ المُتَسَلِّطَة * والمُنْكِرَةِ المُتَسَخِّطَة * ثم كَلِمَتُهَا كُنْتُ وصِرْتُ * وطَالَمَا بُغِيَ عَلَيَّ
فَنُصِرْتُ * وشَتَّانَ بَيْنَ اليَوْمِ وأَمْسِ * وهَيْهَاتَ القَمَرُ مِنَ الشَّمْسِ * وإِنْ كَانَتِ
الحَنَّانَةَ البَرُوك * أَوِ الطَّمَّاحَةَ الهَلُوك * فهِيَ الغُلُّ القَمِلُ * والجُرْحُ الذي لا يَنْدَمِلُ *
فقلتُ له هَلْ تَرَى أَنْ أَتَرَهَّبَ * وأَسْلُكَ هَذَا المَذْهَبَ * فانْتَهَرَنِي انْتِهَارَ المُؤَدِّب *
مُنْدَرِّئَةَ المُنَادِب * ثم قال وَيْلَكَ اقْتَدِي بالرُّهْبَان * والحَقُّ قد اسْتَبَان * أُفٍّ لَكَ
ولِوَهْنِ رَأْيِكَ * وتَبًّا لَكَ ولِأُولِئِك * أَتَرَاكَ مَا سَمِعْتَ بِأَنْ لا رَهْبَانِيَّةَ فِي الإِسْلَام *
ولَا حَدَّثَتْ بِمَا نَكَحَ نَبِيُّكَ عليه السلام * ثم أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ السَّكَنَ الصَّالِحَةَ تَرُبُّ بَيْنَك *
وتُلْبِي صَوْتَك * وتَغُضُّ طَرْفَك * وتُطَيِّبُ عَرْفَك * وبِهَا تَرَى قُرَّةَ عَيْنِك * ورَيْحَانَةَ

اَنفك * وفَرحَةَ قلبك * وتعلّة يومك وغدك * فكيف رغبتَ عن سُنّة المرسلين * ومتعة
المتاهلين * وشرعة المحصنين * ومجلبة المال والبنين * والله لقد ساءني فيك *
ما سمعتُ من فيك * ثم اَمرَض اعراضَ المُغضب * ونزا نزوانَ العنظب * فقلتُ له
فاتلك اللهُ انطلقَ مُتبختراً * وتدمني مُتحيراً * فقال اَظنّك تدمي الحيرةَ * لتجلدَ
مُميرة * وتستغني من المُهمرة * فقلتُ له قبّحَ اللهُ ظنّك * ولا اَشبّ قرنك * ثم رُحتُ عنه
مَراحَ الخزيان * وتنبتُ من مُشاورة الصبيان * قال الحارثُ بن هَمّام فقلتُ له
اُقسِم بمن انبتَ الاَيك * انّ الجدالَ منك واليك * فاَغربَ في الضحك * وطَرِبَ
طَربةَ المُنهتك * ثُمّ قال اِلعَقِ العسل * ولا تسل * فاخذتُ اُسهِبُ في مَدح الاَدبَ *
واُفضّل ربّه على ذي النسب * وهو ينظرُ اليّ نظرَ المُستجهِل * ويُغضي عنّي اِغضاءَ
المُمهِل * فلمّا اَسرفتُ في العصبيّة * للعُصبةِ الاَدبيّة * قال لي صَهْ * واسمَعْ مِنّي وافقهْ *

نظم

يقولون انّ جمالَ الفتى * وزينتَهُ اَدبٌ راسِخ
وما ان يزينُ سِوى المُكثرين * ومَن طَودُ سُودَدِهِ شامِخ
فاَمّا الفقيرُ فخيرٌ له * مِنَ الاَدبِ القُرصُ والكامِخ
واَيّ جمالٍ له اَن يُقال * اَديبٌ يُعلِّمُ او ناسِخ

ثُم قال سيضحُ لكَ صِدقُ لهجتي * واستنارةُ حُجّتي * وسِرنا لانا لوجهدا * ولا نستفيقُ

جَهدا * حتّى اذا نا السّيرُ * الى قريةٍ مَزَبَ منها الخيرُ * فدخلناها للارتياد * وكلانا مُنفِضُ
مِنَ الزاد * فما ان بلغنا المَحطّ * والمناخَ المُختطّ * اَولقينا غلامٌ لم يبلغ الحنث * وعلى
عاتقه ضِغثٌ * فحيّاه ابو زيد تحيّةَ المُسلِم * وسأله وقفةَ المُفهِم * فقال وعمّ تسأل وفّقك الله *
قال اُبيعُ ههُنا الرطبُ * بالحطب * قال لا والله * قال ولا البلحَ * بالمِلح * قال كلاّ
والله * قال ولا التمرَ * بالسمرة * قال هيهاتَ والله * قال ولا العصيدةُ * بالقصيدة * قال
اُمسكْ ما فاكَ الله * قال ولا الثرائدَ * بالفرائد * قال اَينَ يذهبُ بك ارشدكَ الله *
قال ولا الدقيقَ * بالمعنى الدقيق * قال مَدِ من هذا اصلحكَ الله * واستحلى ابو زيد
تراجُعَ السؤال والجواب * والتكايُلَ من هذا الجراب * ولمح الغلام انّ الشوطَ بطينٌ *
والشيخَ شُيَيطِينٌ فقال له حسبُك يا شيخ قد عرفتُ فنَكَ * واستبنتُ انكَ * فخُذِ الجوابَ
صُبرةً * واكتفِ به خِبرةً * اَمّا بهذا المكانِ فلا يُشترى الشِعرُ بشعيرة * ولا النثرُ بنثارة *
ولا القصصُ بقُصاصةٍ * ولا الرسالةُ بعُصالةٍ * ولا حِكَمُ لُقمانَ بلُقمة * ولا اَخبارُ المَلاحم
بلُحمة * واَمّا جيلُ هذا الزمانِ فما فيهم مَن يَمنحُ * اذا صِيغَ له المَديحُ * ولا مَن يُجيزُ *
اذا اُنشِدَ له الاَراجيزُ * ولا مَن يُغيثُ * اذا اَطرَبَهُ الحديثُ * ولا مَن يَميرُ * ولو انّه
اَمير * وعندهم انّ مَثَلَ الاَديب * كالرَبعِ الجديب * اِن لم تَجِدِ الرَبعَ دِيمةٌ * لم تكُن
له قيمةٌ * ولا دانته بهيمةٌ * وكذا الاَدب * اِن لم يَعضُدهُ نَشَب * فدَرسُه نَصَبٌ *
وحِزبُهُ حَصَبٌ * ثُم انسدرَ يعدو * وولّى يَحدو * فقال لي ابو زيد اَعلِمتَ انّ الاَدبَ

قد بارَ * وَوَلَّتْ انصارُهُ الادبارَ * فبُؤْتُ له بحُسْنِ البَصيرةِ * وسَلَّمْتُ بحُكْمِ الضَّرورةِ *
فقال دَعْنا الآن من المِصاعِ * وخُضْ في حَديثِ القِصاعِ * واعْلَمْ انَّ الاَسْجاعَ *
لاتُشْبِعُ مَنْ جاعَ * فما التَّدبيرُ فيما يُمْسِكُ الرَّمَقَ * ويُطْفِي الحُرَقَ * فقلتُ الاَمْرُ اليكَ *
والزِّمامُ بيَدَيْكَ * فقالَ اُرى ان تَرْهَنَ سَيْفَكَ * لتُشْبِعَ جَوْنَكَ وضَيْفَكَ * فناوِلْنيهِ
واقِمْ * لانْقَلِبَ اليكَ بِما تَلْتَقِمُ * فاحْسَنْتُ به الظَّنَّ * وقَلَّدْتُه السَّيْفَ والرَّهْنَ * فما لَبِثَ
اَنْ رَكِبَ الناقةَ * ورَفَضَ الصِّدْقَ والصَّداقَةَ * فمَكَثْتُ مَلِيًّا اَتَرَقَّبُهُ ثمَّ نَهَضْتُ اَتَعَقَّبُهُ *
فكُنْتُ كَمَنْ ضَيَّعَ اللَّبَنَ في الصَّيْفِ * ولَمْ اَلْتَهُ ولا السَّيْفَ *

المقامة الرابعة والاربعون الشتوية وتعرف باللغزية

حكى الحارثُ بن هَمَّامٍ * قال مَشَوْتُ في لَيْلةٍ داجيةِ الظَّلَمِ * فاجِمَةِ اللِّمَمِ * الى نارٍ
تُضْرَمُ على عَلَمٍ * وتُخْبِرُ عن كَرَمٍ * وكانت لَيْلَةً جَوَّها مَقْرُورٌ * وجَنْبُها مَزْرُورٌ * ونَجْمُها
مَغْمومٌ * وغَيْمُها مَرْكومٌ * وانا فيها اَصْرَدُ من عَيْنِ الحِرْباءِ * والعَنْزِ الجَرْباءِ * فلم اَزَلْ
اَنُصُّ عَنْسي * واَقُولُ طُوبى لكَ ولنَفْسي * الى اَنْ تَبَصَّرَ المُوقِدُ آلي * وتَبَيَّنَ اِرْقالي *
فانْحَدَرَ يَعْدُو والجَمْزى * ويُنْشِدُ مُرْتَجِزا *

نظم

حُيِّيتَ مِنْ خابِطِ لَيْلٍ سارِي * هَداهُ بل اَهْداهُ ضَوْءُ النَّارِ
الى رَحِيبِ الباعِ رَحْبِ الدّارِ * مُرَحِّبٍ بالطَّارِقِ المُمْتارِ
تُرحابَ جَعْدِ الكَفِّ بالدِّينارِ * لَيْسَ بمُزْوَرٍّ عَنِ الزُّوّارِ

ولا بِمُغْتامِ القِرى مِيخارِ * اِذا اقْشَعَرَّتْ تُرَبُ الاَقْطارِ
وضَنَّتِ الاَنْواءُ بالامْطارِ * فهْوَ على بُؤْسِ الزَّمانِ الضَّارِي
جَمُّ الرَّمادِ مُرْهَفُ الشِّفارِ * لم يَخْلُ في لَيْلٍ ولا نَهارِ
مِنْ نَحْرِ وارٍ واقْتِداحِ وارِي

ثمَّ تَلَقَّانِي بمُحَيَّا حَبِيٍّ * وصافَحَني براحَةٍ اَرْيَحِيٍّ * واقْتادَني الى بَيْتٍ عِشارُهُ
تَخُورُ * واَمْشارُهُ تَفُورُ * ووَلائِدُهُ تَمُورُ * ومَوائِدُهُ تَدُورُ * وبِاَكْسارِهِ اَضْيافٌ
قد جَلَبَهم جالِبي * وقُلِبُوا في قالَبي * وهُمْ يَجْتَنُون فاكِهَةَ الثِّناءِ * ويَمْرَحُون مَرَحَ
ذَوِي الفَتاءِ * فاَخَذْتُ مَاْخَذَهم في الاصْطِلاءِ * ووَجَدْتُ بهم وَجْدَ الثَّمِلِ
بالطِّلاءِ * ولَمَّا اَنْ سَرَى الحَصَرُ * وانْسَرى الخَصَرُ * اُتِينا بمَوائِدَ كالهِلالاتِ دَوْرًا *
والرَّوْضاتِ نَوْرًا * وقد شُحِنَّ بِاَطْعِمَةِ الوَلائِمِ * وحُمِينَ مِنَ العائِبِ واللّائِمِ * فرَفَضْنا
ما قِيلَ في البِطْنَةِ * ورَأَيْنا الامْعانَ فيها من الفِطْنَةِ * حَتَّى اِذا اكْتَلَأْنا بِصاعِ الحُطَمِ *
واَشْفَيْنا على خَطَرِ التُّخَمِ * تَعاوَرْنا مَشُوشَ الغَمَرِ * ثمَّ تَبَوَّأْنا مَقاعِدَ السَّمَرِ * واَخَذَ كُلٌّ مِنّا
يَقُولُ بلِسانِهِ * ويَنْشُرُ ما في صِوانِهِ * ما عَدا شَيْخًا مُشْتَهِبًا فَوّادًا * مُخْلَوْلِقًا بُرْدادًا * فانَّهُ
رَبَضَ حَجَرَةً * واَوْسَعَنا هِجْرَةً * فغاظَنا تَجَنُّبُهُ * المُلْتَبِسُ مَوْجِبُهُ * المَعْذُورُ فيهِ مُؤَنِّبُهُ *
الا انَّا اَلْنا لهُ القَوْلَ * وخَشِينا في المَسْئَلَةِ العَوْلَ * وكُلَّما رُمْنا اَنْ يَفِيضَ كما فِضْنا *
اَوْ يَفِيضَ فيما اَفَضْنا * اَمْرَضَ اِمْراضِ العِلَّةِ من الاَرَنْدَلِينِ * وتَلا اِنْ هٰذا اِلَّا اَساطِيرُ

الأَوَّلِين * ثُمَّ كَأَنَّ الحَمِيَّةَ هاجَتْه * والنَّفَس الآبِيَةَ ناجَتْه * فدَلَف وازْدَلَف * وخَلَعَ الصَّلَف * وبَذَلَ ان يَتَلافى ما سَلَف * ثُمَّ اسْتَرْعَى سَمْعَ السّامِر * واندَفَعَ كالسَّيْلِ الهامِر * وقال *

نظم

عِنْدِي اَعاجِيبُ اَرْوِيها بلا كَذِبٍ * مِن العِيانِ فكَنُّونِي اَبا العَجَبِ

رَأَيْتُ يا قومِ اَقْواماً غِذاؤُهُمُ * بَوْلُ العُجُوزِ وما اَمْنِي ابْنَةَ العِنَبِ

بولُ العَجُوزِ لَبَنُ البَقَرة والعَجوزُ ايضا من اَسْماءِ الخَمْر *

ومُسْتَنِيرِين من الاَعْرابِ قَوْتُهُمُ * اَنْ يَشْتَوُوا خِرْقَةً تُغْنِي مِنَ السَّغَبِ

الخِرْقَةُ القِطْعَةُ من الجَراد

وكاتِبِين وما خَطَّتْ اَنامِلُهُم * حَرْفاً ولا قَرَأُوا ما خُطَّ فى الكُتُبِ

الكاتِبُونَ الخَرّازُون * يُقال كَتَبَ السِّقاءَ والمَزادَةَ اذا خَرَزَهما *

وقادِرِين مَتى ما شاءَ صُنْعُهُمُ * اَوْقَصَّرُوا فيه قالُوا الذَّنْبُ للحَطَبِ

القادِرُ الطابِخُ فى القِدْرِ والقِدْرُ المَطْبُوخُ فيها *

وتابِعِينَ عُقاباً فى مَسِيرِهِمِ * عَلَى تَكَمْيِهِمِ فِي البَيْضِ واليَلَبِ

العُقاب الرّايَةُ * وكانَتْ رايةُ النَّبِى صَلَّى اللّٰهُ عليه وسَلَّم تُسَمّى العُقابَ *

ومُنْدِيْنَ ذَوِى نَبْلٍ بَدَتْ لَهُمُ * نَبِيلَةٌ فانْثَنَوا مِنْها اِلى الهَرَبِ

النَّبِيلَةُ الجِبِقَّةُ ومِنْهُ تَنَبَّلَ البَعِيرُ اذا مات وارْوَحَ *

ومُصْعَبٍ لَمْ تَرَ البَيْتَ العَتِيقَ وقَدْ * حَجَّتْ جُثِيّاً بِلا شَكٍّ على الرُّكَبِ

معنى حَجَّتْ جُثِيّاً اى غَلَبَتْ بالحُجَّةِ مُجادِلِين جاثِين على الرُّكَب * وجُثِىّ جَمْعُ جاث *

ونِسْوَةٍ بَيْنَ ما اَدْلَجْنَ مِن حَلَبٍ * صَبَّحْنَ كاظِمَةً مِن غَيْرِ ما تَعَبِ

كاظِمَةٌ فى هذا المَوْضِع من كَظْمِ الغَيْظ

ومُدْلِجِين سَرَوْا مِن اَرْضِ كاظِمَةٍ * واَصْبَحُوا حِينَ لاحَ الصُّبْحُ فى حَلَبِ

اى اَصْبَحُوا يَحْلُبُون اللَّبَن

وبانِعالِمٍ يُلامِسُ قَطُّ غانِيَةً * شاهَدْتُهُ ولَهُ نَسْلٌ من العَقِبِ

البانِعُ الذى قد تَرَعْرَعَ ونَاهَزَ البُلُوغَ والنَّسْلُ هُهُنا العَدُوّ * ومنه قوله تعالى من كل جَدَثٍ يَنْسِلُون والعَقِبُ مُؤَخَّرُ القَدَم *

وشائِباً غَيْرَ مُخْفٍ للمَشِيبِ بَدا * فى البَدْوِ وهْوَ فَتَى السِّنِّ لم يَشِبِ

الشائِبُ ههنا مازِجُ اللَّبَنِ والمَشِيبُ اللَّبَنُ المَمْزوج يقال فيه مَشُوبٌ ومَشِيبٌ *

ومُرْضَعاً بِلَبانٍ لم يَفُهْ فَمُهُ * رَأَيْتُهُ فِي شِجارِ بَيِّنِ السَّبَبِ

الشِّجارُ الحَفَّةُ مالم تَكُنْ مُظَلَّلَةً فاِن ظُلِّلَتْ فهو الهَوْدَجُ والسَّبَبُ ههُنا الحَبْلُ ومنه قوله تعالى فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ اِلَى السَّماءِ *

وزارِعاً ذُرَّةً حَتّى اِذا حُصِدَتْ * صارَتْ غُبَيْراءَ يَهْواها اَخُو الطَّرَبِ

الغُبَيْراء السُّكَرُ المُتَّخَذُ من الذُّرَة وفى الحديث اِيّاكُم والغُبَيْراء فاِنَّها خَمْرُ العالَم

وتُسمّى السُّكُرْكة ايضا *

وراكِضًا وهو مَغْلُولٌ على فرسٍ * قَدْ غُلَّ ايضا وما يَنْفَكُّ من خَبَبِ

المغلَـوْل هٰهنـا العَسْطانُ وغُلَّ اى مَطِشَ

وذا يَدٍ طُلُقٍ يَقْتادُ راحِلَـةً * مُسْتعجِلًا وهو ما سُوْرًا خوكُرَبِ

الماسُوْرُ الّذى يَجِدُ الأسْرَ وهو احتباسُ البَـوْل

وجالِسًا ماشِيًا تَهْـوِى مَطِيَّتُـهُ * به وما فى الّذى اَوْرَدتْ من رِيَبِ

الجالِسُ الآتى نَجْدًا والماشِى الّذى كَثُرَتْ ماشِيتُه وعليه فَسَّرَ بَعْضُهُم قولَ الله تعالى

اَنِ امْشُوا كَأنّهُ دُعاءٌ لهم بالنّماء وكَثْرةِ الماشِية *

وحائكًا اَجْذَمَ الكَفَّيْنِ ذا خَرَسٍ * فان عَجِبْتُم فكم فى الخَلْقِ من عَجَبِ

الحائِكُ هٰهُنا الّذى اذا مَشَى حَرَّكَ مَنْكِبَيْه وفَجَّجَ بَيْنَ رُكْبَتَيْه *

وصادِعًا بالقَنا من غيرِ اَنْ عَلِقَتْ * كَفّاهُ يَوْمًا بِرُمْحٍ لا ولَمْ يَثِبِ

القَنـا ارتفاعُ الأنْفِ وتَحَدُّبُ وَسَطِـه وصَدَعَ به اى كَشَفَـهُ

وذا شَطاطٍ كصَدْرِ الرُّمْحِ قامَتُهُ * صادَفْتُه بِمِنًى يَشْكُو مِنَ الحَدَبِ

الحَـدَبُ ما ارتَفَـعَ من الارض

وساعِيًا فى مَسَرّاتِ الانامِ يَرَى * اِفْراحَهُم مَأْثَمًا كالظُّلْمِ والكَذِبِ

اِفْراحُهم اِثْقالُهم بالدَّيْن ومنه قوله عليه السلام لا يُتْرَكُ فى الاِسْلامِ مُفْرَحٌ اى مُثْقَـلٌ

ومُغْرَمًا بِمُنا جاةِ الرِّجالِ لَهُ * ومالَهُ فى حَدِيْثِ الخَلْقِ من اَرَبِ

الخَلْقُ هٰهُنا الكِذْبُ ومنه قولُه تعالى اِنْ هٰذا اِلّا خُلُقُ الاَوَّلِيْن *

وذا ذِمامٍ وَفَتْ بالعَهْدِ ذِمَّتُـهُ * ولا ذِمامَ له فى مَذْهَبِ العَـرَبِ

الذِّمامُ الاول العهد والثانى جمع ذِمَّةٍ وهى البِئْرُ القَلِيْلَةُ الماءِ وعنى بالمَذْهَبِ المَسْلَكَ

اى ما لَهُ فى البَدْوِ آبارٌ قَلِيْلَةُ الماءِ *

وذا قُوًى ما استبانَتْ قَطُّ لِيْنَتُهُ * ولِيْنُهُ مُسْتَبِيْنٌ غَيْرُ مُحْتَجِبِ

اللِّيْنُ النَّخْلُ الدَّقَلُ ومنه قولُه تعـالى ما قَطَعْتُم من لِيْنَةٍ *

وساجِدًا فَوْقَ فَحْلٍ غَيْرِ مُكْتَرِثٍ * بما اَتى بل يَراهُ اَفْضَلَ القُرَبِ

الفَحْلُ الحَصِيْرُ المُتَّخَـذُ من فُحّالِ النَّخْلِ

وعاذِرًا مُؤْلِمًا مَنْ ظَلَّ يَعْذِرُهُ * مَعَ التَّلَطُّفِ والمَعْذُورُ فى صَخَبِ

العاذِرُ الحـائِنُ والمَعْذُورُ المَخْتُونُ

وبَلْدَةً ما بها مـاءٌ لِمُغْتَرِفٍ * والماءُ يَجْرِى عليها جَرْىَ مُنْسَرِبِ

البَلْدَةُ الفُرْجَةُ بين الحاجِبَيْن * وتُسمّى ايضا البَلَّجَةَ *

وقَرْيَةً دُوْنَ اُفْحُوصِ القَطا شِحَنَتْ * بِدَيْلَمٍ عَيْشُهم من خُلْسَةِ السَّلَبِ

القَرْيَةُ بَيْتُ النَّمْلِ والدَّيْلَمُ النَّمْـلُ الكثيرُ *

وكَوْكَبًا يَتَوارَى عِنْدَ رُؤْيَتِهِ * الاِنْسانُ حَتّى يُرَى فى اَمْنَعِ الحُجُبِ

الكوكبُ النُكتةُ من البياضِ الّتي تَحْدُثُ فى العَيْن والإنسانُ ههُنا إنسانُ العَيْن *

ورَوْنَقٌ قُوِّمَتْ مَالَاَلَهُ خَطَرٌ * ونَفْس صاحِبها بالمالِ لم تَطِب

الرَّوْنَقُ مُقَدَّمُ الأَنْفِ *

وصَحْفَةٌ مِنْ نُضارٍ خالِصٍ شُرِيَتْ * بَعْدَ المِكاسِ بِقِيراطٍ مِنَ الذَّهَب

النُّضارُ ههُنا شَجَرُ النَّبْعِ وإيَّاهُ عنى ابراهيمُ النَخَعِيُّ بقوله لابامَ بأنْ يُشْرَبَ فى قَدَحِ النُّضَارِ *

ومُسْتَحِيشًا بِخَشْخاشٍ لِيَدْفَعَ ما * أظَلَّه من أعادِيه فلم يُخِب

الخَشْخاشُ الجَمَاعَةُ عليهم دُرُوعٌ وأسْلِحَةٌ *

وطالَما مَرَّ بى كَلْبٌ وفى فَمِهِ * نَوْرٌ ولكِنَّهُ ثَوْرٌ بلا غَبَب

النَّوْرُ القِطْعَةُ مِنَ الأَقِطِ *

وكَمْ رَأَى ناظِرِى فِيلًا على جَمَلٍ * وقَدْ تَوَرَّكَ فوقَ الرَّحْلِ والقَتَب

الفِيلُ الرَجُلُ الفائِلُ الرأى *

وكَمْ رَأَتْ مُقْلَتِى عَيْنَيْنِ ماؤُهما * يَجْرِى من الغَرْبِ والعَيْنان فى حَلَب

الغَرْبُ مَجْرَى الدَّمْعِ والعَيْنان ههُنا المُقْلَتان وحَلَبُ البَلْدَةُ المعروفةُ *

وكَمْ لَقِيتُ بِعُرْضِ البِيدِ مُشْتَكِيًا * وما اشْتَكَى قَطُّ فى جِدٍّ ولا لَعِب

المُشْتَكِى المُتَّخِذُ شَكْوَةً وهى القِرْبَةُ الصَّغِيرَةُ *

وكُنْتُ أبْصَرْتُ كَرَّازًا لِراعِيَةٍ * بالدَّوِّ يَنْظُرُ مِنْ عَيْنَيْنِ كالشُّهُب

الكَرَّازُ الكَبْشُ الَّذى يَحْمِلُ عليه الرَّاعِي أداتَه *

وكم نَزَلْتُ بأَرْضٍ لا نَخِيلَ بها * وبَعْدَ يَوْمٍ رَأَيْتُ البُسْرَ فى القُلَب

البُسْرُ جَمْعُ بُسْرَةٍ وهى الماءُ الحَدِيثُ العَهْدِ بالمَطَرِ والقُلَبُ جمع قَلِيبٍ *

وكَمْ رَأَيْتُ بأَقْطارِ الفَلا طَبَقًا * يَطِيرُ فى الجَوِّ مُنْصَبًّا الى صَبَب

الطَّبَقُ القِطْعَةُ من الجَرادِ *

وكم مَشائِخَ فى الدُّنْيا رأيتُهُمُ * مُخَلَّدِينَ ومن يَنْجُو من العَطَبِ

المُخَلَّدُ الَّذى أبْطَأَ شَيْبُه

وكَمْ بَدالِى وَحْشٌ يَشْتَكِى مَغَبًا * بِمَنْطِقٍ ذَلِقٍ أمْضَى مِنَ القُضُب

الوَحْشُ الرَّجُلُ الجائِعُ

وكَمْ دَمانِى مُسْتَنِجٌ فحادَثَنِى * وما أخَلَّ ولا أخْلَلْتُ بالأَدَبِ

المُسْتَنِجِى الجالِسُ على نَجْوَةٍ وهى المَكانُ المُرْتَفِعُ *

وكم أنَخْتُ قَلُوصِى تَحْتَ جُنْبُذَةٍ * تُظِلُّ ما شِئْتَ من عُرْبٍ ومِنْ عُرُبِ

الجُنْبُذَةُ القُبَّةُ والعُرْبُ جَمْعُ عَرُوبٍ وهى المرأةُ المَحَبِّبَةُ الى زَوْجِها *

وكم نَظَرْتُ الى مَنْ سَرَّ ما عَنَّهُ * ودَمْعُهُ مُسْتَهِلٌّ القَطْرِ كالسُّحُبِ

سُرَّاى قُطِعَ سِرَرُهُ ويُسَمَّى ما يَبْقَى بعد القَطْعِ السُّرَّةَ *

وكم رأيت قميصا ضرّ صاحبه * حتّى انثنى وهي الاعضاء والعصب

القميص الدّابّة الكثيرة القماص

وكم ازار لوان الدّهر اتلفه * لجّ لبد حثيث السّير مضطرب

الازار المرأة ومنه قول الشاعر *

فدىً لك من اخي ثقة ازاري * هذا وكم من افانين معجبة

عندي ومن ملح تلهى ومن نخب * فان فطنتم للحن القول بان لكم

صدقي وّد لكم طلعي على رطب * وان شددتم فان العارفيه على

من لا يميز بين العود والخشب *

قال الحارث بن همّام فطفقنا نخبط في تقليب قريضه * وتاويل معاريضه * وهو يلهو

بنا لهو الخلي بالشجى * ويقول ليس بعشكي فادرجي * الى ان تعسّر النتاج * واستحكم

الارتتاج * فالقينا اليه المقادة * وخطبنا منه الافادة * فوقفنا بين الطمع واليأس *

وقال الايناس قبل الابساس * فعلمنا انّه ممّن يرغب في الشكم * ويرتشي في الحكم *

وساء ابا متوانا ان نعرّض للغرم * او نخيّب بالرّغم * فاحضرنا ناقة عبدية * وحلّة

سعيدية * وقال له خذهما حلالاً * ولا ترزأ اضيافي زبالاً * فقال اشهدا انّها شنشنة اخزمية *

وارنبة حاتمية * ثمّ قابلنا بوجه بشره يشفّ * ونضرته ترفّ * وقال يا قوم ان اللّيل

قد اجلوذ * والنّعاس قد استحوذ * فانزعوا الى المراقد * واغتنموا راحة الرّاقد *

لينشروا نشاطا * وتبعثوا انشاطا * فتعوا ما افسر * ويتسهّل لكم المتعسّر * فاستصوب

كلّ ما رآه * وتوسّد وسادة كراه * فلما وسنت الاجفان * واغفت الضيفان * وثب الى

النّاقة فرحلها * ثمّ ارتحلها ورحلها * وقال مخاطبا لها *

نظم

سروج يا ناق فسيري وخدي * وادلجي واوبي واسئدي

حتّى تطأ خفّاك مرعاها النّدي * فتنعمي حينئذ وتسعدي

وتأمني ان تتهمي او تنجدي * اية فدتك النّوق جدّي واجهدي

وافري اديم قد فقد * واقتنعي بالنّشج عند المورد

ولا تحطّي دون ذاك المقصد * فقد حلفت حلفة المجتهد

بحرمة البيت الرّفيع العمد * انّك ان احللتني في بلدي

حللت منّي بمحلّ الولد *

قال فعلمت انّه السّروجيّ الّذي اذا باع انباع * واذا ملأ الصّاع انصاع * ولمّا انبلج

صباح اليوم * وهبّ النّوّام من النّوم * اعلمتهم ان الشّيخ حين اغشاهم السّبات *

طلقهم البنات * وركب النّاقة وفات * فاخذهم ما قدم وما حدث * ونسوا ما طاب

منه بما خبث * ثمّ انشعبنا في كلّ مشعب * وذهبنا تحت كلّ كوكب *

قال القاسم بن ملّي رضي الله عنه قد فسّرت سرّ كلّ لغز تحته * ولم ابعد على من

يقرؤه كشفه * وقد بقيت الفاظ اشتملت عليها هذه المقامة * ربّما القبس تفسيرها

على بَعض مَن تَقَع اليه فاحببت ايضاجهاله * ليُكفى حَيرةُ الشُّبهَة * وكُلفةُ الفكرة * ووَضمةُ البَحث والمَسئلة * وبالله تعالى الاستعانةُ والقوّة * قوله مَشوتُ الى نارٍ * يعنى تَنوّرتُها فقصدتُها فان لَم تَقصدها قلتَ مَشوتُ منها كقوله تعالى ومَن يَعشُ عَن ذِكرِ الرَّحمٰنِ نُقيِّض له شَيطانًا اى ومَن يُعرِض * وقولُه انا فيها اَصرُدُ من عَينِ الحِرباء والعَنزِ الجَرباء * هذان مَثَلان يُضرَبانِ لمن يَبلُغُ منه البَردُ * وذلك لِاَنَّ الحِرباءَ تَدورُ ابدًا مَعَ الشَّمس وتَستَقبِلُها بعَينِها ولذالِكَ شَبَّهَ ابنُ الرُّومِيِّ الرَّقيبَ بالحِرباءِ في قَولِه *

نظم

ما بالُها قد حُسِنَتْ ورَقيبُها * اَبدًا قَبيحٌ قُبحَ الرَّقباءُ

ماذاكَ اِلَّا اَنَّها شَمسُ الضُّحى * اَبدًا تَكونُ رَقيبُها الحِرباءُ

والعَنزُ الجَرباءُ لا تَدنو فى الشِّتاء لِقِلَّةِ شَعرِها * وذَكَرَ بَعضُهم اَنَّ العَنزَ الجَرباءَ تَصحيفُ المَثَلِ الاَوَّلِ * وقوله نَحروا رِيعنى الجَملَ المُكتَنِزَ شَحمًا الكَثيرَ مُخًّا * وقوله مِشارُهُ تَخور واَعشارُه تَفور العِشارُ النُّوقُ الحَوامِلُ واحِدَتُها عُشَراء وهى الَّتى اَتى عليها فى الحَمل عَشرةُ اَشهُرٍ ثم لا يَزالُ ذٰلِكَ اِسمَها حَتّى تَضَع * والاَعشارُ البُرمَةُ العَظيمةُ كَاَنَّها شُعِّبَتْ لِعِظَمِها يُقال بُرمَةٌ اَعشارُ وجَفنَةٌ اَكسارُ وثَوبٌ اَسمالٌ وبُردٌ اَخلاقٌ وحَبلٌ اَرمامٌ ووَصفُ الجَماعة منها كَوصفِ الواحد * وقوله فاكِهَةُ الشِّتاءِ كَنى بها عَنِ النّار ومنه قولُ بَعضِ المُحدَثين *

نظم

النّارُ فاكِهَةُ الشِّتاءِ فمَن يُرِدْ * اَكلَ الفَواكِه شاتِيًا فَلْيَصْطَلِ

انَّ الفَواكِهَ فى الشِّتاء شَهِيَّةٌ * وَالنّارُ لِلْمَقرورِ اَفضَلُ ما كُلِ

وقوله موائد كالهالات يَعنى دارات القَمر واحِدُها هالةٌ ودارَةُ الشَّمسِ تُسَمّى الطَّفاوة * وقوله مَشوشَ الغَمر يَعنِى المِندِيل يُقالُ مَشَّ يَدَه بالمِندِيل اى مَسَحها ومنه قَولُ امرِءِ القَيس *

نظم

نَمُشُّ بِاَعرافِ الجِيادِ اَكُفَّنا * اِذا نَحنُ قُمنا عَن شِواءٍ مُضَهَّبِ

وقوله مُشتَهِبًا فوداه اى صار مِنَ الشَّيبِ فى لَونِ الاَشهَب * ومنه قولُ امرِءِ القَيس ايضا *

نظم

قالَتِ الخَنساءُ لَمّا جِئتُها * شابَ بَعدِى رَأسُ هٰذا واشتَهَبْ

وقوله رَبَضَ حَجرةً يعنى ناحِيةً * ويقال فى المَثَل لِمَن يُشارِكُ فى الرَّخاءِ * ويُجانِبُ عِندَ البَلاءِ * يَرتَعُ وَسطًا ويَربِضُ حَجرةً *

وقوله فاستَرعَى سَمعَ السّامِرِ * يعنى السُّمّارَ لِاَنَّ السّامِرَ اسمٌ لِلجَمعِ كالحاضِرِ اسمٌ لِلحَيِّ النّازِلين على الماءِ وكالباقِرِ اسمٌ لِجَماعَةِ البَقَرِ وقال بَعضُ اَهلِ اللُّغةِ هو اسمٌ لِلبَقَرِ مع رُعاتِها واشتِقاقُ السّامِرِ من السَّمَرِ وهو ظِلُّ القَمَرِ ماخُوذٌ مِنَ السَّمُرَةِ فلَمّا كانَ غالِبُ احوالِ السُّمّارِ اَنَّهُم يَتَحَدَّثون فى ظِلِّ القَمَرِ اُشتُقَّ لَهُم اسمٌ منه والّى هذا يَرجِع قولهم لا اُكَلِّمُهُ القَمَرَ والسَّمَرَ * وقوله لَيسَ بِعُشِّكَ فادرُجى * هذا مَثَلٌ يُضرَبُ لِمَن يَتَعاطَى مالا يَنبَغى

له والعُشّ ما يكونُ في شَجَرةٍ فان كان في حائط او كَهْفِ جَبَلٍ فهو وَكْرٌ * وقوله الإيناسُ قبلَ الابساسِ * هذا مَثَلٌ ايضا ومَعْناه انَّه يَنبَغي ان يُؤنَسَ الانسانُ ثم يُكَلَّفُ واصلُه انَّ حالِبَ النّاقةِ يُؤنِسُها حِينَ يَروم حَلبَها ثم يُبِسُّ بها للحَلَب والإبساسُ ان يقولَ لها بُسْ بُسْ لِتَسْكُنَ وتَدِرَّ وتُسَمّى النـاقةُ التي تَدِرُّ على الإبساسِ البَسُوسَ * وقوله يَرغَبُ في الشِّكْمِ * الشِّكْمُ ما اَعْطَيتَه على سَبيلِ المُجازاة فان اَعْطَيتَه مُبتَدِئاً فهو الشُّكْدُ * وقوله ساءَ اَبا مَثْوانا * يعني المُضيفَ الذي اَوَوا اليه ونَوَوا عِنْدَه * وقوله نـاقةٌ صِيدِيَّةٌ * قيل انَّها مَنسوبةٌ الى فَحْلٍ مُنْجِبٍ اسمُه صِيدٌ وقيل انَّها مَنسوبةٌ الى فَخِذٍ من مَهْرةَ اسمُه صِيدُ بن الآمريّ على وَزْنِ العـامِري بن مَهْرةَ وكانت مَهْرةُ وصِيدٌ تَتَّخِذانِ نَجائِبَ الابلِ فَنُسِبَتْ اليهمـا * وقوله حُلّةٌ سَعِيدِيَّةٌ هي مَنسوبةٌ الى سَعِيدِ بنِ العاصِ وكانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كساهُ وهو غُلامٌ حُلّةً فنُسِبَ جِنسُها اليه * وقوله لاتَرْزَأُ اَصْيافي زِبالا اي لاتَرْزَأهم شَيْأً وان قَلّ والاَصْلُ في الزِّبالِ ما تَحمِلُه النَّملةُ بفيها * وقوله شِنشِنةٌ اَخْزَمِيَّةٌ * اشارَ به الى المَثَلِ الذي ضَربَه جَدُّ حاتِمِ بنِ عَبدِ اللّهِ بنِ سَعْدِ بنِ الحَشْرَجِ بنِ اَخْزَمَ الطّائيّ حِينَ نَشَأ حاتِمٌ وتَقَيَّلَ اَخلاقَ جَدِّه اَخْزَمَ في الجُودِ فقال شِنشِنةٌ اَعرِفُها مِن اَخْزَمَ * وتَمَثَّلَ عَقيلُ بنُ عُلّفَةَ به حِينَ قال *

نظم

اِنّ بَنِيَّ ضَرّجُوني بالدَّمِ * مَن يَلقَ اَسادَ الرِّجالِ يُكْلَمِ

شِنشِنةٌ اَعرِفُها اَخْزَمِ

ومَن ادَّعى اَنَّ المَثَلَ له فقَدْ سَها فيه * قوله اجلوّذَ اي اَسْرَعَ في الذَّهابِ ومثلُه اِخْرَوَّطَ وقوله وَثَبَ الى النّاقةِ فرَحَلَها يعني شَدَّ عليها الرَّحْلَ وبه سُمِّيَتِ الرّاحلةُ لانَّها فاعلةٌ في معنى مَفْعولةٍ كقوله تعالى في عِيشَةٍ رّاضِيَـةٍ اي مَرْضِيَّةٍ ومن ماءٍ دافِقٍ اي مدفوقٍ والرّاحِلةُ تقَعُ على النّاقةِ والجَمَلِ ودخولُ الهاءِ فيها للمُبالغةِ مثل داهِيَةٍ وراوِيَةٍ * وقوله ارْتَحِلْها اي رَكِبَها وفي الحَديثِ انَّ النَّبيَّ صَلَّى اللّهُ عليه وسَلَّمَ سَجَدَ فرَكِبَهُ الحَسَنُ رَضِيَ اللّهُ عنه فاَبْطَأَ في سُجودِه فلَمّا قَضى صَلوتَه قال اِنَّ ابْنِي ارتَحَلَني فكَرِهْتُ اَنْ اُعْجِلَه * وقوله ورَحَّلَها اي اَزْعَجَها واَشْخَصَها واَجَدَّ بها في الرَّحيلِ ومنه الخَبَرُ تَخْرُجُ عِنْدَ اقترابِ السّاعةِ نارٌ مِن قَعْرِ عَدَنَ تُرَحِّلُ النّاسَ * وقوله فادْلِجي واَوْبي واَسْدِي * الإدْلاجُ اَنْ تَسيرَ اللَّيْلَ كُلَّه والاِسْمُ منه الدُّلْجَةُ بفَتْحِ الدالِ والإدْلاجُ بالتَّشْديدِ اَنْ تَسيرَ من آخرِه والاسم منه الدُّلَجَةُ بضَمِّ الدّالِ وقيل انَّ الدلجة بفتح الدّال وضمّها بمعنىً واحدٍ * والتَّأويبُ سَيرُ النَّهارِ وَحْدَه * والاِسْآدُ اَنْ تَسيرَ لَيْلاً ونَهاراً * والنَّشْءُ اَنْ تَشْرَبَ دُونَ الرِّيِّ * وقوله فاَخَذَهُم ما قَدُمَ وما حَدُثَ يُقالُ ذلك لِمَن تَسْنَوْلِي الهُمومُ عليه وتَتَلاعَبُ به وتُضَمُّ الدّالُ من حَدُثَ في هٰذا المَوضِعِ وَحْدَه لِيُوافِقَ لَفْظُها لفظَ قَدُمَ فاِنْ اُفرِدَ حَدَثَ من قَدُمَ وجب فَتْحُ الدّالِ مِن حَدُثَ ومِثْلُه قَوْلُهم هَنَأَني ومَرَأَني بحَذْفِ الالفِ من اَمْرَأَني اذا ذُكِرَ مَعَ هَنَأَني فاِنْ اَفْرَدْتَه وَجَبَ ان تقولَ اَمْرَأَني الشَّيءُ وكذلك يقولون رِجْسٌ نِجْسٌ فيَكْسِرون النُّونَ مِن نَجِسٍ ويَسْكُنون

الجيم ليزاوج لفظة رجس فان افرد قيل نجس بفتح النون والجيم كما
قال الله تعالى انما المشركون نجس وقوله ذهبنا تحت كل كوكب * هذا مثل
يضرب لمن يختلف في السفر طرقهم * وتتباين سبلهم *

المقامة الخامسة والاربعون الرملية

حكى الحارث بن همام قال كنت اخذت عن اولى التجاريب * ان السفر مراة
الاعاجيب * فلم ازل اجوب كل تنوفة * واقتحم كل مخوفة * حتى اجتليت كل
اطروفة * فمن احسن ما لحنته * واغرب ما استملحته * اني حضرت قاضي الرملة *
وكان من ارباب الدولة والصولة * وقد ترافع اليه بال في بال * وذات جمال في
اسمال * فهم الشيخ بالكلام * وتبيان المرام * فمنعته الفتاة من الافصاح * وخساته
من النباح * ثم نضت عنها فضلة الوشاح * وانشدت بلسان السليطة الوقاح * نظم

يا قاضي الرملة ياذا الذي * في يده التمرة والجمرة
اليك اشكو جور بعلي الذي * لم يحجج البيت سوى مرة
ولينه لما قضى نسكه * وخف ظهرا اذ رمى الجمرة
كان على رأي ابي يوسف * في صلة الحجة بالعمرة
هذا على اني مذ ضمني * اليه لم اعص له امرة
عمرة اما الفة حلوة * ترضي واما فرقة مرة

من قبل ان اخلع ثوب الحيا * في طامة الشيخ ابي مرة
فقال له القاضي قد سمعت ما مزنك اليه * وتوعدتك عليه * فجانب ما عرك *
واحاذر ان تفرك وتعرك * فجثا الشيخ على ثفناته * وفجر ينبوع نفثاته * وقال * نظم

اسمع مداك الدم قول امرئ * يوضح فيما رابها عذره
والله ما اعرضت عنها قلى * ولا هوى قلبي قضى نذره
وانما الدهر عدا صرفه * فابتزنا الدرة والذرة
فمنزلي قفر كما جيدها * عطل من الجزعة والشذره
وكنت من قبل ارى في الهوى * ودينه رأي بني عذره
فمذ نبا الدهر هجرت الدمى * هجران عف آخذ حذاره
وملت من حرني لا رغبة * عنه ولكن اتقي بذره
فلا تلم من هذه حاله * واعطف عليه واحتمل هذره

قال فالتظت المرأة من مقاله * وانتضت الحجج لجداله * وقالت له ويلك يا مرقعان *
يا من هو لا طعام ولا طعان * اتضيق بالولد ذرعا * ولكل اكولة مرمى * لقد ضل فهمك
واخطأ سهمك * وسفهت نفسك * وشقيت بك عرسك * فقال لها القاضي اما انت
فلو جادلت الخنساء * لاثنت عنك خرساء * واما هو فان كان صدق في زعمه *
ودموى عدمه * فله في هم قبقبه * ما يشغله من ذبذبه * فاطرقت تنظر ازورارا *

وَلا تَرْجِعُ حِوارًا * حَتّى قُلْنا قد راجَعها الخَفَرُ * اوحاقَ بِها الظَّفَرُ * فقال لها الشَّيْخُ تَعْسًا لَكِ
اِنْ زَخْرَفْتِ * اوكَتَمْتِ ما مَرَفْتِ * فَقالَتْ وَيْحَكَ وَهَلْ بَعْدَ المُنافَرَةِ كَتْمٌ * اَوْ بَقِيَ لَنا
على سِرِّ خَتْمٌ * وَما فِينا اِلّا مَنْ صَدَقَ * وَهَتَكَ صَوْنَهُ اِذْ نَطَقَ * فَلِيَتَنا لاَقَيْنا اَلَبَكم * و
لَمْ نَلَقَ الحَكَم * ثُمَّ الْتَفَعَتْ بِوِشاحِها * وَتَباكَتْ لِاِنْتِضاحِها * وَجَعَلَ القاضِي يَعْجَبُ مِنْ
خَطْبِهِما وَيُعْجِبُ * وَيُلُومُ الدَّهْرَ لَهُما وَيُوَنِّبُ * ثُمَّ اَحْضَرَ مِنَ الوَرِقِ اَلْفَيْن * وَقالَ اَرْضِيا
بِهِما الاَجْوَفَيْن * وَعاصِيا النّازِغَ بَيْنَ الاِلْفَيْن * فَشَكَراهُ عَلى حُسْنِ السَّراح * وانطَلَقا وَهُما
كالماءِ والرّاح * وَطَفِقَ القاضِي بَعْدَ مَسْرَحِهِما * وَتَنائِي شَبَحِهِما * يُثْنِي عَلى اَدَبِهِما * وَيَقُولُ مَلْ مِن
ما رِفٍ بِهِما * فَقالَ لَهُ عَيْنُ اَعْوانِهِ * وَخالِصَةُ خُلْصانِهِ * اَمَّا الشَّيْخُ فالسَّرُوجِيُّ المَشْهُودُ
بِفَضْلِهِ * وَاَمَّا المَرْأَةُ فَقَعِيدَةُ رَحْلِهِ * وَاَمَّا تَحاكُمُهُما فَمَكِيدَةٌ مِنْ فِعْلِهِ * وَاُحْبُولَةٌ مِنْ حَبائِلِ
خَتْلِهِ * فَاَحْفَظَ القاضِي ما سَمِعَ * وَتَلَهَّبَ كَيْفَ خُدِعَ * ثُمَّ قالَ لِلْواشِي بِهِما * ثُمَّ فَرِّدْهُما *
ثُمَّ اَقْصِدْهُما وَصُدَّهُما * فَنَهَضَ يَنْفُضُ مِذْرَوَيْهِ * ثُمَّ عادَ يَضْرِبُ اَصْدَرَيْهِ * فَقالَ لَهُ
القاضِي اَظْهِرْنا عَلى ما نَبَتْ * وَلا تُخْفِ عَنّا ما اسْتَحْبَتْ * فقال ما زِلْتُ اَسْتَقْرِي
الطُّرَقَ * وَاَسْتَفْتِحُ الغُلَقَ * اِلى اَنْ اَدْرَكْتُهُما مُصْحِرَيْنِ * وَقَدْ زَمَّا مَطِيَّ البَيْنِ *
فَرَغَّبْتُهُما فِي العَلَلِ * وَكَفَلْتُ لَهُما بِنَيْلِ الاَمَلِ * فَاُشْرِبَ قَلْبُ الشَّيْخِ اَنْ يَيْأَسَ * وَقالَ
الغِرارُ بِقُرابِ اَكْيَسَ * وَقالَتْ هِيَ بَلِ العَوْدُ اَحْمَدُ * وَالفَرُوقَةُ يَكْمَدُ * فَلَمّا تَبَيَّنَ الشَّيْخُ
سَفَهَ رائِها * وَغَرَرَ اجْتِرائِها * اَمْسَكَ ذَلالَ لَها * ثُمَّ اَنْشَأَ يَقُولُ لَها

نظم

دُونَكِ نُصْحِي فَاقْتَفِي سُبْلَهْ * وَاَغْنَى عَنِ التَّفْصِيلِ بِالجُمْلَهْ
طِيرِي مَتى نَفَرْتِ مِنْ نَخْلَهْ * وَطَلِّقِيهَا بَتَّةً بَتْلَهْ
وَحاذِرِي العَوْدَ اِلَيْها وَلَوْ * سَبَّلَهانا طُورُها الاَبْلَهْ
فَخَيْرُ ما لِلِّصِّ اَنْ لا يُرى * بِبُقْعَةٍ فِيها لَهُ مَمَلَهْ

ثم قالَ لِي لَقَدْ عُنِيتَ بِما وُلِّيتَ * فَارْجِعْ مِن حَيْثُ جِئْتَ * وَقُلْ لِمُرْسِلِكَ اِنْ شِئْتَ *

نظم

رُوَيْدَكَ لا تُعْقِبْ جَمِيلَكَ بِالاَذى * فَتُضْحِي وَشَمْلُ المالِ وَالحَمْدِ مُنْصَدِعْ
وَلا تَتَغَضَّبْ مِنْ تَزَيُّدِ سائِلٍ * فَما هُوَ فِي صَوْغِ اللِّسانِ بِمُبْتَدِعْ
وَاِنْ تَكُ قَدْ ساءَتْكَ مِنّي خَدِيعَةٌ * فَقَبْلَكَ شَيْخُ الاَشْعَرِيِّينَ قَدْ خُدِعْ

فقالَ له القاضِي قاتَلَهُ اللهُ فما اَحْسَنَ شُجُونَهُ * وَاَمْلَحَ فُنُونَهُ * ثُمَّ اِنَّهُ اَصْحَبَ رائِدَهُ
بُرْدَيْنِ * وَصُرَّةً مِنَ العَيْنِ * وقال له سِرْ سَيْرَ مَنْ لا يَرى الالتفاتَ * اِلى اَنْ تَرَى
الشَّيْخَ وَالفَتاةَ * قَبَّلَ يَدَهُما بِهذا الجِباءِ * وَبِمِثْلِهِما انْحَدامِي لِلاُدَباءِ * قالَ الرّاوِي
فَلَمْ اَرَ فِي الاغْتِرابِ * كَهذا العُجابِ * وَلا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ مِمَّنْ جالَ وَجابَ *

المقامة السادسة والاربعون الحلبية

حَدَّثَ الحارِثُ بْنُ هَمّامٍ قالَ نَزَعَ بِي اِلى حَلَبَ * شَوْقٌ فَلَبَّ * وَطَلَبٌ يالَهُ مِنْ
طَلَبَ * وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ خَفِيفَ الحاذِ * حَثِيثَ النَّفاذِ * فَاَخَذْتُ اُهْبَةَ السَّيْرِ * وَخَفَفْتُ

نحوها خفوف الطير * ولم أزل مذ حللت ربوعها * وارتبعت ربيعها * أفانى الأيام *
فيما يشفي الغرام * ويروى الأوام * الى أن أقصر القلب عن ولوعه * واستطار
غراب البين بعد وقوعه * فأغرانى البال الخلو * والمرح الحلو * بأن أقصد حمص
لأصطاف ببقعتها * وأسبر رقاعة أهل رقعتها * فأسرعت اليها إسراع النجم * اذا انقض
للرجم فجبن خيمت برسومها * ووجدت روح نسيمها * لمح طرفى شيخا قد أقبل هربره *
وأدبر غريره * وعنده عشرة صبيان * صنوان وغير صنوان * فطاوعت فى قصده
الحرص * لأخبره أدهاء حمص * فبش بي حبن وانثنه * وحبا بأحسن مما حييته *
فجلست اليه لأبلو خبيء نطقه * وأكنه كنه حمقه * فما لبث أن أشار بعصيته * الى كبر
أصبيته * وقال له أنشد الأبيات العواطل * واحذر أن تماطل * فجنا جثوة ليث *
وأنشد من غير ريث *

نظم

أمدد لحسادك حد السلاح * وأورد الآمل ورد السماح
وصارم اللهو وصل الملا * وأعمل الكوم وسمر الرماح
واسع لإدراك محل سما * عماده لا لإدراع المراح
والله ما السود دحو الطلا * ولا مراد الحمد رود رداح
وإنما لحر صدره واسع * وهمه ما سر أهل الصلاح
مورده حلو لسوالفه * وماله ما سألوه مطاح

ما أسمع الا مل ردا ولا * ما طله والمطل لوم صراح
ولا أطاع اللهو لما دعا * ولا كسا راحاله كاس راح
سوده اضلاحه مره * ورده أهواءه والطماح
وحصل المدح له علمه * ما مهر العور مهور الصحاح

فقال له احسنت يا بدير * يا راس الدير * ثم قال لتلوه * المشتبه بصنوه * أدن يا نويرة *
يا قمر الدويرة * فدنا ولم يتباطأ * حتى حل منه مقعد المعاطى * فقال له أجل الابيات
العرائس وان لم يكن نفائس * فبري القلم وقطه * ثم أحتجر اللوح وخطه

نظم

فتنتني فجننتني تجني * بتجن يفتن غب تجني
شغفتني بجفن ظبي غضيض * منه ايقتضي تغيض جفني
خشيتني بزين فشغفتني * بري يشق بين تثني
فتظنيت تجتبيني فتجزيني بنفث يشفي فخيب ظني
ثبتت في فش جيب بتزيين * حبيث يبغي تشفي ضغني
فنزت في تجنبي فثنتني * بنشيج يشجي بفن ففني

فلما نظر الشيخ الى ما حبره * وتصفح ما زبره * قال له بورك فيك من طلا * كما بورك
في لا ولا * ثم هتف أقرب * يا قطرب * فاقترب منه فتى يحكي نجم دجنة * او تمثال
دمية * فقال له أرقم الابيات الأحباف * وتجنب الخلاف * فأخذ القلم * ورقم *

نظم

اِسْمَحْ فَبَثُّ السَّمَاحِ زَيْنٌ * وَلَا تَحِبْ آمِلًا تَضَيَّقْ

وَلَا تُجِزْ رَدَّ ذِي سُؤَالٍ * فَنَّ امْ فِي السُّؤَالِ خَفَّقْ

وَلَا تَظُنَّ الدُّهُورَ تُبْقِي * مَالَ ضَنِينٍ وَلَوْ تَقَشَّقْ

وَاحْلُمْ فَحِلْمُ الْكِرَامِ يُغْضِي * وَصَدْرُهُمْ فِي الْعَطَاءِ نَفْنَفْ

وَلَا تَحُنْ عَهْدَ ذِي وِدَادٍ * ثَبْتٍ وَلَا تَبْغِ مَا تَزَيَّفْ

فقال له لا شَلَّتْ يَدَاكَ * ولا كَلَّتْ مُدَاكَ * ثم نادى يا غَشْمَشَم * يا عِطْرَ مَنْشَم * فَلَبَّاهُ غُلَامٌ كَدُرَّةٍ غَوَّاص * وجُونَةِ رَقَّاص * فقال له اكْتُبِ الأَبْيَاتَ المَتَائِمَ * وَلَا تَكُنْ من المَشَائِمِ * فَتَنَاوَلَ القلمَ المُثَقَّفَ * وكَتَبَ ولم يَتَوَقَّفْ *

نظم

زُيِّنَتْ زَيْنَبُ بِقَدٍّ يَقَدُّ * وَتَلَاهُ وَيْلَاهُ نَهْدٌ يَهُدُّ

جُنْدُهَا جِيدُهَا وَظَرْفٌ وَظَرْفٌ * نَالَ مِسَّ نَاشِئٍ بِحَدٍّ يُحَدُّ

قَدْرُهَا قَدْرُهَا وَتَاهَتْ وَبَاهَتْ * وَاعْتَدَّتْ وَاغْتَدَّتْ بِخَدٍّ يَخُدُّ

فَارَقَتْنِي فَارَقَتْنِي وَشَطَّتْ * وَمَطَتْ ثُمَّ نَمَّ وَجْدٌ وَجَدُّ

فَدَنَتْ فَدَنَتْ وَحَنَّتْ وَحَيَّتْ * مُغْضَبًا مُغْضَبًا يَسُودُ يَسُودُ

فَطَفِقَ الشَّيْخُ يَتَأَمَّلُ مَا سَطَرَهُ * وَيُقَلِّبُ فِيهِ نَظَرَهُ * فَلَمَّا اسْتَحْسَنَ خَطَّهُ * وَاسْتَصَحَّ ضَبْطَهُ * قال له لا شَلَّ عَشْرَكَ * ولا اسْتُحْيِثَ نَشْرُكَ * ثم أهابَ بِفَتًى فَتَانٍ * يَسْفِرُ عَنْ أَزْهَارٍ

بُسْتَانٍ * فقال له أَنْشِدِ البَيْتَيْنِ المُطَرَّفَيْنِ * المُشْتَبِهَيِ الطَّرَفَيْنِ * اللَّذَيْنِ أَسْكَنَا كُلَّ نَافِثٍ * وأَمِنَا أَنْ يُعَزَّزَ إِينَالِيثٌ * فقال له اسْمَعْ لَا وَقَرَ سَمْعَكَ * ولا هَزَمَ جَمْعَكَ * وأَنْشَدَ من غير تَلَبُّثٍ ولا تَرَبُّثٍ

نظم

مِسْمِسَةٌ تَحْسُنُ آثَارُهَا * واشْكُرْ لِمَنْ أَعْطَى وَلَوْ مِسْمِسَهْ

وَالْمُكْرُمَاتُ اسْتَطَعْتَ لَاتِهِ * لِتَقْتَنِيَ السُّودَدَ وَالْمَكْرُمَهْ

فقال له أَجَدَّتْ يَا زُغْلُولُ * يَا أَبَا الغُلُولِ * ثم نادى أَوْضِحْ يَا يَاسِينُ * مَا يُشْكِلُ مِنْ ذَوَاتِ السِّينِ * فَنَهَضَ ولَمْ يَتَأَنَّ * وأَنْشَدَ بِصَوْتٍ أَغَنَّ *

نظم

نِقْسُ الدَّوَاةِ وَرُسْغُ الْكَفِّ مُثْبَتَةٌ * سِنَّاهُمَا إِنْ هُمَا خُطَّا وَإِنْ دُرِسَا

وهٰكَذَا السِّينُ فِي قَسْبٍ وَبَاسِقَةٍ * وَالسَّفْرِ وَالْبَحْرِ وَاقْمِرْ وَاقْتَبِسْ قَبَسَا

وفي تَفَسَّحْتُ بِاللَّيْلِ الكَلَامَ وفي * مُسَيْطِرٍ وَشُمُوسٍ وَانْخَذِ جَرَسَا

وفي قُرَيْشٍ وبَرْدِ فَارِسٍ فَخُذْ * الصَّوَابَ مِنِّي كُنْ لِلْعِلْمِ مُقْتَبِسَا

فقال له أَحْسَنْتَ يَا نُغَيْشُ * يَا صَاحَةَ الجَيْشِ * ثم قال ثِبْ يَا عَنْبَسَةُ * وبَيِّنِ الصَّادَاتِ المُلْتَبِسَةَ * فَوَثَبَ وَثْبَةَ شِبْلِ مُثَارٍ * وأَنْشَدَ مِنْ غَيْرِ مِثَارٍ *

نظم

بِالصَّادِ يُكْتَبُ قَدْ قَبَصْتُ دَرَاهِمًا * يَا نَامِلِي وَاصِخْ لِتَسْمَعَ الخَبَرَ

وَبَصَقْتُ أَبْصُقُ وَالصِّمَاخُ وَصَنْجَةٌ * وَالفَصُّ وَهُوَ الصَّدْرُ وَاقْتَصَّ الأَثَرَ

وَبَخَصْتُ مُقْلَتَهُ وَهٰذِي فُرْصَةٌ * وَقَدَارْعِدَتْ مِنْهُ الفَرِيصَةُ لِلْخَوَرْ

وقصرتُ هنداى حبستُ وقدنا * فِصُحُ النصارى وهو ميدٌ منتظرْ

وقرصته والخمر قارصةٌ اذا * حذتِ اللسانَ وكلُّ هذا مُقتطرْ

فقال له رعيالك يا بُنيَّ * فلقد اقررتَ عينيَّ * ثم استنهض ذا جُثةٍ كالبيذق * ونغشةٍ كالشوذق * وامره بان يقف بالمرصاد * ويسرد ما اجرى على السين والصاد * فنهض يسحب بُردَيه * ثم انشد مشيرا بيديه *

نظم

ان شئتَ بالسين فاكتب ما ابينهُ * وان تشأ فهو بالصادات يكتتبُ

مَغْسٌ وقَسٌّ ومُسْطارٌ ومُمْلِسٌ * وسالغٌ وهراطُ الحق والسَّقَبُ

المَغْسُ الوجعُ المُعترضُ في الجوف وهو مُسكّنُ الغين والقَسُّ قَسُّ البيضة * والمُسْطارُ الخمرةُ المُزّةُ ويقال لها المُسطارةُ ايضا * والمُمْلِسُ الذي يسقطُ من يديك ولا تشعر به * والسالغُ آخرُ اسنانِ ذواتِ الظِّلْفِ * والسَّقَبُ القُرْبُ *

نظم

والسامغانِ وسَقْرٌ والسويقُ ومِسْلاقٌ * ومن كلٍّ هذا تُفصحُ الكُتُبُ

السامغانِ جانبا الفم * والمِسْلاقُ الشديدُ الصوت * ومنهُ قوله تعالى سلقوكم بالسنةٍ حدادٍ * فقال له احسنتَ يا حِبَّقة * يا عينَ بَقّة * ثم نادى يا دَغْفَل * يا ابا زَنْفَل * فلبّاه فتىً احسنُ من بيضةٍ * في رَوْضةٍ * فقال له ما عقدُ هجاءِ الافعال * التي آخرُها حرفُ الاعتلال * فقال له اسمعْ لا صَمَّ صداك * ولا سمعتْ عداك * ثم انشد * وما استرشد *

نظم

اذا الفعلُ يوماً غُمَّ منك هجاؤهُ * فألحقْ به تاءَ الخطابِ ولا تقفْ

فان تَرَ قبلَ التاءِ ياءً فاكتبه * بياءٍ والا فهو يُكتبُ بالالفْ

ولا تحسبِ الفعلَ الثلاثيَّ والذي * تعدّاهُ والمهموزُ في ذاك يختلفْ

فطرب الشيخُ لما ادّاه * ثم عوّذهُ وفداه * ثم قال هلُمَّ يا قعقاع * يا باقعةَ البقاع * فاقبلَ فتىً احسنُ من نارِ القرى * في عينِ ابنِ السُّرى * فقال له اصدعْ بتمييزِ الظاءِ من الضادِ * لتصدعَ اكبادَ الاضداد * فاهتزَّ لقوله واهتشَّ * ثم انشد بصوتٍ اجشَّ *

نظم

ايها السائلي عن الظاءِ والضا * د لكيما تُضِلَّهُ الالفاظُ

ان حِفْظَ الظاءاتِ يُغنيكَ * فاسمعها استماعَ امرئٍ له استيقاظُ

هي ظَمْياءُ والمظالمُ والاظْلامُ والظُّلْمُ والظَّبى واللحاظُ

والعظاءُ والظَّلِيمُ والظَّبْيُ والشَّيْظَمُ والظلُّ والظَّمى والشُّواظُ

والتَّظَنِّي واللَّغْظُ والنَّظْمُ والتَّقريظُ والقَيْظُ والظِّمْاءُ واللَّماظُ

والحِظى والنَّظيرُ والظِّئْرُ والحاظُ والنَّاظِرُون والايقاظُ

والتَّشَظِّي والظِّلْفُ والعَظْمُ والظَّنبوبُ والظَّهْرُ والشظى والشَّظاظُ

والاظْفارُ والمُظَفَّرُ والمَحْظورُ والحافظون والاحْفاظُ

والحظيراتُ والمَظِنَّةُ والظِّنَّةُ والكاظِمون والمُغتاظُ

والوَظِيفاتُ والمُواظِبُ والكَظَّةُ والانتظارُ والالحاظُ
وَوَظِيفٌ وظالِعٌ وعَظِيمٌ * وظَهِيرٌ والغَظُّ والاغلاظُ
ونَظِيفٌ والظَّرْفُ والظَّلَفُ الظَّاهِرُ ثُمَّ الغَظِيعُ والوُعّاظُ
وعُكاظُ والطَّعْنُ والمَظُّ والحَنْظَلُ والقارِظانِ والاوْشاظُ
المَظْرُمانُ البَرُّ * والقارِظُ جانِي القَرَظِ وهُوَ النَّباتُ المَدْبُوغُ بهِ والاوْشاظُ الاخْلاطُ
والجَماعاتُ

نظم

وظِرابُ الظِّرّانِ والشَّظَفُ اللَّباهِظُ والجَغْظَرِيُّ والجَوّاظُ
الظِّرابُ الرُّبا الصِّغارُ واحِدها ظَرِبٌ * والظِّرّانُ الحِجارَةُ المُحَدَّدَةُ واحِدها ظَرَرٌ
والشَّظَفُ البُؤْسُ وسُوءُ العَيْشِ * واللباهِظُ المُثْقِلُ * والجَغْظَرِيُّ المُتَنَفِّخُ بما لَيْسَ
عِنْدَهُ والجَوّاظُ الفاجِرُ وقيل الاكُولُ المُخْتالُ

نظم

والظَّرابِينُ والحَناظِبُ والعَنْظَبُ ثُمَّ الظَّيّانُ والارْماظُ
الظَّرابِينُ جمع ظَرِبانٍ وهي دابَّةٌ لا يُطاقُ فَسْوُها وتُجْمَعُ ايضا على ظَرِبِيٍّ بِحَذْفِ
النُّونِ وعلى ظِرِبّى وهو جمع شاذٌّ ولم يجئ على فِعْلى الا هذا وحِجْلى جمع حَجَلٍ *
والحَناظِبُ ذُكُورُ الخَنافِسِ * والعَنْظَبُ ذَكَرُ الجَرادِ * والظَّيّانُ ياسَمِينُ البَرِّ *
والارْماظُ جَمْعُ رُعْظٍ وهو مَدْخَلُ النَّصْلِ فِي السَّهْمِ *

نظم

والشَّناظِي والدَّلْظُ والظَّابُ والظِّبْظابُ والعَنْظُوانُ والجِنْعاظُ *

الشَّناظِي نَواحِي الجَبَلِ * والدَّلْظُ الدَّفْعُ والظَّابُ
الصَّخَبُ وقد تُبْدَلُ الباءُ منه ميمًا وقيل إنّ الظّابَ
والعّامَ اسمانِ لِسِلَفِ الرَّجُلِ * والعَنْظُوانُ نَبْتٌ * والظِّبْظابُ الداءُ يُقالُ
ما بِهِ ظِبْظابٌ كما يُقالُ ما بِهِ قَلَبَةٌ * والجِنْعاظُ الاحْمَقُ وقيل إنّهُ المُتَسَخِّطُ عِنْدَ الطَّعامِ

نظم

والشَّناظِيرُ والنَّعاظِلُ والعِظْلِمُ والبَظْرُ بَعْدُ والانْعاظُ
الشَّناظِيرُ جمع شِنْظِيرٍ * وهو السَّيِّئُ الخُلُقِ * والنَّعاظِلُ تَلازِمُ الجَرادِ والكِلابِ
عِنْدَ السِّفادِ * والعِظْلِمُ الخَطْمِيُّ

نظم

هِيَ هٰذِي سِوَى النَّوادِرِ فاحْفَظْها لِتَقْفُوَ آثارَكَ الحُفّاظُ
واقْضِ فيما صَرَفْتَ منها كما تَقْضِيهِ في أصْلِهِ كَفِيظٌ وقاظُوا
فقال له الشيخ أحْسَنْتَ لا فُضَّ فُوكَ * ولا بَرَّ مَنْ يَجْفُوكَ * فَوَاللّٰهِ إنَّكَ مَعَ الصِّبا
الغَضِّ * لَأَحْفَظُ من الأرْضِ * وأجْمَعُ من يَوْمِ العَرْضِ * ولَقَدْ أوْرَدْتَكَ وُرُقَتَكَ
زُلالِي * وثَقَّفْتُكُم تَثْقِيفَ العَوالِي * وألْحَقْتُكُم جَناحَ تَكْرِمَتِي * وسَقَيْتُكُم سُلافَةَ
كَرْمَتِي * حَتّى لَحِقْتُمْ بِالعِلْيَةِ * وتَحَلَّيْتُمْ مِنَ الأدَبِ بِأحْسَنِ الحِلْيَةِ * فاذْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ
واشْكُرُوا لِي ولا تَكْفُرُونِ * قال الحارث بن هَمّام فَعَجِبْتُ لِما أبْدى مِنْ بَراعَةٍ
مَعْجُونَةٍ بِرَقاعَةٍ * وأظْهَرَ من حَذاقَةٍ ممزوجةٍ بِحَماقَةٍ * ولم يَزَلْ بَصَرِي يَصْعَدُ فيهِ و

يُصَوِّبُ * ويُنَفِّرُ عنه ويُنَقِّبُ * وهو كَمَنْ يَنظُرُ فِي ظَلْماءَ * او يَسْرِي فى يَهْماءَ * فلمَّا استراثَ تَنَبُّهِى واستبانَ تَدَلُّهِى * حَمْلَقَ الَىَّ وتَبَسَّمَ * وقال لَمْ يَبْقَ مَن يَتَوَسَّمُ * فَبُهِتُّ لِفَحْوى كلامِه * ووَجَدْتُه ابا زيدٍ مِنْ ابتسامِه * واخَذْتُ آلُومُه على تَدَيُّرِ بُقْعَةِ النَّوْكى * وتَخَيُّرِ حِرْفَةِ الحمقى فكانَّ وَجْهَهُ أَسِفٌ رَمادا * او اشْرَبَ سَوادا *

نظم

اِلَّا انَّهُ آنْشَدَ و ما تَمادى *

تَخَيَّرْتُ حِمْصَ وهذى الصِّناعَهْ * لِأُرْزَقَ حُظْوَةَ اَهْلِ الرَّفاهَهْ

فما يَصْطَفِى الدَّهْرُ غَيْرَ الرَّقِيعْ * ولا يُوطِنُ المالَ اِلَّا بِقاعَهْ

ولا لِاَخِى اللُّبِّ مِنْ دَهْرِهِ * سِوى ما لِعَيْرٍ رَبِيطِ بِقاعَهْ

ثُمَّ قالَ أَما انَّ التَّعْلِيمَ اَشْرَفُ صِناعَةٍ * وأَرْبَحُ بِضاعَةٍ * وانْجَحُ شَفاعَةٍ * وافْضَلُ بَراعَةٍ * وَرَبُّهُ ذُو اِمْرَةٍ مُطاعَةٍ * وَهَيْبَةٍ مُشاعَةٍ * ورَعِيَّةٍ مِطْواعَةٍ * يَتَسَيَّطَرُ تَسَيُّطَرَ اَمِيرٍ * ويُرَتِّبُ تَرْتِيبَ وَزِيرٍ * ويَتَحَكَّمُ تَحَكُّمَ قَدِيرٍ * ويَتَشَبَّهُ بِذِى مُلْكٍ كَبِيرٍ * لَوْلا انَّه يَخْرُفُ فى آمَدٍ يَسِيرٍ * ويَتَسَمَّ بِحُمْقِ شَهِيرٍ * يَتَقَلَّبُ بِعَقْلٍ صَغِيرٍ ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ * فَقُلْتُ لَه تَاللَّهِ اِنَّكَ لَابْنُ الاَيَّامِ وعَلَمُ الاَعْلامِ * والسَّاحِرُ اللَّاعِبُ بِالاَفْهامِ * المُذَلَّلُ له سُبُلُ الكلامِ * ثُمَّ لَمْ اَزَلْ مُعْتَكِفًا بِنادِيهِ * مُغْتَرِفًا مِنْ سَيْلِ وادِيهِ * اِلَى اَنْ غابَتِ الاَيَّامُ الغُبُرُ * ونَابَتِ الاَحْداثُ الغُبُرُ * فَفارَقْتُه ولَعَيْنِي الغُبُرُ *

المقامةُ السابعةُ والاربعون الحَجَرِيّة

حَكَى الحارثُ بنُ هَمَّامٍ قال احْتَجْتُ اِلَى الحَجامَةِ وانا بِحَجْرِ اليَمامَةِ * فَاُرْشِدْتُ اِلَى شَيْخٍ يَحْجُمُ بِلَطافَةٍ * ويَسْفِرُ عن نَظافَةٍ * فَبَعَثْتُ غُلامِي لِاحْضارِهِ * واَرْصَدْتُ نَفْسِي لِانْتِظارِهِ * فَابْطَأَ بَعْدَما انْطَلَقَ * حَتَّى خِلْتُهُ قَدْ اَبَقَ * او رَكِبَ طَبَقًا مِنْ طَبَقٍ * ثُمَّ مَا دَعْوَدَ المُخِفِّ مَسْعاهُ * اَلكَلُّ على مَوْلاهُ * فَقُلْتُ له وَيْلَكَ اَبْطَأْتَ فَنِدَّ * وصُلُودَ زَنْدٍ * فَزَعَمَ اَنَّ الشَّيْخَ اَشْغَلُ مِنْ ذاتِ النِّحْيَيْنِ * وفى حَرْبٍ كَحَرْبِ حُنَيْنٍ * فَعِفْتُ المَمْشى اِلَى احْجامٍ * وحِرْتُ بَيْنَ اِقْدامٍ واِحْجامٍ * ثُمَّ رَأَيْتُ الاَتْعِيفَ * على مَنْ يَاتِي الكَنِيفَ * فَلَمَّا شَهِدَتْ مَوْسِمَه * وشاهَدَتْ مِيسَمَه * رَأَيْتُ شَيْخًا هَيْئَتُهُ نَظِيفَةٌ * وحَرَكَتُه خَفِيفَةٌ * وعَلَيْهِ مِنَ النَّظارَةِ اَطْواقٌ * ومِنَ الزِّحامِ طِباقٌ * بَيْنَ يَدَيْهِ فَتًى كالصَّمْصامَةِ * مُسْتَهْدَفٌ للحَجامَةِ * والشَّيْخُ يَقُولُ له اراكَ قد ابْرَزْتَ راسَكَ * فَبَلْ اَنْ تُبْرِزَ قِرْطاسَكَ * ووَلَّيْتَنِي قَذالَكَ * ولَمْ تَقُلْ لِى ذالِكَ * ولَسْتُ مِمَّنْ يَبِيعُ نَقْدًا بِدَيْنٍ * ولا يَطْلُبُ اَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ * فَاِنْ اَنْتَ رَضِخْتَ بالعَيْنِ * حُجِمْتَ فى الاَخْدَمَيْنِ * واِنْ كُنْتَ تَرَى الشَّحَّ اَوْلَى * وخَزْنَ الفَلْسِ فى النَّفْسِ اَحْلَى * فَاقْرَأْ عَبَسَ وتَوَلَّى * واغْرُبْ عَنِّى واِلَّا * فقال الفَتَى والَّذِى حَرَّمَ صَوْغَ المَيْنِ كَما حَرَّمَ صَيْدَ الحَرَمَيْنِ * اِنِّى لَاَفْلَسُ مِنِ ابْنِ يَوْمَيْنِ * فَشِقْ بِسَيْلِ تَلْعَتِى * وانْظُرْنِى الى سَعَتِى *

فقال الشيخ ويحك ان مثل الوعود * كغرس العود * هو بين ان يدركه العطب * او
يدرك منه الرطب * فما يدريني ايحصل من مودك جنى * ام احصل منه على ضنى
* ثم ما الثقة بانك حين تبتعد * ستفي بما تعد * وقد صار الغدر كالتحجيل * في حلية
هذا الجيل * فارحني بالله من التعذيب * وارحل الى حيث يعوى الذئب * فاستوى
الغلام اليه * وقد استولى الخجل عليه * وقال والله ما يحبس بالعهد * غير الخسيس
الوغد * ولا يرد غدير الغدر * الا الوضيع القدر * ولو عرفت من انا * لما اسمعتني الخنا *
لكنك جهلت فقلت * وحيث وجب ان تسجد بلت * وما اقبح الغربة والاقلال *
واحسن قول من قال * نظم *

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن * فكيف حال غريب ماله قوت
لكنه ما تشين الحر مسوجعة * فالمسك يسحق والكافور مفتوت
وطالما اصلى الياقوت جمرغضا * ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

فقال له الشيخ يا ويلة ابيك * وموئلة اهليك * اانت في موقف فخر يظهر * وحسب
يشهر * ام موقف جلد يكشط * وقفا يشرط * وعب ان لك البيت كما ادعيت *
ايحصل بذلك حجم فذالك * لا والله ولو ان اباك اناف * على مجد مناف * او نحالك
دان * عبد المدان * فلا تضرب في حديد بارد * ولا تطلب ما لست له بواجد * وباء اذا باهيت
بموجودك * لا بجدودك * وبمحصولك * لا باصولك وبصفاتك لا ببرفاتك *

وبآمالك * لا بامرائك * ولا تطع الطمع فيذلك * ولا تتبع الهوى فيضلك * ولله
القائل لابنه * نظم *

بني استقم فالعود تنمى عروقه * قويما ويغشاه اذا ما التوى الثوى
ولا تطع الحرص المذل وكن فتى * اذا التهبت احشاؤه بالطوى طوى
وعاص الهوى المردي فكم من محلق * الى التجم لما ان اطاع الهوى هوى
واسعف ذوي القربى فيقبح ان يرى * على من الى الحر اللباب انضوى ضوى
وحافظ على من لا يخونك انه * زمان ومن يرعى اذا ما النوى نوى
وان تقتدرنا صفح فلا خير في امرئ * اذا اعتلفت اظفاره بالشوى شوى
واياك والشكوى فلم ترذانهى * شكى بل اخو الجهل الذي ما ارعوى عوى

فقال الغلام للنظارة باللعجبه * والطرفة الغريبة * انف في السماء * واست في الماء *
ولفظ كالصهباء * وفعل كالحصباء * ثم اقبل على الشيخ بلسان سليط * وغيظ مستشيط *
وقال أف لك من ضواغ باللسان * رواغ عن الاحسان * تامر بالبر * وتعق عقوق
الهر * فان يكن سبب تعنتك نفاق صنعتك * فرماها الله بالكساد * وافساد الحساد
حتى ترى افرغ من حجام ساباط * واضيق رزقا من سم الخياط * فقال له الشيخ
بل سلط الله عليك بثر الغم * وتبيغ الدم * حتى تلجا الى حجام مظيم الاشتاط *
قليل الاشتراط * كليل المشراط * كثير المحاط والضراط * قال فلما تبين الفتى انه يشكو

الى غيه مصمت * وبراودا ستفتاح باب مصمت اضرب من رجع الكلام * واحتفز للقيام وعلم الشيخ انه قد الام * بما اسمع الغلام * فجنح الى سلمه * وبدل ان يذمن لحكمه * ولا يبغي اجرا على حجمه * وابى الغلام الا المشى بدائه * والهرب من لقائه * وما زالا في حجاج وسباب * ولزاز وجذاب * الى ان ضج الفتى من الشقاق * وتلاردنه سورة الانشقاق * فاعول حينئذ لوقارة خسره * وانغطاط مرضه وظمره * واخذ الشيخ يعتذر من فرطاته * يغيض من عبراته * وهو لا يصغي الى اعتذاره * ولا يقصر من استعباره * الى ان قال له فداك عمك * ومداك ما يغمك * اما تسأم الاموال * اما تعرف الاحتمال اما سمعت بمن اقال * واخذ بقول من قال *

نظم

احمد بحلمك ما يذكيه ذو سفه * من نار غيظك واصفح ان جنا جاني
فالحلم افضل ما ازدان اللبيب به * والاحد بالعفو احلى ما جنى جاني

فقال له الغلام اما انك لو ظهرت على عيشي المنكدر * لعذرت في دمعي المنهمر * ولكن هان على الاملس ما لاقى الدبر * ثم كانه نزع الى الاستحياء * فاقلع عن البكاء * وفاء الى الارمواء * وقال للشيخ قد صرت الى ما اشتهيت * فارقع ما اوهيت * فقال هيهات شغلت شعابي جدواي * فشم بارق سواي * ثم انه نهض يستقري الصفوف * ويستجدي الوقوف * وينشد في ضمن ما يطوف * نظم *

اقسم بالبيت الحرام الذي * تهوى اليه الزمر المحرمه
لو ان عندي قوت يوم لما * مست يدي المشراط والمحجمه
ولا ارتضت نفسي التي لم تزل * تسمو الى المجد بهذي السمه
ولا اشتكى هذا الفتى غلظة * مني ولا شاكته مني حمه
لكن صروف الدهر ادرتني * كما بسط في الليلة المظلمه
واضطرني الفقر الى موقف * من دونه خوض اللظى المضرمه
فهل فتى تدركه رقة * علي او تعطفه مرحمه

قال الحارث بن همام فكنت اول من اوى لبلواه * ورق لشكواه * فنفحته بدرهمين * وقلت لا كانا ولو كان ذا مين * فانتهج بها كورة جناه * وتفاءل بهما لغناه * ولم تزل الدراهم تتناهل عليه * وتتناثل لديه * حتى آل ذا عيشة خضراء وحقيبة بجراء * فازداه الفرح عند ذلك * وهنأ نفسه هنالك * وقال للغلام هذا ربع انت بذره * وحلب لك شطره * فهلم لنقتسم * ولا تحتشم * فتقاسما بينهما شق الاملة * ونهضا متغفقي الكلمة * ولما انتظم عقد الاصطلاح * وهم الشيخ بالرواح * قلت له قد تبوغ دمي * ونقلت اليك قدمي * فهل لك في ان تحجمني * تكفكف ما دهمني فصوب طرفه في وصعد * ثم ازدلف الي وانشد * نظم *

كيف رأيت خدعتي وختلي * وما جرى بيني وبين سخلي

حَتَّى انْثَنَيْتُ فَائِزًا بِالْحَصْلِ * أَرْمِي رِيَاضَ الْخَصْبِ بَعْدَ الْمَحْلِ

بِاللّٰهِ يَا مُهْجَةَ قَلْبِي قُلْ لِي * هَلْ أَبْصَرَتْ عَيْنَاكِ قَطُّ مِثْلِي

يَفْتَحُ بِالرَّقْيَةِ كُلَّ قُفْلِ * وَيَسْتَبِي بِالسِّحْرِ كُلَّ مُقْلِ

وَيُعْجِنُ الْجِدَّ بِمَاءِ الْهَزْلِ * إِنْ يَكُنِ الْإِسْكَنْدَرِيَّ قَبْلِي

فَالطَّلُّ قَدْ يَبْدُو أَمَامَ الْوَبْلِ * وَالْفَضْلُ لِلْوَابِلِ لَا لِلطَّلِّ

قَالَ فَنَبَّهَتْنِي أُرْجُوزَتُهُ عَلَيْهِ * وَأَرَتْنِي أَنَّهُ شَيْخُنَا الْمُشَارُ إِلَيْهِ * فَقَرَضْتُهُ عَلَى الِابْتِذَالِ *

وَالِالْتِحَاقِ بِالْأَرَاذِلِ * فَأَعْرَضَ عَمَّا سَمِعَ * وَلَمْ يُبَلْ بِمَا قُرِعَ * وَقَالَ كُلُّ الْحِذَاءِ يَحْتَذِي

الْحَافِيَ الْوَقِعُ * ثُمَّ فَاصَانِي مُفَاصَاةَ الْمُهَانِ * وَانْطَلَقَ هُوَ وَابْنُهُ كَفَرَسَيْ

رِهَانٍ * قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ * قَدْ أَوْدَعْتُ هٰذِهِ الْمَقَامَةَ

بِضْعَةَ عَشَرَ مَثَلًا مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ * وَهَا أَنَا أُفَسِّرُ مِنْهَا مَا إِخَالُهُ يَلْتَبِسُ عَلَى مَنْ

يَقْتَبِسُ * أَمَّا قَوْلُهُ بُطْءٍ فَيْدٍ فَهُوَ مَوْلَى عَائِشَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَكَانَتْ بَعَثَتْهُ

بِالْمَدِينَةِ لِيَقْتَبِسَ لَهَا نَارًا فَقَصَدَ مِصْرَ وَأَقَامَ بِهَا سَنَةً ثُمَّ جَاءَهَا بَعْدَ السَّنَةِ يَشُدُّ وَمَعَهُ جَمْرٌ فَنَبَدَّدَ

مِنْهُ فَقَالَ تَعِسَتِ الْعَجَلَةُ * وَأَمَّا ذَاتُ النُّجَيْبَيْنِ فَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ تَيْمِ اللّٰهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ حَضَرَتْ

سُوقَ عُكَاظَ وَمَعَهَا نُحَيَّاسَمْنٍ فَاسْتَحْلَى بِهَا خَوَّاتُ بْنُ جُبَيْرٍ الْأَنْصَارِيُّ لِبَيْتَاعَهُمَا مِنْهَا

فَفَتَحَ أَحَدَهُمَا وَذَاقَهُ وَدَفَعَهُ إِلَيْهَا فَأَخَذَتْهُ بِإِحْدَى يَدَيْهَا ثُمَّ فَتَحَ الْآخَرَ وَذَاقَهُ وَدَفَعَهُ

إِلَيْهَا فَأَمْسَكَتْهُ بِيَدِهَا الْأُخْرَى ثُمَّ غَشِيَهَا وَهِيَ لَا تَقْتَدِرُ عَلَى الدَّفْعِ عَنْ نَفْسِهَا لِحِفْظِهَا فَمَ

النُّحَيَّيْنِ وَشُحِّهَا عَلَى السَّمْنِ فَلَمَّا قَامَ عَنْهَا قَالَتْ لَا هَنَّاكَ فَضُرِبَ الْمَثَلُ فِيمَنْ شُغِلَ وَهِيَ

فِي هٰذَا الْمَثَلِ مَفْعُولَةٌ لِأَنَّهَا شُغِلَتْ وَأَكْثَرُ الْأَمْثَالِ الَّتِي عَلَى أَفْعَلَ يَأْتِي مِنْ فِعْلِ الْفَاعِلِ *

وَأَمَّا قَوْلُهُ أَنْفَقُ فِي السَّمَاءِ وَاسْتُ فِي الْمَاءِ فَيُضْرَبُ هٰذَا الْمَثَلُ لِمَنْ يَتَكَبَّرُ مَقَالًا وَيَصْغُرُ

فِعَالًا * وَأَمَّا قَوْلُهُ أَفْرَغُ مِنْ حَجَّامٍ سَابَاطَ فَذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ حَجَّامًا مُلَازِمًا سَابَاطَ الْمَدَائِنِ يَحْجُمُ

الْجُنْدِيَّ بِدَانِقٍ نَسِيئَةً وَرُبَّمَا مَرَّتْ عَلَيْهِ بُرْهَةٌ لَا يَقْرَبُهُ فِيهَا أَحَدٌ فَكَانَ يُبَرْزِمُهُ عِنْدَ

تَمَادِي مُطْلَتِهِ فَيَحْجُمُهُ لِكَيْلَا يُقْرَعَ بِالْبَطَالَةِ فَمَا زَالَ يَحْجُمُهَا حَتَّى نَزَفَ دَمُهَا وَمَاتَتْ *

وَأَمَّا قَوْلُهُ يَشْكُو إِلَى غَيْرِ مُصَمِّتٍ فَهُوَ مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَكْتَرِثُ بِشَأْنِ صَاحِبِهِ وَلَا

يُبَالِي بِاسْتِمْرَارِ شَكَايَتِهِ لِأَنَّهُ لَوْ أَشْكَاهُ لَصَمَتَ وَأَمْسَكَ عَنِ الْكَلَامِ وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ

يُخَاطِبُ جَمَلَهُ

* نظم *

إِنَّكَ لَا تَشْكُو إِلَى مُصَمِّتِ * فَاصْبِرْ عَلَى الْحَمْلِ الثَّقِيلِ أَوْ مُتِ

وَنَحْوُ هٰذَا الْمَثَلِ هَانَ عَلَى الْأَمْلَسِ مَا لَاقَى الدَّبِرُ * وَأَمَّا قَوْلُهُ شَغَلَتْ شِعَابِيَ جَدْوَايَ

فَالْمُرَادُ بِهِ أَنَّهُ لَيْسَ يَفْضُلُ مِنِّي مَا أَصْرِفُهُ إِلَى غَيْرِي وَالشِّعَابُ النَّوَاحِي وَاحِدُهَا

شِعْبٌ * وَقَوْلُهُ كُلُّ الْحِذَاءِ يَحْتَذِي الْحَافِيَ الْوَقِعَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْمَجْهُودَ يَقْنَعُ بِمَا يَجِدُ

وَالْوَقِعُ أَنْ تُصِيبَ الْحِجَارَةُ الْقَدَمَ فَتُوهِنَهَا * فَأَمَّا الْبَعِيرُ الْمُوقَعُ فَهُوَ الَّذِي يَكْثُرُ آثَارُ

الدَّبَرِ بِظَهْرِهِ *

المقامة الثامنة والاربعون الحرامية

رَوَى الحارث بن همّام عن ابى زيد السّروجى * قال مازلتُ مُذ رَحلتُ منشِى *
وارتحلتُ من مِرسِى وغرسِى * احنّ الى عيانِ البَصرة * حنينَ المظلوم الى النُّصرة *
لما اجمع عليه ارباب الدراية * واصحاب الرّواية * من خصائص معالمها وملمانها *
ومآثر مشاهدها وشهدائها واسأل الله تعالى ان يوطّئنى ثراها * لافورِ بمرآها * وان
يُمطينى قراها * لاقترى قُراها * فلمّا احلّنيها الحظّ * وسرح لى فيها اللحظ * نظم

رأيتُ بها ما يملأُ العينَ قُرّةً * ويُسلِى عن الاوطانِ كلَّ غريبِ
فغلّستُ فى بعضِ الايّام * حينَ نَصلَ خِضابُ الظّلام *
وهتفَ ابو المُنذر بالنّوام * لاخطُوَنّ فى خطّها * واقضِىَ الوطَرَ من توسّطها * فادّانى
الاختراقُ فى مسالكها * والانصلاتُ فى سِككها * الى محلّة موسومة بالاحترام *
منسوبة الى بنى حرام * ذات مساجد مشهودة * وحياض مورودة * ومبانٍ وثيقة *
ومغانٍ انيقة * وخصائص اثيرة * ومزايا كثيرة * نظم *

بها ما شئتَ من دينٍ و دُنيا * وجيرانٍ تنافوا فى المعانى
فمعروفٌ باياتِ المثانى * ومقتونٌ برنّاتِ المثانى
ومُضطلعٌ بتلخيصِ المعانى * ومُطّلعٌ الى تخليصِ عانى
وكم من قارئٍ فيها وقارٍ * اضرّا بالجفونِ وبالجفانِ

وكم من معلّمٍ للعلم فيها * وناءٍ للندى حلوِ المجانى
ومغنّى ما تزالُ تغنّ فيه * اغاريدُ الغوانى والاغانى
فصِل ان شئتَ فيها من يُصلّى * وامّا شئتَ فادنُ من الدّنانِ
ودُونكَ صُحبةَ الاكياسِ فيها * اولى الكاساتِ منطلقَ العنانِ

قال فبينما انا انفضُ طُرقها * واستشفّ رونقها * اذ لمحتُ عندولوكِ براحِ * واظلالِ
الرّواح * مسجداً مشتهراً بطرائفه * مزدهراً بطوائفه * وقد اجرى اهله ذكرَ حروفِ
البدل * وجروا فى حلبةِ الجدل * فعجتُ نحوهم * لاستمطرنّوءهم * لا لاقتباس نحوهم *
فلم يكُ الّا كقبسةِ العجلان * حتّى ارتفعتِ الاصواتُ بالاذان * ثمّ رَوِفَ النّاذين
بروزُ الامام * فاغمدتُ ظُبَى الكلام * وحللتُ الحُبى للقيام * شغلنا بالقنوت * من
امتدادِ القوت * وبالسّجود * من استنزالِ الجود * ولمّا قضى الفرضُ * وكاد الجمعُ
ينفضّ * انبرى من الجماعة * كهلٌ حلوُ البراعة * له مع السّمتِ الحسن * ذلاقةُ اللّسن
وفصاحةُ اللحن * وقال يا جيرانى الذين اصطفيتهم على افضانِ شجرتى * وجعلتُ
خِطتهم دارَ هجرتى * واتخذتهم كرشى وعيبتى * وامددتهم لحضرى وغيبتى * اما
تعلمون انّ لبوسَ الصّدقِ ابهى الملابسِ الفاخرة وانّ فضوحَ الدّنيا اهونُ من فضوحِ
الآخرة * وانّ الدّينَ امحاضُ النّصيحة * والارشادَ عنوانُ العقيدةِ الصّحيحة * وانّ
المستشارَ مؤتمنٌ * والمسترشدَ بالنّصحِ قمنٌ * وانّ اخاكَ هو الذى عذّلك * لا الذى

مذرك * وصديقك مَنْ صدّقك * لا مَنْ صدّقك * فقال له الحاضرون أيها المحل
الودود * والحِدْن المودود * ماسيّر كلامك المُلغز * وما شرح خطابك الموجز *
وما الذي تبغيه منا لينجز * ولو اعجز * فو الذي حبانا بمحبتك * وجعلنا من صفوة
احبتك * ما زالوك نُصحًا * ولا ندخر منك نصحًا * فقال لهم جزيتم خيرًا * ووقيتم
ضيرًا فإنكم من لا يشقى بهم جليس * ولا يصدر عنهم تلبيس * ولا يخيب فيهم مظنون
* ولا يطوى دونهم مكنون * سأبنئكم ما حاك في صدري * واستفتيكم فيما عيل
له صبري * اعلموا أني كنت عند صلود الزند * وصدود الجد * أخلصت مع اللقانية
العقد * وأعطيته صفقة العهد * على أن لا أسبأ مداما * ولا أعاقر ندامى * ولا أحتسي
قهوة * ولا أكتسي نشوة * فسولت لي النفس المضلة * والشهوة المزلة * ان نادمت
الأبطال * وعاطيت الأرطال * واضعت الوقار * وارتضعت العقار * وامتطيت
مطا الكميت * وتناسيت التوبة كالميت * ثم لم اقنع بها تيكم المرة * في طامة ابي مرة *
حتى مكفت على الخندريس * في يوم الخميس * وبت صريع الصهباء * في الليلة
الفراء * وها انا بادي الكآبة * لفض الإنابة * ناعي الندامة * لوصل المدامة *
شديد الاشفاق * من نقض الميثاق * معترف بالاسراف * في صب السلاف *
فيا قوم هل كفارة تعرفونها تباعد من ذنبي * وتدنيني الى ربي * قال ابو زيد فلما حل
أنشوطة نفثه * وقضى الوطر من اشتكاءبثه * ناجته نفسي يا ابا زيد هذه بهزة

صيد * فشمر من يديه وايده * فانتهضت من مجثمي انتهاض الشهم * وانخرطت من
الصف انخراط السهم * وقلت *

* نظم *

أيها الأزرع الذي * فاق مجدا وسودا
والذي يبتغي الرشاد * لينجو به فدا
إن عندي علاج ما * بت منه مسهدا
فاسمعنها عجيبة * فادرتني ملددا
أنا من ساكني سروج ذوي الدين والهدا
كنت ذا ثروة بها * ومطاما متودا
مربعي مألف الضيوف ومالي لهم مدا
أشتري الحمد باللهى * وافي العرض بالجدا
لا أبالي بمنفس * طاح في البذل والندا
أوقد النار لليفاع إذا الكلب أخمدا
ويرانى لمؤملون * ملاذا ومقصدا
لم يشم بارقي صيد * فانثنى يشتكي الصدا
لا ولا رام قابس * قدح زندي فاصلدا
طالما ماعد الزمان فاصبحت مسعدا

فَقَضَى اللهُ بِغَيْرِ * مَا كَانَ مُوْدَا
بَوَّأَ الرَّوْمَ أَرْضَنَا * بَعْدَ ضِغْنٍ تَوَلَّدَا
فَاسْتَبَاحُوا حَرِيمَ مَنْ * صَادَفُوهُ مُوَحِّدَا
وَحَوَوْا كُلَّ مَا اسْتَسَرَّ * بِهِ لِي وَمَا بَدَا
فَتَطَوَّحْتُ فِي الْبِلَادِ * طَرِيدًا مُشَرَّدَا
اجْتَدِي النَّاسَ بَعْدَمَا * كُنْتُ مِنْ قَبْلُ مُجْتَدَا
وَتُرِي بِي خَصَاصَةٌ * أَتَمَنَّى لَهَا الرَّدَا
وَالْبَلَاءُ الَّذِي بِهِ * شُغِلَ إِنْسِي تَبَدَّدَا
اسْتَبَاءُ ابْنَتِي الَّتِي * أَسَرُوهَا لِتُفْتَدَا
فَأَسْتَبِنْ مِحْنَتِي وَمُدَّ * إِلَى نُصْرَتِي يَدَا
وَأَجِرْنِي مِنَ الزَّمَانِ * فَقَدْ جَارَ وَاعْتَدَا
وَأَعِنِّي عَلَى فِكَاكِ * ابْنَتِي مِنْ يَدِ الْعِدَا
فَبِذَا تَنْمِحِي الْمَآثِمُ * عَمَّنْ تَمَرَّدَا
وَبِهِ تُقْبَلُ الْإِنَابَةُ * مِمَّنْ تَزَهَّدَا
وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِمَنْ * زَاغَ مِنْ بَعْدِ مَا اهْتَدَا
وَلَئِنْ قُمْتُ مُنْشِدًا * فَلَقَدْ هُتُّ مُرْشِدَا

فَاقْبَلِ النُّصْحَ وَالْهِدَايَةَ وَاشْكُرْ * لِمَنْ هَدَا
وَاسْتَبِحِ الْآنَ بِالَّذِي * يَتَسَنَّى لِتُحْمَدَا

قال ابو زيد فلمَّا اتممتُ هذه رميتي * وأوهمتُ المسئولَ صدقَ كلمتي * أفرأه القرمُ إلى الكرم بمواساتي * ورغَّبه الكلفُ بحملِ الكلفِ في مقاساتي * فرضَ لي على الحافرة * ونضحَ لي بالعُدَّةِ الوافرة * فانقلبتُ الى وكري * فرحًا بنُجحِ مكري وقد حصلتُ من صوغِ المكيدة * على سوغِ الثريدة * ووصلتُ من حوكِ القصيدة * الى لوكِ العصيدة * قال الحارثُ بنُ همّام فقلتُ له سبحانَ من أبدمك * فما أعظمَ خدمك * فاستغربَ في الضحك * ثمَّ أنشد غيرَ مرتبك

نظم

مِشْ بِالْخِدَاعِ فَأَنْتَ فِي * دَهْرٍ بَنُوهُ كَأُسْدِ بِيشَهْ
وَأَدِرْ قَنَاةَ الْمَكْرِ حَتَّى * تَسْتَدِيرَ رُحَى الْمَعِيشَهْ
وَصِدِ النُّسُورَ فَإِنْ تَعَذَّرَ * صَيْدُهَا فَاقْنَعْ بِرِيشَهْ
وَاجْنِ الثِّمَارَ فَإِنْ تَفُتْكَ * فَرَضِّ نَفْسَكَ بِالْحَشِيشَهْ
وَأَرِحْ فُؤَادَكَ إِنْ نَبَا * دَهْرٌ مِنَ الْفِكَرِ الْمُطِيشَهْ
فَتَغَايُرُ الْأَحْدَاثِ يُؤْذِنُ بِاسْتِحَالَةِ كُلِّ عِيشَهْ

المقامة التاسعة والاربعون وتعرف بالساسانية

حكى الحارثُ بنُ همّام * قال بلغني انَّ ابا زيد حينَ ناهزَ القبضه * وابتزَّ قيدَ الهرم

النهضه * احضر ابنه * بعدما استجاش ذهنه * وقال له يابنى انه قد نا ارتحالى من
الفناء * واكتحالى بمرود الفناء * وانت بحمد الله ولى مهدى * وكبش الكتيبة
الساسانية من بعدى * ومثلك لا تقرع له العصا * ولا ينبه بطرق الحصا * ولكن قد
ندب الى لاذكار * وجعل صيقلا للافكار * وانى اوصيك بما لم يوص به شيث
الانباط * ولا يعقوب الاسباط * فاحفظ وصيتى * وجانب معصيتى * واحذ مثالى *
وافقه امثالى * فانك ان استرشدت بنصحى * واستصبحت بصبحى * امرع خانك
* وارتفع دخانك وان تناسيت سورتى * ونبذت مشورتى * قل رمادا نا نيك *
وزهد اهلك ورهطك نيك * يابنى انى جربت حقائق الامور * وبلوت تصاريف
الدهور * فرايت المرء ينشبه لا بنسبه * والفحص من مكسبه * لا من حسبه *
وكنت سمعت ان المعايش امارة وتجارة * وزراعة وصناعة * فمارست هذه الاربع
* لانظر ايها اوفق وانفع * فما احمدت منها معيشة * ولا استرغدت فيها عيشة *
اما فرص الولايات * وخلس الامارات * فكاضغاث الاحلام * والفىء المنتسخ
بالظلام * وناهيك غصة بمرارة الفطام * واما بضائع التجارات * فعرضة للمخاطرات
* وطعمة للغارات * وما شبهها بالطيور الطيارات * واما انتجاع الضياع * والتصدى
للازدراع * فمنهكة بالاعراض * وقيود عائقة من الارتكاض * فلما خلا ربها
من اذلال * او رزق روح بال * واما حرف اولى الصناعات * فغير فاضلة من

الاقوات * ولا نافقة فى جميع الاوقات * ومعظمها معصوب بشبيبة الحيوة ولم ار ما
هو بارد المغنم * لذيذ المطعم * وافى المكسب * صافى المشرب * الا الحرفة التى وضع
سامان اساسها * ونوع اجناسها * واضرم فى الخافقين نارها * واوضح لبنى غبراء
منارها * فشهدت وقائعها معلما * واخترت سيماها الى ميسما * اذ كانت المتجر الذى
لا يبور * والمنهل الذى لا يغور * والمصباح الذى يعشو اليه الجمهور * ويستصبح به
العمى والعور * وكان اهلها امزة قبيل * واسعد جبل * لا يرهقهم مس حيف * ولا
يقلقهم سل سيف * ولا يخشون حمة لاسع * ولا يدينون لدان ولا شاسع * ولا يرهبون من برق
ورعد * ولا يحفلون بمن قام وقعد * انديتهم منزهة * وقلوبهم مرفهة * وطعمهم معجلة
* واوفاتهم غر محجلة * اينما سقطوا لقطوا * وحيثما انخرطوا خرطوا * لا يتخذون
اوطانا * ولا ينقون سلطانا * ولا يمنازون مما تغدو خماصا * وتروح بطانا * فقاله
ابنه يا ابت لقد صدقت فيما نطقت * ولكنك رتقت وما فتقت * فبين لى كيف
اقتطف * ومن اين توكل الكتف * فقال يابنى ان الارتكاض بابها * والنشاط
جلابها * والفطنة مصباحها * والقحة سلاحها * فكن اجول من قطرب * واسرى
من جندب * وانشط من ظبى مقمر * واسلط من ذئب متنمر * واقدح زند جدك *
بجدك * واقرع باب رغبك * بسعيك * وجب كل فج * وخض كل لج * واتبع
كل روض * والق دلوك الى كل حوض * ولا تسام الطلب * ولا تمل الدأب *

فقد كان مَكْنُوبًا على عصا شيخنا ساسان مَنْ طَلَبَ * جَلَبَ * ومَنْ جالَ * نالَ * وإيّاك
والكَسَلَ فإنّه عُنوانُ النُّحوس * ولبوسُ * ذوي البؤس * ومِفتاحُ المَتْرَبه *
ولَقاحُ المَثْعَبة * شِيمةُ العَجَزة الجَهَلَه * وشِيمةُ الوُكَلة * النُّكَلَه * وما اشتارَ العَسَلَ *
مَنِ اختارَ الكَسَلَ * ولا مَلَأَ الراحةَ مَنِ اسْتوطَأَ الرّاحةَ * وعليكَ بالإقدام * ولو
على الضِّرغام * فإنّ جُراةَ الجَنان * تُنطِقُ اللِّسان * تُطلِقُ العِنان * وبِها تُدرَكُ
الحُظوةُ * وتُملَكُ الثَّروةُ كما أنّ الخَوَرَ صِنْوُ الكَسَل * وسَبَبُ الفَشَل * ومَبْطَأةٌ
لِلعَمَل * مَخْبَبةٌ لِلذَّمَل * لِهذا قيل في المَثَل * مَنْ جَسَرَ * أيْسَرَ * ومَنْ هابَ * خابَ *
ثمّ ابرُزْ يا بُنَيَّ في بُكُورِ ابى زاجِرٍ * وجُرأةِ ابى الحارث * وحَزامةِ ابى قُرّة *
وخَتْلِ ابى جَعْدة * وحِرْصِ ابى عُقبة * ونَشاطِ ابى وَثّاب * ومَكْرِ ابى الحُصَين *
وصَبْرِ ابى أيُّوب * وتَلَطُّفِ ابى غَزْوان * وتَلَوُّنِ ابى بَرانِس * واخلُبْ بِصَوْغ
اللِّسان * وَاخدَعْ بِسِحْرِ البَيان * وَارْتَدِ السُّوقَ قَبْلَ الجَلَب * وامتَرِ الضَّرْعَ قَبْلَ
الحَلَب * وسائِلِ الرُّكْبانَ قَبْلَ المَنْتَجَع * ودَمِّثْ لِجَنْبِكَ قَبْلَ المُضْطَجَع * واشحَذْ
بَصيرَتَك لِلعِيانَه * وانعِمْ نَظَرَك في القِيافَه * فإنّ مَنْ صَدَقَ تَوَسُّمُهُ * طالَ تَبَسُّمُه *
ومَنْ أخْطَأتْ فِراسَتُهُ * انْبَتَّتْ فَرِيسَتُه * وكُنْ يا بُنَيَّ خَفيفَ الكَلّ * قَليلَ الدَّلّ
* راغِباً مِنَ العَلّ * قانِعاً مِنَ الوَبْلِ بِالطَّلّ * وعَظِّمْ وَقْعَ الحَقير * واشكُرْ على النَّقير *
ولا تَقنَطْ عِندَ الرَّدّ * ولا تَستَبعِدْ رَشْحَ الصَّلْد * ولا تَيأَسْ مِنْ رَوْحِ اللهِ إنّه

لا يَيأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إلّا القَومُ الكافِرون * واذا خُيِّرتَ بَينَ
ذَرِّةٍ مَنقودةٍ * ودُرَّةٍ مَوعودةٍ * فَمِلْ إلى النَّقد * وفَضِّلِ اليَومَ على الغَد *
فإنَّ لِلتّاخيرِ آفاتٍ * وللعَزائمِ يَدَواتٍ * ولِلعِداتِ مُعَقِّباتٍ * وبَينَها وبَينَ
النَّجزِ مَقَباتٍ * وعليك بِصَبْرِ أولي العَزْم * ورِفقِ ذَوِي الحَزْم * وجانِبْ خُرْقَ
المُشَطّ * وتَخَلَّقْ بِالخُلُقِ السَّبْط * وقَيِّدِ الدِّرْهَمَ بِالرَّبْط * وشُبِّ البَذْلَ بِالضَّبْط * ولا
تَجْعَلْ يَدَك مَغْلولةً إلى عُنُقِك ولا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْط * ومَتى نَابَكَ بَلَدٌ * اونابَكَ
فيه كَمَدٌ * فَبُتَّ مِنه أمَلَك * واسرَحْ عنه جَمَلَك * فَخَيرُ البِلادِ ما حَمَلَك * ولا تَستَثقِلَنَّ
الرِّحلَه * ولا تَكرَهَنَّ النَّقلَه * فإنّ أعلامَ شَرِيعَتِنا * وأشياخَ مَشِيرَتِنا * اجمَعُوا على أنَّ
الحَرَكةَ بَرَكةٌ * والطَّراءةَ سُفتَجةٌ * وزَرَوا على مَنْ زَعَمَ إنّ الغُربةَ كُربةٌ * والنُّقلةَ مُثلةٌ *
وقالُوا هِيَ تَعِلَّةُ مَنِ اقتَنَعَ بِالرَّذيلَه * ورَضِيَ بِالخَسْفِ وسُوءِ الكِيلَه * واذا أزمَعتَ
الاغترابَ * وأعدَدتَّ له العَصا والحِرابَ * فَتَخَيَّرِ الرَّفيقَ المُسعِدَ * مِنْ قَبلِ أنْ
تُصعِدَ * فإنّ الجارَ قَبلَ الدّار * والرَّفيقَ * قبلَ الطَّريق

* نظم

خُذْها اليك وَصِيَّةً * لم يُوْمِها قَبْلي أحَدْ
غَرّاءَ حاوِيَةً خِلا * صاتِ المَعاني والزُّبَدْ
نَقَّحْتُها تَنقيحَ مَنْ * مَحَضَ النَّصيحةَ واجتَهَدْ
فاعمَلْ بِما مَثَّلْتُهُ * عَمَلَ اللَّبيبِ أخي الرَّشَدْ

حتّى يقولَ النّاسُ هٰذا النّبْلُ مِن ذاك الاَسَدْ

ثمّ قال له يابُنَيّ قد اَوْصَيْتُ * واستَقْصَيْتُ * فإنِ اقتَدَيْتَ * فواهاً لك * وإنِ اعْتَدَيْتَ فآهاً منك * واللّٰهُ خَلِيفَتِي عليك * وارْجُوانْ لاتُخْلِفَ ظَنّي فِيك * فقال له ابنه يا اَبَتِ لاوُضِعَ عَرْشُك * ولارُفِعَ نَعْشُك فلقد قُلْتَ سَدَدًا * وعَلَّمْتَ رَشَدًا * وَبَيَّنْتَ لي سُوْدَدًا * ونَحَلْتَ مالم يَنْحَلْ والدٌ وَلَدًا * ولَئِنْ اُمْهِلْتُ بعدك * ولا ذُقْتُ فَقْدَك * فلَاَتَأَدَّبَنّ بآدابِكَ الصّالحه * ولَاَقْتَدِيَنّ بآثارك الواضحه * حتّى يُقالَ ماَاشْبَهَ اللَّيْلَةَ بالبارحه * والغادِيةَ بالرّائحه * فاهْتَزّ ابو زيد لجوابِهِ وابْتَسَمَ * وقال مَنْ اَشْبَهَ اَباهُ فما ظَلَمَ * قال الحارثُ بن هَمّام فاُخبِرْتُ اَنّ بَنِي ساسان * حِينَ سَمِعُوا هٰذه الوَصايا الحِسان * فَضّلوها على وَصايا لُقْمان * وحَفِظُوها كما تُحْفَظُ اُمّ القُرآن * حتّى اَنّهم ليَرْوُنَها الى الآن * اَوْلى ما لُقِّنُوهُ الصِّبْيان * وانْفَعُ لهم من نَحْلَةِ العِقْيان *

*المقامة الخمسون البصرية *

حكى الحارثُ بنُ هَمّام * قال اُشْعِرْتُ في بعضِ الاَيّام هَمّاً بَرَّحَ بي استِعارُه * ولاحَ على شِعارُه * وكُنْتُ سَمِعْتُ اَنّ مِشْيانَ مَجالِسِ الذِّكْر * يَسْرُو غَواشِيَ الفِكْر * فلم اَرَ لاِطْفاءِ ما بي من الجَمْرَه * اِلّا قَصْدَ الجامِعِ بالبَصْرَه * وكانَ اِذْ ذاك ما هُوَ لَ المَسانِد * مَشْفُوعَ المَوارِد * يُجْتَنى مِنْ رِياضِه اَزاهِيرُ الكَلام * ويُسْمَعُ في اَرْجائِه

صَرِيرُ الاَقْلام * فطلقتُ اليه غَيْرَ وانٍ * ولا لاوٍ على شانٍ * فلَمّا وَطِئْتُ حَصاه * واستَشْرَفْتُ اَقْصاه * تَرَاَى لي ذُوْ اَطْمارٍ بالِيَه * فوقَ صَخْرَةٍ عالِيَه * وقد عَصَبَتْ بِهِ عُصَبٌ لايُحْصى عَدِيدُهم * ولايُنادَى وَلِيدُهم * فابتَدَرْتُ قَصْدَه * وتَوَرَّدْتُ وِرْدَه * ورَجَوْتُ اَن اَجِدَ شِفائي عِنْدَه * ولم اَزَلْ اَنْتَقِلُ في المَراكِز * واُغْضِي للاَكِزِ والواكِز * الى اَنْ جَلَسْتُ تُجاهَه * وبِحَيْثُ اَمِنْتُ اشتِباهَه * فاذا هو شَيْخُنا السَّرُوجيّ لاريْبَ فيه * ولالَبْسَ يُخْفيه * فتَسَرّى بِمَرْآهُ هَمّي * وارفَضَّتْ كَتِيبَةُ غَمّي * وحِينَ رَآني * وبَصُرَ بِمَكاني * قال يااَهْلَ البَصْرَةِ رَماكُمُ اللّٰهُ وَقاكُمْ * وقَوّى تُقاكُم * فما اَضْوَعَ رِيّاكُم * واَفْضَلَ مَزاياكُم * بَلَدُكُم اَوْفَى البِلادِ طُهْرَةً * واَزْكاها فِطْرَةً * واَفْسَحُها رُقْعَةً * واَمْرَعُها نَجْعَةً * واَقْوَمُها قِبْلَةً * واَوْسَعُها دِجْلَةً * واَكْثَرُها نَهْراً ونَخْلَةً * واَحْسَنُها تَفْصِيلاً وجُمْلَةً * دِهْلِيزُ البَلَدِ الحَرام * وقُبالَةُ البابِ والمَقام * وَاَحَدُ جَناحَيِ الدُّنيا * والمِصْرُ المُؤَسَّسُ على التَّقْوى * لَمْ يَتَدَنَّسْ بِبُيُوتِ النَّيْرانِ * ولا طِيفَ فيه بالاَوْثان * ولا سُجِدَ على اَدِيمِه لِغَيْرِ الرَّحْمٰن * ذُو المَشاهِدِ المَشْهُوده * والمَساجِدِ المَقْصُوده * والمَعالِمِ المَشْهُوره * والمَقابِرِ المَزُوره * والآثارِ المَحْمُوده * والخِطَطِ المَحْدُوده * به تَلْتَقِي الفُلْكُ والرِّكابُ * والحِيتانُ والضِّبابُ * والحادِي والمَلّاحُ * والقانِصُ والفَلّاحُ * والنّاشِبُ والرّامِحُ * والسّارِحُ والسّابِحُ * وله آيَةُ المَدِّ القائِض * والجَزْرِ الغائِض * واَمّا اَنتم فمَنْ لايَخْتَلِفُ في

خصائصهم انثنان * ولا ينكرهما ذو شنئان * دهماؤكم أطوع رعية لسلطان * وأشكرهم
لإحسان * وزاهدكم أورع الخليقة * وأحسنهم طريقة على الحقيقة * وعالمكم
علامة كل زمان * والحجة في كل أوان * منكم من استنبط علم النحو ووضعه *
والذي ابتدع ميزان الشعر واخترعه * وما من فخر إلا لكم فيه اليد الطولى *
والقدح المعلى * وأنتم أحق به وأولى * ثم إنكم أكثر أهل مصر مودتين
* وأحسنهم في النسك قوانين * وبكم اقتدى في التعريف * وعرف التسجير في
الشهر الشريف * ولكم إذا فترت المضاجع * وهجع الهاجع * تذكار يوقظ النائم * ويؤنس
القائم * وما ابتسم ثغر فجر * ولا بزغ نوره في برد ولا حر * إلا ولتاذينكم بالأسحار * دوي
كدوي الريح في البحار * وبهذا منكم صدع النقل * وأخبر النبي عليه السلام من قبل *
وبين أن دويكم بالأسحار * كدوي النحل في القفار * فشرفاكم ببشارة المصطفى *
وواها لمصركم وان كان قد عفا * ولم يبق منه الا شفا * ثم إنه خزن لسانه * وخطم
بيانه * حتى حدج بالإبصار وقرف بالإقصار * فتنفس تنفس من قيد القود * اوضبثت
به براثن أسد * ثم قال أما أنتم يا أهل البصرة فما منكم إلا العلم المعروف *
ومن له المعرفة والمعروف * وأما أنا فمن عرفني فأنا ذاك * وشر المعارف
من آذاك * ومن لم يثبت معرفتي * فسأصدقه صفتي * أنا الذي أنجدوا تهم *
وأيمن وأشأم * وأصحر وأبحر * وأدلج وأسحر * نشأت بسروج * وربيت

على السروج * ثم ولجت المضائق * وفتحت المغالق * وشهدت المعارك * والنيت
العرائك * واقتدت الشوامس * وارغمت المعاطس * واذبت الجوامد * وامعت
الجلامد * سلوا عني المشارق والمغارب * والمناسم والغوارب * والحائل والجحافل *
والقبائل والقنابل * واستوضحوني من ثقلة الاخبار * ورواة الاسمار * وحداة
الركبان * وحذاق الكهان * لتعلموا كم فج سلكت * وحجاب هتكت * ومهلكة
اقتحمت * وملحمة التحمت * وكم الباب خدمت * وبدع ابتدعت * وفرص
اختلست * وأسدا فترست * وكم محاق فادرته لقى * وكامن استخرجته بالرقى *
وحجر سحرته حتى انصدع * واستنبطت زلاله بالمدع * ولكن فرطما فرط
والغصن رطيب * والعود غريب * وبرد الشاب قشيب * فأما الآن وقد استن
الاديم * وتأود القويم * واستنار الليل البهيم * فليس إلا الندم إن نفع * وترقيع
الخرق الذي قد اتسع * وكنت رويت في الآثار المسندة * والاخبار المعتمدة *
أن لكم من الله تعالى في كل يوم نظرة * وان سلاح الناس الحديد وسلاحكم
الأدمة * فقصدتكم أنضي الرواحل * واطوي المراحل * حتى قمت هذا
المقام فيكم * ولا من لي عليكم * إن ما سعيت إلا في حاجتي * ولا تعبت إلا لراحتي *
ولست ابغي أعطيتكم * بل استدعي أديتكم * ولا اسألكم أموالكم * بل استنزل
سؤالكم * فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمتاب * والاعداد للمآب * فإنه رفيع

الدَّرَجات * ومُجِيبُ الدَّعَوات * وهُوَ الَّذى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عن عِبادِهِ ويَعْفُو عَنِ السَّيِّآت * ثمَّ آنشدَ

* نظم *

آ سْتَغفِرُ اللهَ مِنْ ذُنُوبٍ * اَفْرَطتُ فيهنَّ واعْتَدَيْتُ
كم خُضْتُ بَحْرَ الضَّلالِ جَهْلاً * ورُحْتُ فى الغَيِّ واعْتَدَيْتُ
وكم اَطَعْتُ الهوى اغترارًا * واحْتَلْتُ واغْتَلْتُ وافْتَرَيْتُ
وكم خَلَعْتُ العِذارَ رَكْضًا * اِلى المَعاصِى وما وَنَيْتُ
وكم تَناهَيْتُ فى لتَّخَطِّى * الى الخطايا وما انْتَهَيْتُ
فَلَيْتَنِى كُنْتُ قَبْلَ هٰذا * نَسْيًا ولم اَجْنِ ما جَنَيْتُ
فالمَوْتُ لِلْمُجْرِمِينَ خَيْرٌ * مِنَ المَساءِ الَّتِى سَعَيْتُ
يا رَبِّ عَفْوًا فَاَنْتَ اَهْلٌ * لِلعَفْوِ عَنِّى وِاِنْ عَصَيْتُ

قال الرَّاوى فطَفِقَتِ الجَماعَةُ تُمِدُّهُ بالدُّعاء * وهو يُقَلِّبُ وَجْهَهُ فِى السَّماء * الى اَنْ دَمَعَتْ اَجْفانُهُ وبَدا رَجَفانُهُ * فَصاحَ اللهُ اَكْبَرُ بانَتْ اَمارَةُ الاِسْتِجابَهِ * وانْجابَتْ غِشاوَةُ الاِسْتِرابَهِ * فَجُزِيتُم يا اَهْلَ البَصْرَهِ * جَزاءَ مَنْ هَدى مِنَ الحَيْرَهِ * فلم يَبْقَ فى القَوْمِ الاَّ مَنْ سُرَّ لِسُرُورِهِ * ورَضِىَ لهُ بِمَيْسُورِهِ * فَقَبِلَ عَفْوَ بِرِّهِم * واقْبَلَ يَهْرِفُ فى شُكْرِهِم * ثُمَّ انْحَدَرَ مِنَ الصَّخْرَهِ * يَؤُمُّ شاطِئَ البَصْرَهِ * واَعْنَقْتُهُ الى حيث تَخالَيْنا * وَاَمِنَّا التَّجَسُّسَ

والتَّحَسُّسَ عَلَيْنا * فَقُلْتُ له لقد اَغْرَبْتَ فى هٰذهِ التَّوبَهِ * فما رَاْيُكَ فى التَّوْبَهِ * فقالَ اُقْسِمُ بعلاَّمِ الخَفِيَّات * وغَفّارِ الخَطِيَّات * اِنَّ شانِى لَعُجابٌ * واِنَّ دُعاءَ قَوْمِك لَمُجابٌ * فقُلتُ زِدْنِى اِفْصاحًا * زادَكَ اللهُ صَلاحًا * فقال واَبِيكَ لقد قُمْتُ فيهم مَقامَ المُرِيبِ الخادِعِ * ثُمَّ انقلَبْتُ بِقَلْبِ المُنِيبِ الخاشِعِ * فطُوبى لِمَنْ صَغَتْ قُلُوبُهم اليه * وَوَيْلٌ لِمَنْ يا تُوايَدْعُون عليه * ثم وَدَّعَنِى وانطَلَقَ * واَوْدَعَنِى القَلَقَ * فلم اَزَلْ اُغانِي الفِكَرَ * واَتَشَوَّفُ الى خِبْرَةِ ماذَكَرَ * وكُلَّما اسْتَنْشَيْتُ خَبَرَهُ مِنَ الرُّكْبانَ * وجَوّابَةِ البُلْدان * كُنْتُ كَمَنْ حاوَرَ مَعْمَاءَ * اونادَى صَخْرَةً صَمّاءَ * الى اَنْ لَقِيتُ بعد تَراخِى الاَمَدِ * وتَراقِى الكَمَدِ * رَكْبًا قافِلِينَ مِن سَفَرٍ * فقلتُ هَلْ مُغَرِّبَةِ خَبَرٍ * فقالُوا اِنَّ عِنْدَنا لَخَبَرًا اَغْرَبَ من العَنْقاء * واَعْجَبَ من نَظَرِ الزَّرْقاء * فَسَاَلْتُهم اِيْضاحَ ما قالُوا * واَنْ يُكْمِلُوا لِى بما اكْتالُوا * فَحَكَوْا اَنَّهُم اَلَمُّوا بِسَرُوجَ * بعدَ ما فارَقَها العُلُوجُ * فَرَاَوْا بها اَبا زَيْدِها المَعْرُوفَ * قد لَبِسَ الصُّوفَ * واَمَّ الصُّفُوفَ * وصارَ بها الزَّاهِدَ المَوْصُوفَ * فقلتُ اتَعْنُون ذَا المَقاماتِ * فقالوا اِنَّهُ الآنَ ذُو الكَراماتِ * فَحَفَزَنِى اليه النِّزاعُ * ورَاَيْتُها فُرْصَةً لا تُضاعُ * فارْتَحَلْتُ رِحْلَةَ المُعِدِّ * وسِرْتُ نَحْوَهُ سَيْرَ المُجِدِّ * حَتّى حَلَلْتُ بِمَسْجِدِهِ * وقَرارَةِ مُتَعَبَّدِهِ * فاذا بِهِ قد نَبَذَ صُحْبَةَ اَصْحابِهِ * وانْتَصَبَ فى مِحْرابِهِ * وهُوَ ذُو عَباءَةٍ مُخْلُولَةٍ * وشَمْلَةٍ مَوْصُولَةٍ * فَهِبْتُهُ مَهابَةَ

من ولج على الاسود * والفته ممن سيما هم فى وجوههم من اثر السجود *
ولما فرغ من سبحته * حيانى بمسبحته * من غير ان نعم بحديث * ولا استخبر
من قديم ولا حديث * ثم اقبل على اوراده * وتركنى اعجب من اجتهاده *
واغبط من يهدى الله من عباده * ولم يزل فى قنوت وخشوع * وسجود
وركوع * واخبات وخضوع * الى ان اكمل اقامة الخمس * وصار اليوم
امس * فحينئذ انكفأ بى الى بيته * واسهمنى من قرصه وزبده * ثم نهض الى
مصلاه * وتجلى بمناجاة مولاه * حتى اذا التمع الفجر * وحق للمتهجد الاجر *
عقب تهجده بالتسبيح * ثم اضطجع ضجعة المستريح * وجعل يرجع بصوت نصيح

* نظم *

خل ادكار الاربع * والمعهد المرتبع
والظامن الموذع * وعد منه ودع
واندب زمانا سلفا * سودت فيه الصحفا
ولم تزل معتكفا * على القبيح الشنيع
كم ليلة اودعتها * مآثما ابدعتها
لشهوة اطعتها * فى مرقد ومضجع
وكم خطى خطتها * فى خزية احدثتها

وتوبة نكثتها * لملعب ومرتع
وكم تجرأت على * رب السموات العلى
ولم تراقبه ولا * صدقت فيما تدعى
وكم غمطت بره * وكم امنت مكره
وكم نبذت امره * نبذ الحذا المرقع
وكم ركضت فى اللعب * فيهت ممدا بالكذب
ولم تراع ما يجب * من مهد المتبع
فالبس شعار الندم * واسكب شآبيب الدم
قبل زوال القدم * وقبل سوء المصرع
واخضع خضوع المعترف * ولذ ملاذ المقترف
وامض هواك وانحرف * عنه انحراف المقلع
الا تنهنه وتنبي * ومعظم العمر فنى
فيما يضر المقتنى * ولست بالمرتدع
اما ترى الشيب وخط * وخط فى الراس خطط
ومن يلح وخط الشمط * بفودى فقد نعى
ويحك يا نفس احرنى * على ارتياد المخلص

وَطَاوِمِي وَاخْلِصِيْ * واستَمِعِي النُّصْحَ وَمِي
وامتَبِرِي بِمَنْ مَضَى * من القُرُونِ وانقضى
وَاخْشَيْ مُفاجاةَ القَضا * وَحاذِرِيْ اَنْ تُخْدَمِي
وانتَهِجِيْ سُبُلَ الهُدَى * وادَّكِرِي وَشْكَ الرَّدَى
فَانَّ مَثواكَ غَدا * في قَعْرِ لَحْدٍ بلقَعِ
آهًا لَهُ بَيْتِ البِلا * والمَنْزِلِ القَفْرِ الخَلا
ومَوْرِدِ السَّفْرِ الاَولى * واللاَّحِقِي المُتَّبَعِ
بَيْتٌ يُرَى مَنْ اُودِمَهْ * قد ضَمَّهُ واستَوْدَمَهْ
بَعْدَ الفَضاءِ والسَّعَهْ * قَيْدُ ثَلْثٍ اَذْرُعِ
لا فَرْقَ اَنْ يُحْلَلَهُ * داهِيَةٌ او اَبْلَهُ
او مُعْسِرٌ او مَنْ لَهُ * مُلْكٌ كَمُلْكِ تُبَّعِ
وبعدَهُ العَرْضُ الذِي * يَحْوِي الحَيِيَّ والبَذِيّ
والمُبْتَدِيْ والمُحْتَذِيْ * ومَنْ رَمَى ومَنْ رُمِي
فيا مَفازَ المُتَّقِيْ * وَيا بُعْدَ عَبْدٍ قد وَقِيْ
سُوءَ الحِسابِ المُوبِقِ * وهَوْلَ يَوْمِ الفَزَعِ
ويا خَسارَ مَنْ بَغَى * وَمَنْ تَعَدَّى وَطَغَى

وشَبَّ نِيرانَ الوَغَى * لِمَطْعَمٍ او مَطْمَعِ
يا مَنْ عليه المُتَّكَلْ * قد زادَ ما بي مِن وَجَلْ
لِما اجتَرَحْتُ مِن زَلَلْ * في مُمْرِيَ المُضَيَّعِ
فَاغفِرْ لِعَبْدٍ مُجْتَرِمْ * وارْحَمْ بُكاءَ المُنْسَجِمْ
فَانْتَ اَوْلى مَنْ رَحِمْ * وخَيْرُ مَدْعُوٍّ دُعِي

قال فلم يَزَلْ يُرَدِّدُها بِصوتٍ رَفيقٍ * ويَصِلُها بِزَفيرٍ وشَهيقٍ حَتَّى بَكَيْتُ لِبُكاءِ عَيْنَيْهِ * كَما كُنْتُ مِنْ قَبْلُ اَبْكِيْ عليهِ * ثُمَّ بَرَزَ الى مَسْجِدِهِ * بِوُضُوءِ تَهَجُّدِهِ * فَانْطَلَقْتُ رِدْفَهُ * وصَلَّيْتُ مَعَ مَنْ صَلَّى خَلْفَهُ * ولَمَّا انْقَضَّ مَنْ حَضَرَ * وتَفَرَّقُوا شَغَرَ بَغَرَ * اَخَذَ بِهِمْيَمِ بِدَرْمِهِ * ويَسْبِكُ يَوْمَهُ في قالَبِ اَمْسِهِ * وفي ضِمْنِ ذلكَ يُرِنُّ اِرْنانَ الرَّقُوبِ * ويَبْكِي ولا بُكاءَ يَعْقُوبَ * حَتَّى استَبَنْتُ اَنَّهُ قد لَحِقَ بالاَفْرادِ * واُشْرِبَ قَلْبُهُ هَوَى الانفِرادِ * فَاخْطَرْتُ بِقَلْبِي مَزْمَةَ الارتِحالِ * وتَخْلِيَتَهُ والتَّخَلِّيَ بِتِلْكَ الحالِ * فَكَاَنَّهُ تَفَرَّسَ ما نَوَيْتُ * او كُوشِفَ بِما اَخْفَيْتُ * فَزَفْرَزَ فَرَةَ الاَوّاهِ * ثُمَّ قَرَا فَاذا امْزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ * فَاَسْجَلْتُ عند ذلك بِصِدْقِ المُحَدَّثِينَ * واَيْقَنْتُ اَنَّ في الاُمَّةِ مُحَدَّثِينَ * ثُمَّ دَنَوْتُ اليه كَما يَدْنُوا المُصافِحُ * قلتُ اَوْصِنِي اَيُّها العَبْدُ الصّالِحُ * فقال اجْعَلِ المَوْتَ نَصْبَ عَيْنِكَ * وهذا فِراقُ بَيْنِي وبَيْنَكَ * فَوَدَّعْتُهُ وعَبَرْتُ

يتحدثن من المآقي * وزفراتي يتصعدن من التراقي * وكانت هذه خاتمة
التلاقي * قال القاسم بن علي * هذا آخر المقامات التي انشأتها بالاغتراب *
واملیتها بلسان الاضطرار * وقد لجئت الى ان ارصدتها للاستغراض *
وناديت عليها في سوق الاعتراض * هذا مع معرفتي بانها من سقط المتاع * ومما
يستوجب ان يباع ولا يبتاع * ولو فشيني نور التوفيق * ونظرت لنفسي نظر الشفيق *
لسترت عواري الذي لم يزل مستورا * ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا *
وانا استغفر الله تعالى مما اودعتها من اباطيل اللغو * واضاليل اللهو *
واسترشده الى ما يعصم من السهو * ويحظى بالعفو * انه هو
اهل التقوى واهل المغفرة * ووالي الخيرات في الدنيا
والآخرة * تمت مقامات الحريري *
بعون الله الغني * ويتلوها
حل لغاتها * وكشف
معضلاتها

* * *

کتابخانه مجلس شورای ملی ۱۳۱۰